بستان الواعظين

للإمام

أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

٥١٠ - ٥٩٧ هـ

تأليف

صلاح الدين محمود السعيد

الناشر

دار البيان العربي



بستان الواعظين

اسم الكتاب : بستان الواعظين

اسم المؤلف : الإمام ابن الجوزي

اسم المحقق : صلاح الدين محمود السعيد

مقاس الكتاب : ١٧ X ٢٤

عدد الصفحات : ٢٨٨ صفحة

عدد الأجزاء : جزء واحد

رقم الإيداع : ٨٥٥٤ / ٢٠٠٦ م



دار البيان العربي

الأزهر / درب الأتراك ت: ٥١١٨٠٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

وبعد:

فإن كتاب «بستان الواعظين ورياض السامعين» من أهم كتب الوعظ على العموم وهو من أهم ما كتب فى علوم الوعظ على وجه الخصوص، بل الكتاب تحفة فنية بين كتب المكتبة العربية على وجه أخص.

والكتاب على الرغم من تصنيفه تحت اسم كتب الوعظ وحيث إن مؤلفه اشتهر ضمن ما اشتهر به من العلوم بهذا العلم - حتى سمى بواعظ العراق - إلا أنك ستجد فيه من كل بستان من العلوم أجمل زهرة ومن كل بحر من الفنون أجمل لآلئه.

فابن الجوزى هذه الموسوعة الحية التى تمشى على رجلين قد أخذ كتابه هذا من علوم الحديث والتفسير والأدب والقصص إلى غير ذلك من العلوم التى قد انتشرت وعرفت فى عصره.

ومن هنا أصبح الكتاب دائرة معارف لأكثر علوم المسلمين، هذا الكتاب الكبير والمؤلف الخطير أرجو أن يكون طريقنا إلى الجنة.

وقد تلخص عملى فى الآتى:

١- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث والحكم عليها - ما لم تكن فى الصحيحين - مسترشداً بكتب العلامة محمد ناصر الدين الألبانى - رحمه الله -.

٣- شرح غريب الألفاظ.

هذا وأسأل الله عز وجل أن ينفعنى والمسلمين به

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

خرج أحاديثه وعلق عليه

أبو أنس

صلاح الدين محمود السعيد

مصر - دمياط - باب الحرس

مجمع دار السلام

ت.م ٠١٢٣٩٠٣٠٩٩

ترجمة ابن الجوزى:

هو الشيخ الجليل والإمام الفاضل جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر البكرى التيمى القرشى البغدادى الحنبلى.

والجوزى نسبة إلى جده جعفر الجوزى، وقال ابن خلكان: «والجَوزى: بفتح الجيم وسكون الواو بعدها زاى، هذه النسبة إلى فُرضة ا‌ا.جَوز، وهو موضع مشهور».

وتُعد حياته ﷺ سلسلة من الكفاح والسعى الدءوب فى طلب العلم وتحصيله، فقد عُرف من صغره بالجد والاجتهاد، وبالفضيلة والسيرة الذكية.

ولم يُعرف بالضبط عام مولده، بيد أنه ما بين سنة ثمانية إلى عشرة ما بعد المائة الخامسة للهجرة.

وتُوفى والده وله من العمر ثلاث سنين، وانصرفت عنه أمه، فتربى فى كنف عمته التى اعتنت به، ثم حملته بعد أن ترعرع إلى الحافظ أبى الفضل بن ناصر، فحفظ على يديه القرآن، وسمع منه الحديث، وأحب الوعظ وهو صغير، ثم جلس للوعظ وهو صبى صغير، واعتنى به الشيخ ابن الزغوانى، ثم تفقه على ابن الدينورى الحنبلى وابن الفراء، وتعلم اللغة على يد أبى المنصور بن الجواليقى.

ولم يرحل لطلب الحديث، ولكنه حفظ [المُسند» للإمام أحمد، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الخطيب، والسنن الأربعة، والصحيحين، وعدة مؤلفات عالية حتى لُقب بالحافظ - رحمه الله -.

وقد كان - رحمه الله - شغوفًا بالعلم يحصله حتى قال: «ولو قلت إنى طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بَعْدُ فى الطلب، فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم وحفظهم وعبادتهم وغرائب ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزرى ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب».

هذا وقد رزقه الله تعالى قوة حافظة، وذهنًا وقادًا، حتى كان يرتجل الوعظ دون إعداد مسبق، وقد انتشر الوعظ فى وقته، وانتشرت معه طائفة الوعاظ والقصاصين الذين أثروا فى حياة العوام بأحاديثهم الضعيفة فتصدى لهم ابن الجوزى، إما بمجالس وعظه التى قال عن إحداها: «وكم سالت عين متجبر بوعظى ولم تكن تسيل» «وأسلم على يدى أكثر من مائتى ألف» وحضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء والأمراء.

والطريقة الثانية التى تصدى بها للوعاظ كانت تحبير الكتب كمثل هذا الكتاب الذى بين أيدينا، وكتاب تلبيس إبليس، وغيرهما من الكتب التى وضح فيها خطأ الوعاظ والقصاصين والزهاد، ليؤدى دوراً فعالاً فى المجتمع كعالم له قيمة ووزن فى مجتمعه، وهذه هى وظيفة العلماء الذين يحملون على كاهلهم تبعة الدعوة إلى الله تعالى.

وكانت شدته على الصوفية، وحدته فى الهجوم عليهم سببًا فى وشاية الأعداء منهم عند الخليفة الناصر ضد ابن الجوزى، حتى وقع فى محنة السجن لمدة خمس سنين فى واسط يقوم بشئون نفسه وحده، وقد بلغ سن الكبر، فنالت منه هذه المحنة نيلاً شديداً حتى خلصه الله تعالى، وعاد إلى بغداد، فاستبشر أهلها وفرحوا، ولم تحجزه الشيخوخة عن الوعظ فعاد لمجلسه، ولم يمض من الوقت كثيراً حتى كانت ليلة الجمعة بين العشاءين فى اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة هجرية فتوفى ابن الجوزى وله من العمر سبع وثمانون سنة، ثم صلى عليه ولده أبو القاسم على، وكانت جنازته مشهودة حضرها عدد غفير من الناس يقرءون القرآن على قبره، وقد أوصى أن يكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن ... كثر الذنب لديه

جاءك المذنب يرجوك ... صفح عن جرم يديه

أنا ضيف وجزاء الـ ... ـضيف إحسان إليه

* * *

ومن مؤلفاته:

١ - المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك.
٢ - زاد المسير فى علم التفسير.
٣ - صفة الصفوة.
٤ - صيد الخاطر.
٥ - ذم الهوى.
٦ - تلبيس إبليس.
٧ - التبصرة.
٨ - المُدهش.
٩ - أحكام النساء.
١٠- تاريخ عمر بن الخطاب.
١١- تاريخ عمر بن عبد العزيز.
١٢- الثبات عند الممات.
١٣- رسالة إلى ولدى.
١٤- بستان الواعظين.
١٥- القصاص والمذكرون.

* وغيرها من مؤلفات عديدة بلغت ١٣٩ كتابًا ومخطوطًا.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - مجلس فى الاستعاذة

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (النحل: ٩٨).

المعنى: فاستعذ بالله إذا أردت أن تقرأ القرآن، يقال: أعوذ بالله ملاذاً وعياذاً، ويقال: هذا عوذ لى مما أخاف منه، أى مجيرى والدافع عنى، وتسمى المرأة عائذاً لأنها تعوذ بولدها، والتعوذ بالقرآن هو الشفاء من آفات الشيطان، وكان النبى ﷺ يتعوذ من آفات كثيرة تواترت بها الأخبار، وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من البخل(١)، والجبن والهرم، والكسل، وعذاب القبر، وفتنة الدجال(٢)، فتعوذوا مما تعوذ منه نبيكم ﷺ، واعتصموا بمولاكم العظيم من كيد الشيطان الرجيم، أعوذ بالله وأحتمى بالله وأستكفى بالله، يا قارئ يا تالى بمن تعوذ، بمن تلوذ، بمن تستغيث، بمن تستجير، بمن تستنصر، بمن تعتصم، بمن تحتمى، بمن تستكفى؟ إلا بالله!!.

* * *

نصائح

اعلم: أن المستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم معتصم بحبل الله المتين، أعوذ بالله من الذنوب والعصيان، أعوذ بالله من الضلال والخذلان، أعوذ بالله من سخط الرحمن.

اعلم: يا أخى أن العبد إذا اعتصم بحبل السلطان المخلوق سلم من شر الظالمين، فأحرى أن يسلم المستعيذ برب العالمين من الشيطان العدو اللعين.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من استعاذ بالله فى اليوم عشر مرات من الشيطان الرجيم، وكل الله به ملكًا يذود عنه شر الشيطان كما تذاد(٣) الغريبة من الإبل عن

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٤٧٠٧، ٦٣٦٥، ٦٣٩٠) مسلم (٢٧٠٦) أبو داود (٣٩٧٢) النسائى (٥٤٤٥) أحمد (١٥٨٩، ١٦٢٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (٨٣٣، ٢٦٣، ٢٦٤) مسلم (٥٨٩).

(٣) تذاد: الذود هو الطرد والدفع والدفاع.

الحـــوض»(٤) فكيف لا يسلم المستعيذ بالله من الشيطان والملك يذود عنه بأمر الملك الديان؟!.

كيفية الاستعاذة:

أعوذ بالله من أكل الحرام؛ أعوذ بالله من ظلم الضعفاء والأيتام؛ أعوذ بالله من ارتكاب الكبائر والآثام؛ أعوذ بالله من سخط الملك العلام؛ أعوذ بالله من عدم التوفيق لحسن العمل؛ أعوذ بالله من الركون إلى طول الأمل؛ أعوذ بالله من تمزيق الأعمار فى مخالفة هدى الأبرار، ونستعينه على تطهير القلوب من طوالع الارتياب، وجنايات الاغتياب، فإنه داء قد أعيا دواؤه، وتعذر شفاؤه، وعم بلاؤه، كما نستعين به على تطهير ضمائرنا من حب الدنيا، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة(٥) وأصل كل بلية، فلذلك نسأله علمًا نافعًا، وعملاً متقبلاً، وإيمانًا صريحًا، ويقينًا صحيحًا؛ أعوذ بالله من رأى يكون ضلالاً، أعوذ بالله من عمل يصير حسرة ووبالاً؛ أعوذ بالله من نية تعقب وزرًا، أعوذ بالله من عزيمة تجلب شرًا؛ أعوذ بالله من عدم التوفيق، أعوذ بالله من ترك التحقيق، أعوذ بالله من ترك السعة والرجوع إلى الضيق.

تحذير من الشيطان:

عباد الله تفكروا فى إخراج أبيكم آدم من الجنة دار الأمان، وهبوطه إلى دار الذل والهوان، وكان سبب ذلك الملعون الشيطان، وقد نهاكم مولاكم عن طاعته، وأمركم بمعصيته، فإن فى طاعته سخط الرحمن، ومعصيته توجب سكنى الجنان، ونزول محل الرضوان... قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** ﴾ (البقرة: ٢٦٨) فمن أطاعه خذله وصده عن الهدى، وفتح فى قلبه أبواب الضلالة والردى.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً** ﴾ (الفرقان: ٢٩) أعوذ بالله من وساوس الصدر، أعوذ بالله من المكر والغدر، أعوذ بالله من شتات الأمر، أعوذ بالله من قلة الشكر، أعوذ بالله من عذاب القبر، أعوذ بالله من ترك المتاب، أعوذ بالله من شدة العذاب، أعوذ بالله من مناقشة الحساب، أعوذ بالله من غضب رب الأرباب.

---

(٤) **موضوع**: رواه أبو يعلى فى مسنده (٧/ ١٤٦) فقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٢) ورواه أبو يعلى وفيه ليث بن أبى سليم ويزيد الرقاشى وقد وثقا على ضعفهما وبقية رجاله رجال الصحيح وقال الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٢٢٦): موضوع.

(٥) **ضعيف جدًا**: رواه أحمد (٩٢) فى الزهد، وابن عساكر (٧/ ٩٨/ ١) وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٢٢٦) وانظر ما قبله.

التعوذ عبادة:

واعلموا عباد الله أن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو من أفضل العبادات لأن الله تعالى قد أمر عبده المؤمن أن يتعوذ به من الشيطان الرجيم فى محكم القرآن الكريم، الله الله لا تقروا عن عدوكم الشيطان، فإنه يؤديكم إلى عذاب النيران، ويصدكم عن دار الخلد وسكنى الجنان، أعوذ بالله من مرديات الأعمال، أعوذ بالله من الغى والمحال، أعوذ بالله من سخط ذى الجلال.

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن من دخل الحصن سلم من شر الأعداء، وصار فى حرز ذى النعم والآلاء... ومن استعاذ بالملك الرحمن، سلم من شر العدو الشيطان، والاستعاذة أحصن حصن لدين المؤمن من كيد الشيطان الرجيم، وأحرز حرز لقلبه من وساوس العدو اللئيم، أعوذ بالله من شهادة الزور، أعوذ بالله من ركوب الفجور، أعوذ بالله من الغى والنفور، أعوذ بالله من الشيطان المبعد المثبور، أعوذ بالله من الركون إلى دار الغرور، أعوذ بالله من سخط الملك الغفور.

تعوذ النبى ﷺ:

روى عن النبى ﷺ أنه كان يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من صاحب غفلة، وقرين سوء، وزوج أذى، أعوذ بالله من شماتة الأعداء[٦]، أعوذ بالله من خيبة الرجاء، أعوذ بالله من عضال الداء، أعوذ بالله من مخالفة الهدى، أعوذ بالله من أفعال الردى، أعوذ بالله من سخط ذى النعم والآلاء، أعوذ بالله من عثرات اللسان، أعوذ بالله من النميمة والخذلان، أعوذ بالله من الغيبة والبهتان، أعوذ بالله من عقوبة الملك الديان».

* * *

أحاديث فى عذاب القبر:

روى عن النبى ﷺ أنه مر على البقيع فوقف على قبر ثم قال: «الآن أقعدوه، والآن سألوه، والذى بعثنى بالحق لقد ضربوه بأرزبة من نار لقد تطاير قلبه ناراً» ثم وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الأول، ثم قال ﷺ لأصحابه: «ولولا أنى أخشى على قلوبكم لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر مثل الذى أسمع» فقالوا: يا رسول الله ما

---

(٦) مرسل: رواه ابن المبارك فى الزهد (٨٧٥) مرسلاً عن يحيى بن كثير مرسلاً عن النبى ﷺ، قلت: وقد صح استعاذة النبى ﷺ من شماتة الأعداء فى عدة أحاديث منها ما رواه البخارى (٦٦١٦) ومسلم (٢٠٢٨).

كان فعل هذين الرجلين؟ فقال ﷺ: «أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة بين الناس، وكان الآخر لا يستنزه من البول»(٧).

أسباب عذاب القبر:

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يعذب أحدٌ فى قبره إلا بإحدى ثلاث: فى الغيبة والنميمة والبول»(٨) فالله الله عباد الله تعوذوا بالله من الغيبة والنميمة والبهتان، وأذى الجيران، فإن ذلك كله يبعد عن الرحمن، ويقرب من الشيطان، ويصد عن الجنان، ويؤدى إلى النيران، أعوذ بالله من علة الدين، أعوذ بالله من ضعف اليقين، أعوذ بالله من الشيطان اللعين، أعوذ بالله من سخط رب العالمين، أعوذ بالله من الشيطان المثبور(٩)، أعوذ بالله من عذاب القبور، أعوذ بالله من ترك النعيم والسرور، أعوذ بالله من الصد عن دار الحبور، أعوذ بالله من عذاب الويل والثبور، أعوذ بالله من عقوبة من يعلم ما فى الصدور.

القرآن يأمر بالاستعاذة:

واعلموا عباد الله أن من استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقد عمل بالقرآن الحكيم، وذلك أن الله تبارك وتعالى أمره بالاستعاذة من اللعين إبليس فى آى كثيرة من القرآن، فمن استعاذ بالملك الوهاب، من شرب الشيطان الكذاب، فقد عمل بالسنة، وأحكام الكتاب، والقرآن شافع لمن عمل به، وخصم على من لم يعمل به.

واعلموا عباد الله أن الشيطان يصدكم عن العمل بالتنزيل، ويبعدكم عن الملك الجليل، ويلقيكم فى معصيته لتصيروا إلى العذاب الدائم الطويل، فى اليوم الهائل العبوس الثقيل.

لكل أحد شيطان:

روى عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أنها قالت: قلت: يا رسول الله ما من أحد إلا ومعه شيطان؟ قال: «نعم» قالت: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم»(١٠) أعوذ بالله من خشوع النفاق، أعوذ بالله من البعد والفراق، أعوذ بالله من

---

(٧) لم أعثر بهذا اللفظ وأخر الحديث رواه البخارى (٢١٨) مسلم (٢٩٢).

(٨) لم أعثر عليه بهذا اللفظ ولكن له شواهد منها ما رواه ابن أبى شيبة (١/ ١٢٢) والحاكم (١/ ١٨٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩٧١) «عامة عذاب القبر من البول».

(٩) **المثبور**: الملعون المطرود من رحمة الله.

(١٠) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٤) وأحمد (١/ ٢٥٧، ٣٨٥).

مخالفة الملك الخلاق، أعوذ بالله من عذاب يوم التلاق، أعوذ بالله من الخلاف بعد الوفاق، وأنشدوا:

ويحك عُذ بالله ذى الجلال والمجد والنعماء والإفضال
ثم اتْلُ آيات من القرآن ووحِّد الله ولا تبال

أعوذ بالله من عبد شارد، أعوذ بالله من شيطان مارد، أعوذ بالله من عدو حاسد، أعوذ بالله من قلب فاسد، أعوذ بالله من بدن عن الطاعة متقاعد.

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبده خيرًا أبعد عنه شيطانه وأعانه عليه ونشطه للطاعة وأزال عن بدنه الكسل فأقبل العبد عند ذلك على مولاه، وأعرض عمن سواه وآثر رضاء سيده على هواه، فعند ذلك يجعل الله الجنة العالية مأواه، وإذا أراد بعبده شرًا مكن منه شيطانه وسلطه عليه فأبعده عن طاعة الجبار، وكسله عن عمل الأبرار، وحبب إليه أعمال أهل النار، وبغض إليه أعمال أهل دار القرار.

فرح الشيطان بالعاصى الجاهل:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره قبلَه الشيطان بين عينيه، وقال: فديت وجهًا لا يفلح أبدًا»(١١) فإن منَّ الله وتاب عليه واستنقذه من الضلال واستخرجه من غمرات الجهالة يقول الشيطان لعنه الله: واويلاه قطع عمره فى الضلالة فأقر بالمعصية عينى، ثم أخرجه الله بالتوبة من الجهالة فأكثر بالتوبة حزنى.

فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس العدو الشيطان وارجعوا بالتوبة إلى مولاكم الرحمن، فعساه أن يستر ذنوبكم وعيوبكم بستر الغفران إنه كريم متفضل منان، أعوذ بالله من الشقاوة بعد السعادة، وأعوذ بالله من الغرة بعد الإرادة، وأعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة، أعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان، أعوذ بالله من القطيعة والحرمان، أعوذ بالله من طاعة الشيطان، أعوذ بالله من العقوبة والهوان، أعوذ بالله من نقض العهود، أعوذ بالله من مخالفة الملك المعبود، أعوذ بالله من العذاب الدائم والخلود، أعوذ بالله من سخط ذى الكرم والجود.

عباد الله احذروا مكائد الشيطان فإنه عارف بالعيوب، بصير بإلقاء العبد فى الذنوب، له طرق كثيرة إلى الصدور فاستعيذوا من شره بمولاكم علام الغيوب، أعوذ بالله من قلب

(١١) لا أصل له، قال الشوكانى فى الفوائد المجموعة (١/ ٢٥١) قال فى المختصر: لم يوجد، وقال ابن القيرانى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/ ٧١٨) لم أجد له أصلاً.

لا يخشع، أعوذ بالله من عين لا تدمع، أعوذ بالله من علم لا ينفع، أعوذ بالله من المصير إلى عذاب الله، أعوذ بالله من الخيبة من رحمة الله ومن التزين بمعصيته، أعوذ بالله من زيغ القلوب، أعوذ بالله من تتابع الذنوب، أعوذ بالله من ترادف العيوب، أعوذ بالله من سخط علام الغيوب، أعوذ بالله من مضلات الفتن، أعوذ بالله من البلاء والمحن، أعوذ بالله من سخط ذى الجود والمنن، أعوذ بالله من النقص بعد التمام، أعوذ بالله من التخلف بعد الإقدام، أعوذ بالله من سخط أحكم الحكام.

جنود إبليس:

ذكر فى بعض الأخبار أن إبليس لعنه الله يبعث فى كل يوم ثلاثمائة وستين عسكرًا لإضلال المؤمنين، والله تعالى ينظر فى قلوبهم ثلاثمائة وستين نظرة ففى كل نظرة من نظراته تهلك عسكرًا من عساكره فأنى تبقى عسكر للشيطان فى جنب نظرة الرحمن؟!!.

فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس الشيطان المخدوع، واستعملوا قلوبكم وصدوركم بالآيات والخشوع، وأسيلوا على ما فرطتم غزير الدموع، أعوذ بالله من عواقب الخلاف، أعوذ بالله من الجرأة والاستخفاف، أعوذ بالله من العصيان وقلة الاعتراف، أعوذ بالله من الباطل وشره، أعوذ بالله من العصيان وذكره، أعوذ بالله من فساد القلب، أعوذ بالله من ترادف الذنب على الذنب، أعوذ بالله من سخط الملك الرب.

محاورة إبليس لموسى:

روى أن الشيطان لعنة الله عليه قال لموسى بن عمران صلوات الله على نبينا وعليه: لا تخلون بامرأة غير ذى محرم فأكون ثالثكما، ولا تقضين فأنال منك، وإذا هممت بصدقة فبادر إليها، فإنك إن لم تبادر إليها فتحت لك فى ذلك سبعين بابًا من الفقر أمنعك بها من الصدقة.

وقيل فى قول الله عز وجل: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً**﴾ (البقرة: ٢٦٨) الآية، أى: يردك الشيطان إلى نفسك ولينسيك اشتغالك بربك، وقيل: يعدكم الفقر فى طلب فوق الكفاف فيكون عندك ما يكفيك وأنت تحرص على جمع الزيادة وهو الفقر اللازم فيردك عن غنى الكفاية إلى طلب المزيد وهو الفقر الحاضر الذى يؤدى صاحبه إلى العذاب الدائم الشديد، وقيل: يعدكم الفقر فى البذل والعطاء فى مرضاة الله عز وجل وهو الغنى لأن الله تعالى يعدكم مغفرة وفضلاً فينبغى للعبد أن يذكر منن الله عليه، وإحسانه وإفضاله لديه.

أصل البخل والكرم:

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى قال فى محكم التنزيل على لسان محمد رسوله ﷺ: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (الحشر: ٩) ومن هو بخيل شحيح فليس بواق ولا مفلح، واعلم أن البخل شجرة فى النار وأغصانها مدلاة على الدنيا وهى شجرة الشيطان فمن تعلق بغصن منها قادته إلى النار، وكذلك الكرم شجرة فى الجنة وأغصانها مدلاة على الدنيا فمن تعلق بغصن منها جذبه إلى النعيم، والكرم من أخلاق الملك الكريم، فمن تعلق به فقد أسخط الشيطان الرجيم، ودليل هذا أن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيًا قط إلا وهو كريم، ولا رأيتم عبداً صالحًا إلا وهو كريم، قال: فالكرم من أخلاق النبيين والصديقين، وهو من أخلاق رب العالمين فاستعملوه بينكم يا معشر المؤمنين والمؤمنات يا أمة محمد خاتم النبيين، أعوذ بالله من عين لا تبكى عليه، أعوذ بالله من الذل إلا إليه.

نجاة المستعيذ من العذاب:

واعلموا عباد الله أن المستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ناج من العذاب الأليم، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: ٢٦٨) وإنما يأمركم بالفحشاء ليحرق غيره كما أحرق نفسه.

قال الله تعالى: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** ﴾ (النساء: ٨٩) أعوذ بالله من اللهو والغفلات، أعوذ بالله من العذاب والحسرات، أعوذ بالله من غضب إله الأرض والسموات.

إخوانى أطيعوا مولاكم الملك الجليل ودعوا كيد الشيطان المهين الذليل، واعملوا بالسنة والتنزيل.

خصال الخير عن الإمام على:

روى عن على بن أبى طالب ﷺ أنه قال: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا، ولا عن النار مهربًا، **أولهما**: من عرف الله فأطاعه، **والثانية**: من عرف الشيطان فعصاه، **والثالثة**: من عرف الحق فاتبعه، **والرابعة**: من عرف الباطل فاجتنبه، **والخامسة**: من عرف الدنيا فأعرض عنها، **والسادسة**: من عرف الجنة فطلبها، فالله الله عباد الله اجتهدوا فى طاعة الرحمن الرحيم، واجتنبوا كيد الشيطان الرجيم.

من رأى إبليس من الصحابة والصالحين:

روى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: رأيت إبليس اللعين فى المنام منكوسًا فهممت أن أقرعه بالعصا فقال لى: يا أبا سعيد أما علمت أنى لا أخاف من العصا ولا من الأسلحة؟ قال: فقلت له: يا ملعون فما الذى تخافه؟ قال: أخاف من شيئين، **أحدهما**: استعاذة المستعيذين، **والثانى**: شعاع معرفة الصادقين.

أعوذ بالله ممن لا يشفق على نفسه، أعوذ بالله ممن لا يبكى على رمسه، أعوذ بالله ممن لا يقدم ليومه من أمسه.

حُكى عن الجنيد رحمة الله عليه أنه قال: رأيت إبليس فى المنام عريانًا يتلاعب بالناس فقلت: أما تستحى من الناس؟ فقال الملعون: بالله عليك هؤلاء عندك ناس؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة، فقلت له: يا ملعون ومن الناس؟ قال: ثلاثة نفر بمسجد الشيرازى - كذا سمى المسجد - أمرضوا كبدى، وأنحلوا جسمى: (كلما) هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فاكاد أن أحترق، قال الجنيد: فانتبهت وقد بقى من الليل بقية، فخرجت إلى المسجد الذى ذكر الملعون فدخلته، فإذا بثلاثة نفر قعود رءوسهم فى مرقعاتهم، فقال لى أحدهم: يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيئًا تقبله!

يا أخى اعلم أن من تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد ثبت على الدين القويم، وذلك أن الله سبحانه أخبر عن إبليس اللعين: ﴿ **لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ (**الأعراف: ١٦**)، وذلك أنه بعثه الله تعالى قاطعًا طريق الدين كما أن اللصوص قطاع لطريق الدنيا على المسلمين، فإبليس لعنه الله قاطع طريق العقبى ليصدكم عن الحق والهدى، فإذا استعذت منه هرب منك ولم يقدر على قطع طريق الدين.

وقاية الله من إبليس:

قال الله سبحانه: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ** ﴾ (**الأعراف: ٢٠٠**) وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ (**النحل: ٩٩**) الآية، وقد أمر الله تعالى عباده أن يقولوا فى الصلاة سبع عشرة مرة فى سبع عشرة ركعة وهى عدد ركعات الفرض: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ (**الفاتحة: ٦**) فأنى يضركم كيد الشيطان الرجيم؟!.

اعلم يا أخى المسلم أن البيت المعمور كان فى الأرض إلى وقت طوفان نوح عليه الصلاة والسلام، فحفظ من الغرق وسلم من الطوفان ورفع إلى السماء، وقلب المؤمن أفضل من البيت المعمور أكثر من ألف ألف مرة فهو بالحفظ أولى، لأن البيت المعمور معمور بعبادة الملائكة وقلب المؤمن معمور بنظر الخالق إليه، فشتان ما بينهما(١٢).

(١٢) هذه الرواية لا تصح ولا دليل عليها من الكتاب أو السنة الصحيحة لأنه لم يرد أن البيت المعمور =

ذكر عن أبى سعيد أنه قال فى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥) كأنه يقول: إن كان لك عليهم سلطان أن تلقيهم فى معصية الله، فليس لك عليهم أن تمنعهم من مغفرة الله.

وقول آخر: إن كان للشيطان سلطان فى إلقاء العبد فى المعصية، فأولى أن يكون لمغفرة الله سلطان فى تطهير العبد من الخطيئة، وليست قوة الشيطان بأكثر قوة من مغفرة الرحمن فى قلوب أهل الإيمان، أعوذ بالله من كثرة الفساد، أعوذ بالله من ظلم العباد، أعوذ بالله من غضب رب جواد، أعوذ بالله من عذاب يوم التناد، أعوذ بالله من القطع والبعاد، وأنشدوا:

أعـــوذ بالرحـــمن من مـــوقف ... يشـــهـــده المـــؤمن والكافـــر
إن كنتُ بئس العبد يا سيدى ... فـــأنت رب ســـيـــد غـــافـــر

ضعف الإنسان والشيطان:

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى سمى الإنسان ضعيفًا، وقال فى آية أخرى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦) والضعيفان إذا اقتتلا ولم يكن لواحد منهما معين لم يظفر بصاحبه، فأمر الله الإنسان الضعيف أن يستعين بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف ليعصمه منه ويعينه عليه، من كان فى معونته الإله العظيم، لم يضره كيد الشيطان الرجيم، من كان فى معونته الملك الوهاب، لم يضره كيد الشيطان الكذاب، من كان فى معونته الملك القهار، لم يضره كيد الشيطان الفرار، من كان فى معونته الملك الرحمن لم يضره كيد الشيطان، وأنشدوا:

العـــبـــد فى جـــوار الإله وحـــفظه ... من كل شـــيطان غـــوى ســـاه
إن عـاذ بالرحـمن عند صباحه ... وكـــذاك إن أمـــسى بذكـــر الله

دعاء يعصم من الشيطان:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من قال حين يصبح وحين يمسى: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، قال قرينه: عوفى هذا العبد منى اليوم»(١٣).

= كان فى الأرض يومًا ولعل هذا متلقى من أهل الكتاب، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير تفسير سورة النور (٣٣).

(١٣) صح هذا الحديث فى دخول المسجد وليس هو من أذكار الصباح والمساء وقد رواه أبو داود (٤٤٦) وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود (٤٤١) وصحيح الجامع (٤٥٩١).

شعر:

يا رجائي في بلائي لا تزل عني خيرك
أنت ربي أنت حسبي أنا لا أعبد غيرك

أعوذ بالله من عدم الإخلاص، أعوذ بالله من هول يوم القصاص، أعوذ بالله من ترك الاستقامة، أعوذ بالله من العذاب والملامة، أعوذ بالله من هول يوم القيامة، أعوذ بالله من حرمان الكرامة.

لماذا حجب الله إبليس؟

يا أخي إن الله تعالى لما قبح صورة إبليس ولعنه وشوه خلقته، وأوحش هيأته وقامته، لطف بعباده حيث ستره عنهم، حتى لا تستوحش قلوبهم إذا أبصرته أعينهم، ولذلك جعل المولى جل جلاله السماء موضع نظرهم، وزينها بعلامات الرسوم، وحفظها من الشيطان الرجيم برواصد النجوم، فكأنه قال سبحانه: يا عبادي لا يصلح لأبصاركم ما كان مشوهًا قبيحًا، بل يصلح لها ما كان مزينا مليحًا، هذه معاملته سبحانه وتعالى مع جميع الناس في الدنيا، فأولى أن يلطف بالمؤمنين في العقبى، يصون أبصارهم عن النظر إلى النار الكبرى وهي الجحيم، ويكرمها بالنظر إلى الدار المزينة، وهي جنة النعيم، أعوذ بالله من مخالفة الأحكام، أعوذ بالله من التمادي في الآثام، أعوذ بالله من معصية السلام، أعوذ بالله من عذاب القبر.

زينة السماء:

روى عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تبارك وتعالى الجنة قال لها: تزيني، فازينت، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١)»[١٤] فجعل الله تعالى السماء في الدنيا موضع نظرك، وجعل الجنة المزينة في العقبى موضع ترغبك، فإذا ستر الله تعالى إبليس الملعون في الدنيا وغيبه عن بصرك لئلا يستوحش قلبك بقبح صورته، فأولى أن يستر أعمالك القبيحة من الفساد والآثام من الفضيحة يوم التناد على رءوس الأشهاد.

لطف الله بعباده فستر إبليس عنهم فقال: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ (**الأعراف**: ٢٧) فكأنه سبحانه وتعالى قال لعبده المؤمن: أنا حبيبك الأعظم، وإن إبليس

---

(١٤) **ضعيف**: رواه ابن عدى في الكامل (٥/ ١٨٣٧) والحاكم (٢/ ٣٩٢) وصححه وتعقبه الذهبي فقال: ضعيف، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٣٣) والخطيب في التاريخ (١٠/ ١١٨) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٢٨٣، ١٢٨٤).

عدوك الأعظم، فلو رأيته وهو أعظم أعدائك عليك لشق ذلك عليك فسترته عنك ليكون حزن الدنيا ونصبها، وترادف همومها وغمومها، أهون عليك، وكان أيضًا يجتمع عليك مغيب حبيبك الأعظم، ورؤيتك عدوك الأعظم، فغيب إبليس عنك حتى لا تراه كما لا ترى حبيبك الأعظم فيكون الأمر أهون عليك.

أعوذ بالله من التضليل والتسويف، أعوذ بالله من الزيغ والتحريف، أعوذ بالله من سخط الرب اللطيف.

حكى عن سهل بن عبد الله التسترى رحمة الله عليه قال: رأيت إبليس اللعين فى المنام فقلت له: أى شيء أشد عليك؟ فقال: استعاذة المستعيذ برب العالمين الذى هو أرحم الراحمين.

طهارة العاصى ونجاسة المعصية:

واعلم يا أخى أن العبد المؤمن وإن أطاع الشيطان بنفسه فهو غير راض بقلبه، وإنما مثله كمثل الواقع فى نجاسة وبين يديه غدير[١٥] ماء طاهر فيكون قلبه مع الماء وإن كانت نفسه فى النجاسة، فيكون سببًا لطهارته من المعصية، كذلك نفس المؤمن وإن كانت فى نجاسة المعصية فإن قلبه مع الله ومع محبته فيكون ذلك سببًا لطهارته من المعصية، والأصل فى هذا أن الله يعامل العباد على عقائد قلوبهم، كما قال النبى ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»[١٦].

وفى هذا الحديث نكتة حسنة وهى أن المنافق يذكر كلمة التوحيد باللسان وهو لا يرضاها بالقلب فهو لا يثاب يوم القيامة على إقراره باللسان، هكذا المؤمن يعمل المعاصى بالإدمان لكنه لا يرضاها فنرجو ألا يعاقب.

شعر:

إنى تعوذت بالعظيم	الأول الآخر القديم
ذى الطول والفضل والمعالى	الماجد الواجد الكريم
من شر نفسى ومن هواها	وشر شيطانها الرجيم

أعوذ بالله من شر لا يزول، أعوذ بالله من عذاب لا يحول، أعوذ بالله من مخالفة الرسول ﷺ.

---

(١٥) الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل أى يتركها، وقيل: هو النهر الصغير.

(١٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤) بلفظ «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» وأشار بأصابعه إلى صوره.

التمسك بالسنة وعدم مخالفتها:

عباد الله عليكم بطاعة سيد المرسلين، والتمسك بسنة خاتم النبيين، وبمخالفة الشيطان اللعين، ينجيكم مولاكم من العذاب المهين، ويدخلكم الجنة مع أوليائه المتقين، وتنظروا إلى وجه رب العالمين.

أعوذ بالله الذى لم يتخذ ولداً — وقدر خلقه تقديرا
أعوذ بالله العلى مكانه — ذى العرش لم نعلم سواه مجيرا
من حر نار لا تفتر عنهم — من حرها للظالمين سعيرا
وكذا السلاسل والعذاب لمن طغى — يدعون فيها حسرة وثبورا

أعوذ بالله من الملوك العاتية، أعوذ بالله من القلوب القاسية، أعوذ بالله من الهوام العادية، أعوذ بالله من اللصوص الضارية، أعوذ بالله من جور السلاطين، أعوذ بالله من كيد الشياطين، أعوذ بالله من أذى المساكين.

إخواننا إياكم ومخالفة السنة، فإن ذلك يبعدكم من الجنة.

وروى عن مجاهد رحمه الله أنه قال: من ذرية إبليس اللعين ولد يسمى زكبتور وهو صاحب الأسواق يضع فيها رايته كل يوم، فالله الله عباد الله، لا تبذلوا مهجتكم للنيران، ولا ترضوا بالزيادة والنقصان، فى المكيال والميزان، فإن ذلك يؤدى إلى عذاب النيران.

كيف أهلك النبى عفريتا؟:

روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام معه، فجعل النبى ﷺ يقرأ، فإذا بعفريت قد أقبل من مردة الجن فى يده شعلة نار وهو يقرب من النبى ﷺ، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد ألا أعلمك كلمات تقولها فينكب العفريت لوجهه وتطفأ شعلته؟ قال له: «قل: أعوذ بنور وجه الله الكريم وكلماته التامات التى لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، من شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن»[(١٧)] فقالها النبى ﷺ فكب العفريت على وجهه وطفئت شعلته.

سليمان وإبليس:

وذكر أن إبليس لعنه الله لقى سليمان عليه السلام فقال له سليمان: يا ملعون ما أنت صانع بأمة محمد ﷺ؟ فقال له الملعون: يا سليمان لا أدعهم حتى تكون الدنيا والدرهم

---

(١٧) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤١٩) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤).

أشهى عندهم من شهادة أن لا إله إلا الله، فتحفظوا رحمكم الله من هذا كله فإنها حبائل الشيطان.

نصائح من خطبة الوداع:

روى عن النبى ﷺ أنه قال فى خطبة الوداع: «أيها الناس إنى لكم ناصح أمين ألا وإن إبليس قد يئس منكم لا تعبدون صنمًا أبدًا، ولكن والذى بعثنى بالحق ليجعلنكم إبليس - لعنه الله - أن تعبدوا ألف إله، يعبد الرجل إبله، والآخر امرأته، والآخر غنمه، والآخر حرثه، والآخر تجارته، والآخر صنعته، والآخر مركبه، والآخر صديقه، يقول الرجل للرجل: كيف حالك؟ فيقول له: لولا تجارتى ما كان لى حال، والآخر يقول: لولا حرثى، فينسيه ذكر مولاه ويتبعه فى دنياه، ويقطعه عن أخراه»(١٨).

يا بن آدم ما اغترارك بمن إليه اضطرارك، وما احتقارك بمن إليه افتقارك، يا بن آدم إن كنت بالنهار هائمًا وبالليل نائمًا، متى تُرضى من كان بأمرك قائمًا؟ يا بن آدم توكل على الملك الخلاق، الذى يتكفل بقسمة الأرزاق، توكل يا أخى عليه، وأسند أمورك إليه، فإنه لا يملكها غيره.

أعوان الشيطان من بنى آدم:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن للشيطان أعوانًا من بنى آدم يبعثهم الملعون إلى المؤمنين يشغلونهم عن الصلاة، وعن الصدقة، وعن ذكر الله، ويحبب إليهم كسب السحت والحرام، والذى بعثنى بالحق ليعبدون الدنيا والدرهم أشد من عبادة الأوثان»(١٩) أعوذ بالله من الركون إلى الهوى، أعوذ بالله من الضلالة والردى، أعوذ بالله من معصية إله السما.

آدم وخروجه من الجنة:

ذكر أن عبد الله بن سهل التسترى رحمه الله قال: لما أخرج آدم من الجنة دار الكرامة والأمان وأنزله إلى دار الذل والهوان والبلاء والامتحان، قال الله تعالى: يا بن آدم أسكنتك فى جوارى فعصيتنى، وأطعت الشيطان وتركتنى، وعزتى وجلالى لأسكننك فى جواره لتطيعنى وتعصيه، وتحبنى وتبغضه، فإذا كان يوم القيامة أقول: لك طاعة بطاعة ومعصية بمحبة ثم أدخلك الجنة.

---

(١٨) لم أعثر عليه وقد أورده المصنف بلفظ «روى» للتضعيف.

(١٩) لم أعثر عليه وقد أورده المصنف بلفظ روى.

جاء فى بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم وذريته أودع قلبه أربعة أشياء، وهى: المعرفة، والعقل، والإيمان، واليقين، فصار خزانة لهذه الأشياء، وسلط على قلبه أربعة أعداء وهم: إبليس، والهوى، والنفس، والدنيا، وضمن إبليس لأصحابه الوصول إليها كما قال تعالى فى كتابه: ﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ**﴾ (الأعراف: ١٧) فلما علم المولى جل جلاله عن ضعف ابن آدم وقلة مقدرته على مدافعته علمه أربعة أسماء من أسمائه يتحصن بها من إبليس وجنوده وهى: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، فكأنه سبحانه قال: يا بن آدم أنا الأول أحفظ معرفتك لى من بين يديك، وأنا الآخر أحفظ عقلك، وأنا الظاهر أحفظ إيمانك عن يمينك، وأنا الباطن أحفظ يقينك عن شمالك.

اختصاص إبليس ببعض الجهات:

سئل بعض الحكماء: ما الحكمة فى أن لم يعط إبليس اثنان من بنى آدم وأعطى أربعة؟ أعطى من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، من الجهات الأربع، ولم يعط إبليس أن يأتيه من فوق ولا من تحت؟ قال: لأن الأربع جهات تدخلها المشاركة فى الأعمال، وفوق موضع نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين، وتحت موضع سجود الساجدين بين يدى رب العالمين، عصمنا الله وإياكم من فتنته عصمة يدخلنا بها فى رحمته وتاب علينا وعلى جميع المذنبين، إنه تواب رحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

٢- مجلس في ذكر القيامة وأهوالها أجارنا الله منها:

تفسير سورة الزلزلة وما تشير إليه

قال الله عز وجل: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (الزلزلة: ١).

هذه السورة مكية محكمة بالوعد والوعيد يخوف الله تبارك وتعالى بها عباده ويذكرهم فيها تزلزل الأرض وقيام الساعة لينتهوا عما نهاهم عنه من العصيان، ويمتثلوا ما أمرهم به من الطاعة والإيمان، وخوفهم الله تبارك وتعالى من يوم القيامة ليستعدوا لها ولعظيم أهوالها، قال الله سبحانه وبحمده: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ يقول: إذا تحركت الأرض بأهلها فزلزلت من نواحيها وارتجب من مشرقها ومغربها، فلا تزال كذلك حتى يكسر ما على ظهرها من جبل وبناء فلا تسكن حتى يدخل في بطنها جميع ما خرج منها وزلزلتها من شدة صوت إسرافيل عليه السلام، وذلك إذا فرغت أحيان الدنيا وساعاتها وشهورها وأوقاتها وأعوامها وأيامها وحلالها وحرامها، وذلك إذا خمد الحق وظهر الباطل وترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وركبوا المآثم واستحلوا المحارم وكثر بينهم التظالم، وترك الجهاد، وظهر الفساد، وفشا الربا، وكثر اللواط والزنا، وركبوا الفواحش والفجور، واستعانوا على ذلك كله بشرب الخمور، وأمر قوم بالمعروف وتركوه ونهوا عن المنكر وفعلوه، وكرهوا الحق واتبعوا أهواءهم، وقرئ القرآن فلم يعمل به، واسودت القلوب وكثرت الفواحش والعيوب، وتزين الفساق بالمعاصي والذنوب فإذا كانوا كذلك اشتد غضب الجبار جل جلاله عليهم فعند ذلك يقول الله: يا إسرافيل انفخ الصعق، فينفخ إسرافيل عند ذلك كما أمره الجبار جل جلاله فتزلزل الأرض من مشرقها إلى مغربها، وذلك من غضبة يغضبها الجبار على المنافقين والفجار.

صفة إسرافيل:

وإسرافيل عليه السلام ملك عظيم، جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب، ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة السفلى بخمسمائة عام، والسموات السبع إلى ركبتيه، وعنقه ملوى تحت العرش، والعرش على كاهله، وقد مدّ الرِّجْلَ اليمنى وأخَّر اليسرى، واللوح

المحفوظ بين عينيه، وقد التقم الصور، وشخص ببصره نحو العرش، وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر بالنفخ فى الصور، والصور قرن من نور.

قال النبى ﷺ: «الصور قرن من نور، والذى نفسى بيده إن أعظم ثارة فيه كما بين السماء والأرض»(٢٠).

ورُوى عنه ﷺ أنه قال: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وشخص ببصره نحو العرش وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فى الصور»(٢١) فإذا نفخ فيه مات أهل السموات والأرض إلا أربعة أملاك فإنهم لا يموتون إلا بعد موت الخلائق وهم، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فمن شدة صوت إسرافيل تتحرك الأرض من مشرقها إلى مغربها فلا يبقى عليها بناء إلا انهدم إلا المساجد فإن أساسها يبقى لا ينهدم لفضلها عند الله تبارك وتعالى، لما عبد فيها ووحد وقرئ كلامه فيها وذلك قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ (القصص: ٨٨) جاء فى التفسير أن الأشياء كلها تهلك إلا عملاً يراد به وجه الله تعالى، والمساجد لا تهلك لأنها إنما بنيت لوجه الله تعالى.

خشية النبى ﷺ من هبوب الريح:

روى عن النبى ﷺ أنه كان إذا هبت الريح تغير لونه، وكان يخرج ويدخل مرة بعد أخرى من شدة خوف قيام الساعة وزلزلة الأرض(٢٢)، فإذا كان رسول الله ﷺ يخاف هذا الخوف كله وهو أكرم الخلق على الله؟ فكيف بمن أفنى عمره فى السهو والغفلات، وقطع أيامه باللهو والبطلات، وضيع أوقاته فى العصيان حتى مات؟؟.

وأنشدوا:

نهارك يا مغرور سهو وغفلةٌ ... وليلك نومٌ والردى لك لازمٌ
وشغلك فيما سوف تكره غبه ... كذلك فى الدنيا تعيش البهائم
وفعلك فعل الجاهلين بربهم ... وعمرك فى النقصان بل أنت ظالم
فلا أنت فى الأيقاظ يقظان حازم ... ولا أنت فى النوام ناجٍ وسالم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سر باللذات فى النوم حالم
فلا تحمد الدنيا ولكن فذمها ... ولا تكثر العصيان إنك ظالم

---

(٢٠) لم أجده بهذا اللفظ لكن روى الترمذى (٢٤٣٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال: «الصور قرن» وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٠٨٠).

(٢١) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٤٣١) أحمد (١٠٦٥٥) وابن المبارك فى الزهد (١٥٩٧) وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٠٧٨، ١٠٧٩) وصحيح الترمذى (٢٥٨٥).

(٢٢) **صحيح**: رواه البخارى (٤٨٢٩) مسلم (٨٩٩).

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «انتهيت ليلة أسرى بى إلى السماء السابعة فرأيت إسرافيل قد حنى جبهته، وقدم رجلاً وأخر أخرى، والعرش على منكبه، والصور فى فيه بين شدقيه، وقد تهيأ للنفخ فى الصور فما ظننت أن أبلغ الأرض حتى تبلغنى النفخة لما رأيت من تهيئته للنفخ».

سئل رسول الله ﷺ عن إسرافيل، فقال: «له جناح بالمشرق، وجناح له بالمغرب، ورجلاه تحت الأرض السابعة السفلى، والعرش على كاهله، وإنه ليفكر فى كل يوم ثلاث ساعات فى عظمة الله تعالى، فيبكى من خوف الجبار، حتى تجرى دموعه كالبحار، فلو أن بحرًا من دموعه أذن له أن يسكب لطبق بين السموات والأرض، وإنه ليتواضع ويصغر حتى يصير كالوصع» طير صغير يشبه العندليب، والعندليب: أصغر ما يكون من الطير، فالله الله يا معشر من آمن بالله واليوم الآخر استعدوا لقيام الساعة وزلزالها.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة: ١) تتحرك الأرض وتتمخض وتتطاير الجبال وتنقلع الشجر وتنهدم المبانى فلا يبقى على ظهرها من جبالها وشجرها ونباتها شيء إلا دخل فى جوفها.

قال عكرمة: إنما تقوم الساعة على شر الخلق[٢٣].

متى ينفخ فى الصور ؟:

قال حذيفة: كان الناس يسألون النبى ﷺ عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر مخافة أن يصيبنى، فكان النبى ﷺ يقول: «فى آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم فإذا غضب الله تعالى على أهل الأرض أمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ على غفلة من الناس فمن الناس من هو فى وطنه ومنهم من هو فى سوقه ومنهم من هو فى حرثه ومنهم من هو فى سفره ومنهم من يأكل فلا يرفع اللقمة إلى فيه حتى يخمد ويصعق، ومنهم من يحدث صاحبه فلا يتم الكلمة حتى يموت فتموت الخلائق كلهم عن آخرهم»[٢٤].

وإسرافيل لا يقطع الصيحة حتى تغور عيون الأرض وأنهارها ونباتها وأشجارها وجبالها وبحارها، ويدخل الكل بعضه فى بعض فى بطن الأرض، والناس خمود صرعى، فمنهم من هو صريع على وجهه، ومنهم من هو صريع على ظهره، وعلى جنبه وعلى خده، ومنهم من يكون اللقمة فى فيه فيموت وما أدرك أن يبتلعها، وتنقطع السلاسل التى فيها قناديل النجوم فتستوى بالأرض من شدة الزلزلة، وتموت ملائكة السبع سموات، والحجب

(٢٣) يشهد له ما رواه مسلم (١٩٢٤) بلفظ «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق...» الحديث.

(٢٤) لم أجده بهذا التمام لكن أوله ورد فى البخارى (٣٦٠٦) مسلم (١٨٤٧).

والسرادقات، والصافون(٢٥) والمسبحون، وحملة العرش، والكرسى، وأهل سرادقات المجد والكروبيون(٢٦) ويبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليه السلام.

كيف يموت جبريل ؟:

يقول الجبار جل جلاله: يا ملك الموت من بقي - وهو أعلم - فيقول ملك الموت: سيدى ومولاى أنت أعلم، بقى إسرافيل، وبقى جبريل، وبقى ميكائيل، وبقى عبدك الضعيف ملك الموت خاضع ذليل، قد ذهلت نفسه لعظيم ما عاين من الأهوال، فيقول له الجبار تبارك وتعالى: انطلق إلى جبريل فاقبض روحه، فينطلق ملك الموت إلى جبريل عليه السلام فيجده ساجداً راكعًا فيقول له: ما أغفلك عما يراد بك يا مسكين، قد مات بنو آدم وأهل الدنيا والأرض والطير والسباع، والهوام، وسكان السموات وحملة العرش والكرسى والسرادقات وسكان سدرة المنتهى وقد أمرنى المولى بقبض روحك! فعند ذلك يبكى جبريل عليه السلام ويقول متضرعًا إلى الله تعالى: يا الله هون عليَّ سكرات الموت، فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر جبريل منها صريعًا.

فيقول الجبار جل جلاله: من بقى يا ملك الموت؟ - وهو أعلم - فيقول: مولاى وسيدى بقى ميكائيل، وإسرافيل، وعبدك الضعيف ملك الموت.

* * *

كيف يموت ميكائيل ؟:

فيقول الجبار جل جلاله: انطلق إلى ميكائيل فاقبض روحه، فينطلق ملك الموت إلى ميكائيل كما أمره الله تعالى فيجده ينتظر الماء ليكيله على السحاب فيقول له: ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك! ما بقى لبنى آدم رزق ولا للأنعام ولا للوحوش ولا للهوام، قد مات أهل السموات وأهل الأرضين وأهل الحجب والسرادقات وحملة العرش والكرسى وسرادقات المجد والكروبيون والصافون والمسبحون وقد أمرنى ربى بقبض روحك، فعند ذلك يبكى ميكائيل ويتضرع إلى الله ويسأله أن يهون عليه سكرات الموت، فيحضنه ملك الموت ويضمه ضمة يقبض فيها روحه فيخر صريعًا ميتًا لا روح فيه، فيقول الجبار جل جلاله: من بقى - وهو أعلم - يا ملك الموت؟ فيقول: مولاى وسيدى أنت أعلم بقى إسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت.

---

(٢٥) الصافون: المصطفون للعبادة، وذلك لأنهم مراتب يقومون عليها صفوفًا كما يصطف المصلون.
(٢٦) الكربيون: هم المقربون مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل.

كيف يموت إسرافيل ؟:

فيقول الجبار تبارك وتعالى : انطلق إلى إسرافيل فاقبض روحه، فينطلق كما أمره الجبار إلى إسرافيل فيقول له : ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك! قد ماتت الخلائق كلها وما بقى أحد وقد أمرنى ربى ومولاى أن أقبض روحك، فيقول إسرافيل : سبحان من قهر العباد بالموت، سبحان من تفرد بالبقاء، ثم يقول : مولاى هون علىَّ مرارة الموت فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر ميتًا صريعًا، فلو كان أهل السموات فى السموات وأهل الأرض فى الأرض لماتوا كلهم من شدة وجبة وقعته .

* * *

كيف يموت ملك الموت ؟:

فيقول الجبار تبارك وتعالى : من بقى يا ملك الموت؟ ـ وهو تعالى أعلم ـ فيقول : مولاى وسيدى أنت أعلم بمن بقى، بقى عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الجبار تعالى : وعزتى وجلالى لأذيقنك ما أذقت عبادى انطلق بين الجنة والنار ومت، فينطلق بين الجنة والنار فيصيح صيحة لولا أن الله تبارك وتعالى أمات الخلائق لماتوا (عن آخرهم) من شدة صيحته فيموت، فتبقى السموات خالية من أملاكها، ساكنة أفلاكها، وتبقى الأرض خاوية من إنسها وجنها وطيرها وهوامها وسباعها وأنعامها، ويبقى الملك لله الواحد القهار الذى خلق الليل والنهار فلا ترى أنيسًا، ولا تحس حسيسًا، وقد سكنت الحركات، وخمدت الأصوات، وخلت من سكانها الأرضون والسموات .

لمن الملك اليوم ؟:

ثم يطلع الله تبارك وتعالى إلى الدنيا فقول : يا دنيا أين أنهارك؟ وأين أشجارك؟ وأين سكانك؟ وأين عمارك؟ أين الملوك وأبناء الملوك؟ وأين الجبابرة وأبناء الجبابرة؟ أين الذين أكلوا رزقى، وتقلبوا فى نعمتى وعبدوا غيرى؟ لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول تعالى : الملك لله الواحد القهار[٢٧]، فينظر الجبار جل جلاله إلى عباده موتى من بين صريع على خده ومن بين بال فى قبره، ثم يقول : يا دنيا أين أنهارك؟ وأين أشجارك؟ وأين سكانك؟ وأين عمارك؟ وأين الملوك وأين الجبابرة لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول تعالى : لله الواحد القهار، فتبقى الأرضون والسموات ليس فيهن من ينطق ولا من يتنفس ما شاء الله من ذلك[٢٨]، وقد قيل : تبقى أربعين يومًا وهو مقدار ما بين النفختين،

---

(٢٧) يشهد لهذا الجزء ما رواه البخارى (٧٣٨٢) مسلم (٢٧٨٧) .

(٢٨) رواه القرطبى فى تفسيره ١٥ / ٢٨٠ والطبرى فى تفسيره ٢٤ / ٢٩ وفى إسناده يزيد الرقاشى ضعيف .

ثم بعد ذلك ينزل الله تبارك وتعالى من السماء السابعة من بحر يقال له بحر الحيوان، ماؤه يشبه منى الرجال، ينزله ربنا أربعين عامًا فيشق ذلك الماء الأرض شقًا، فيدخل تحت الأرض إلى العظام البالية فتنبت بذلك الماء كما ينبت الزرع بالمطر.

كيفية بعث الموتى:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ (الأعراف: ٥٧) الآية، كما أخرج النبات بالمطر كذلك يخرج الموتى بماء الحياة، فتجتمع العظام والعروق واللحوم والأشعار فيرجع كل عضو إلى مكانه الذى كان فيه فى دار الدنيا فتلتئم الأجساد بقدرة الجبار جل جلاله وتبقى بلا أرواح، ثم يقول الجبار جل جلاله: ليبعثن إسرافيل، فيقوم إسرافيل عليه السلام حيًا بقدرة الله تعالى فيقول له الجبار: يا إسرافيل التقم الصور وازجر عبادى لفصل القضاء، فأول ما يحيى الله تبارك وتعالى إسرافيل ويأمره أن يلتقم الصور.

صفة الصور:

والصور قرن من نور فيه أثقاب على عدد أرواح العباد، فتجتمع الأرواح كلها فتجعل فى الصور.

أين يقف إسرافيل ؟:

ويأمر الجبار إسرافيل أن يقوم على صخرة بيت المقدس، وينادى فى الصور، وهو فى فيه قد التقمه، والصخرة أقرب ما فى الأرض إلى السماء، وهو قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (ق: ٤١) ويقول إسرافيل فى ندائه: أيتها العظام البالية واللحوم المتقطعة، والأشعار المتبددة، والعروق المتمزقة، لتقمن إلى العرض على الملك الديان، ليجازيكن بأعمالكن، فإذا نادى إسرافيل عليه السلام فى الصور خرجت الأرواح من أثقاب الصور فتنتشر بين السماء والأرض كأنها النحل يخرج من كل ثقب روح ولا يخرج من ذلك الثقب غيره، فأرواح المؤمنين تخرج من أثقابها نائرة بنور الإيمان وبنور أعمالها الصالحة، وأرواح الكفار تخرج مظلمة بظلمات الكفر، وإسرافيل يديم الصوت والأرواح قد انتشرت بين السماء والأرض، ثم تدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد، فيدخل كل روح إلى جسده الذى فارقه فى دار الدنيا فتدب الأرواح فى الأجساد كما يدب السم فى الملسوع، حتى ترجع إلى أجسادها كما كانت فى دار الدنيا، ثم تنشق الأرض من قبل رءوسهم فإذا هم قيام على أقدامهم ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، وإسرافيل عليه السلام

ينادى بهـذا النداء لا يقطع الصوت ويـمده مدًا، والخلائق يتبعون صوته والنيران تسوق الخلائق إلى أرض القيامة.

ملازمة الأعمال للأجساد:

فإذا خرجوا من قبورهم خرج مع كل إنسان عمله الذى عمله فى الدنيا، لأن عمل كل إنسان يصحبه فى قبره، فإذا كان العبد مطيعًا لربه وعمل عملاً صالحًا كان أنيسه فى الدنيا، ويكون أنيسه إذا خرج من قبره يوم حشره يؤنسه من الأهوال ومن هموم يوم القيامة وكروبها، كلما نظر العبد المؤمن إلى نار أو إلى أهوال من أهوال يوم القيامة جزع، فيقول له عمله: يا حبيبى ما عليك من هذا شىء، ليس يراد به من أطاع الله وإنما يراد به من عصى الله تعالى مولاه ثم كذب بآياته واتبع هواه، وأنت كنت عبداً مطيعًا لمولاك، متبعًا لنبيك تاركا لهواك فما عليك اليوم من هم ولا حزن حى تدخل الجنة.

العمل السوء وهيأته:

وإذا كان العبد خاطئًا وعاصيًا لذى الجلال ومات على غير توبة وانتقال، فإذا خرج المغرور المسكين من قبره خرج معه عمله السوء الذى عمل فى دار الدنيا وكان قد صحبه فى قبره، فإذا نظر إليه العبد المغتر بربه رآه أسود فظيعًا فلا يمر على هول ولا نار ولا شىء من هموم القيامة إلا قال له عمله: يا عدو الله هذا كله لك وأنت المراد به، وأنشدوا:

أى يوم يكون يوم النشور ... يوم فيه يفوز أهل القبور
يوم فيه الجزاء جنة عدن ... لمطيع ومن عصى فى سعير
خاب من قد عصى وفاز مطيع ... راقب الله فى جميع الأمور
قام فى الليل للإله ذليلاً ... ليس يخلو من خوفه للقدير
خاف من عظم يوم هول شديد ... شدة الهول من عذاب الزفير

فالله الله عباد الله، معشر المريدين انتبهوا من هذا المنام، واهجروا الفواحش والآثام، وارجعوا إلى طاعة الملك العلام، من قبل أن يأتى يوم تشقق السماء فيه بالغمام.

إخراج الأرض ما فيها:

قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (الزلزلة: ٢) يعنى ما فيها من الموتى والكنوز، وما أودعها من أعمال العباد ومن مخبآت أسرارهم من أعمال الطاعة وأعمال العصيان فيأمر الله تعالى أن تخرج أعمال العباد، وذلك أن العبد إذا خرج من قبره يجد عمله على شفير قبره، فإذا كان عمله صالحًا وجده نوراً يستره ويحجبه، يستر عورته من

أعين الناس ويحجبه عن النيران التى تسوق الناس إلى أرض القيامة، وإن كان عملاً سيئًا وجده ظلمة سوداء تكون عليه أشد من كل هول يلقاه من أهوال يوم القيامة.

هذا كله في النفخة الثانية، وبين النفخة الأولى والثانية أربعون سنة(٢٩) فهو قوله: ﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾.

فمثل لنفسك يا مغرور وقد ترادفت عليك الهموم والكروب، وأحاطت بك الأهوال والخطوب، وأظهرت لك القبائح والعيوب، وأثقلت ظهرك الأوزار والذنوب، وأنشدوا:

قد سودت وجهى المعاصى	وأثقلت ظهرى الذنوب
أورثنى ذكرها سقاما	فليس لى فى الورى طبيب
يا شؤم نفسى غداة حشرى	إذا أحاطت بى الكروب
وصوت داع دعا باسمى	أين مفرى وما أجيب؟
هذا كتاب الذنوب فاقرأ	فعندها تظهر العيوب

ذكر أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله السوء حزمة وملك من ملائكة العذاب واقف عليها، فإذا نظر إلى ما قدم فى أيامه قال له الملك: يا عدو الله خذ عملك فاحمله على ظهرك كما كنت تلتذ به فى الدنيا ولم تراقب مولاك، وقد علمت أنه مطلع عليك ويراك، فيأخذ العبد المسكين تلك الحزمة فيجدها على ظهره أثقل من جبال الدنيا والنار تسوقه إلى الموقف، وملك يسوقه سوقًا حثيثًا بالعنف والانتهار والإغلاظ عليه، وآخر يشهد عليه مع علم الله فيه.

وأنشدوا:

كيف احتيالى إذا جاء الحساب غداً	وقد حشرت بأثقالى وأوزارى
وقد نظرت إلى صحفى مسودة	من شؤم ذنب قديم العهد أوطارى
وقد تجلى لهتك الستر خالقنا	يوم المعاد ويوم الذل والعار
يفوز كل مطيع للعزيز غداً	بدار عدن وأشجار وأنهار
لهم نعيم خلود لا نفاد له	يُخَلَّدون بدار الواحد البارى
ومن عصى فى قرار النار مسكنه	لا يستريح من التعذيب فى النار
فابكوا كثيراً فقد حق البكاء لكم	من التعذيب بدمع واكف جارى

فالله الله يا أولى الألباب، تفكرو فى هول يوم الحساب، ولا تنسوا المطالبة برد

(٢٩) صحيح: رواه البخارى (٤٩٣٥) مسلم (٢٩٥٥).

الجواب، وأشفقوا على أنفسكم من أليم العذاب، وارجعوا إلى طاعة رب الأرباب، وابكوا على ما سلف من ذنوبكم بانتحاب.

مدة النفخ فى الصور:

ذُكر أن إسرافيل عليه السلام لا يقطع النداء فى الصور حتى تُخرج الأرض جميع ما فيها من الموتى ومما أودعها الله تعالى من شيء، فإذا كمل العباد فى الموقف وكل إنس الأرض وجنها ووحوشها ودوابها وطيرها وأنعامها وهوامها حتى الذباب، قطع إسرافيل النداء بأمر الله تعالى وذلك بعد تبديل الأرض غير الأرض والسموات، ففى تبديلها قولان:

هيئة أرض الحساب:

أحدها: أن الأرض التى يحاسب العباد عليها هى أرض من فضة بيضاء[٣٠] لا جبل فيها ولا بناء ولا أنهار ولا أشجار، وما سفك عليها من دم ولا عصى الله تعالى عليها يأتى بها من غامض علمه ويقول لها كونى فتكون، وقد أضرم تحتها النيران، وتكون هذه الأرض فى عظم تلك الأرض مثل الشعرة البيضاء فى الثور الأسود.

وقد قيل: إن تبديل الأرض هدم مبانيها، وغور مياهها، وانقطاع أشجارها، وتسجير بحارها، وتسيير جبالها، وتبديل السماء وتكوير الشمس وقمرها، وانكدار نجومها، وتعطيل أفلاكها، وتشققها، فهذه تبديل الأرض والسموات، والله أعلم.

كيف يقف الناس فى المحشر:

فإذا قطع إسرافيل عليه السلام النداء وقف الخلائق كل واحد منهم ينظر إلى السماء ولا يرتد إليه طرفه ولا يدرى أحد من يقف بجواره لا رجل ولا امرأة ولا يدرى الأخ بأخيه ولا الوالد بولده ولا الأم بابنها، كل إنسان منهم مشغول بما هو فيه من عظيم الأهوال، وكل واحد منهم يفكر بما قد جاء به من العصيان، وفرط فيه من الطاعة والنسيان، فالكل ينظر إلى ما ينزل به الأمر من السماء من شقاوة، أو سعادة.

مقدار زمن الحشر:

ويقال والله أعلم: إن الوقوف يكون مقداره ثلاثمائة سنة من سنين الدنيا لا خبر يتنزل ولا خبر يصعد، قد كثر الزحام فلا تسمع إلا همس الأقدام حيارى نادمون فيما فرطوا فيه من استزلال القدم، يومئذ لا ينفع البكاء ولا الندم.

---

(٣٠) صحيح: كما روى مسلم (٢٧٩٠) عن سهل بن سعيد عن النبى ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد» وبنحوه البخارى (٦٥٢١).

وأنشدوا:

ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور
إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور
إنما الدنيا متاع كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم السما فيها تمور

* * *

بكاء النبي ﷺ من أهوال القيامة:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خوفني جبريل عليه السلام من أهوال يوم القيامة حتى أبكاني فقلت له: حبيبي جبريل أليس قد غفر الله لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر؟ فقال: يا محمد لتشاهدن من الأهوال يوم القيامة ما ينسيك المغفرة» فبكى رسول الله ﷺ حتى بلت دموعه لحيته(٣١).

فإذا كان رسول الله ﷺ يبكي من هول يوم الحساب وقد أمنه الجبار من أليم العذاب، ووعده بالجنة وحسن المآب، فكيف بأمثالنا المساكين؟ وكيف بمن ترك الحق والصواب وخالف السنة والكتاب، وأطاع الشيطان وأفنى عمره في معصية الملك الوهاب؟ وقد قيل في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (الفجر: ٢١) هو تحريكها، وقيل: دكا دكا إذهابا.

معنى دك الأرض وانشقاقها:

سئل بعض العلماء عن معنى تكرار هاتين الكلمتين، دكا دكا وصفا صفا؟ فقال: تدكدك الأرض دكا بعد دك، أي تحرك مرة بعد أخرى حتى لا يبقى عليها أثر من بناء أو جبل أو شجر، وقوله: ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: ٢٢) تاتي الملائكة صفًا بعد صف كل ملك قد شغل بنفسه لعظم ما يرى من ظهور الأهوال، فإذا كثر زلزال الأرض ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (الحاقة: ١٤) حتى تنقطع الجبال من أصولها وتنشق الأرض وتغور فيها أنهارها وعيونها ويدخل فيها كل قصر (مشيد) من بين قديم وجديد، فيا له من يوم ما أهوله ومن بلاء ما أطوله، ومن جبار ما أعدله، قد أفنى العباد بالحمَام(٣٢) فلا يرى أحد من الأنام، فإذا استوى الأولون والآخرون في أرض القيامة أمر الله تبارك وتعالى

---

(٣١) ذكره القرطبي في تفسيره (٦/ ٣١٦) بدون إسناد وإنما قال ففي الخبر.
(٣٢) الحمام: الموت.

السموات أن تنشق فتنشق كل سماء وتتقطع مثل قطع السحاب، وقيل: كما يتطاير القطن بين يدى القطانين إذا ندفوه، فمثل لنفسك صوت انشقاقها فى سمعك، وكيف يثبت له فؤادك، ويستقر لفظاعة هوله قدمك، فقدم فى أيام حياتك ما يقيك تلك الأهوال لأن الخلق فى أهوال يوم القيامة على قدر أعمالهم فى الدنيا من خير وشر، فمن عمل صالحا وخاف من ربه وخاف من هول ذلك اليوم أمنه مولاه من جميع أهواله وكروبه، ومن لم يقدم فى دنياه عملاً صالحًا لأخراه لقيته صعاب الخطوب، وترادفت عليه الهموم والكروب، فيندم حتى لا تنفعه الندامة إذا حل فى أهوال القيامة.

الأمن والخوف:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى: إذا خافنى عبدى فى الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا آمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة»(٣٣) فإذا انشقت السموات بلغت القلوب الحناجر، وأيقن كل عبد وأمة أنه قادم على ما عمل فى الظواهر والسرائر، إذا انشقت السماوات عظمت المصائب، وكثرت النوائب، وندم العبد على ما فرط فى الدنيا وضيع من الثواب والرغائب.

فإذا انشقت السموات عظمت الرزيات(٣٤)، وكثرت الآفات، وظهر العذاب وحلت العقوبات، وأظهر الله مخبآت السريرات، وندم العبد المغرور على ما أذنب فى الأيام والأوقات، وما جنى فى الشهور والساعات.

فإذا انشقت السموات كثرت الأحزان، وبرزت النيران، وأزلفت الجنان، وندم العاصى على ما عمل من العصيان، وعلى ما فرط فيه من طاعة الرحمن، فانتبهوا لهذه الأهوال يا معشر الإخوان، يا أهل الإسلام والإيمان، فإن الهول والله عظيم، والخطب كبير جسيم.

ملائكة سماء الدنيا:

فإذا انشقت السموات وتقطعت ونزلت الملائكة بأجمعها، فإذا نزلت ملائكة سماء الدنيا فزع منهم أهل الأرض وظنوا أنهم قد أمر فيهم بأمر، فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا:

---

(٣٣) **الحديث صحيح**: بلفظ آخر: رواه أبو نعيم فى الحلية (٦/ ٩٨) وابن المبارك فى الزهد (١٥٧) مرسلا ووصله ابن صاعد فى زوائد الزهد (١٥٨) وانظر للأهمية تحقيقى لكتاب الزهد لابن المبارك طبعة المنار فيما يخص زوائد ابن صاعد، والحديث صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧٤٢).

(٣٤) **الرزيات**: جمع «رزية» وهى المصيبة وهنا أنبه أن بعض الناس إذا خاطب الله عز وجل باسمه «الرزاق» يقول يا رزاء وهذا خطأ فاحش فلزم التنبيه.

لا تجزعوا منا فإنا نخاف من الذى تخافون، وتكون ملائكة سماء الدنيا أكثر من أهل الأرض إنسها وجنها وأنعامها وطيرها ووحشها وجميع خلق برها وبحرها سبعين ضعفًا، فتبقى العباد يموج بعضهم فى بعض.

ملائكة السماء الثانية:

ثم تنزل ملائكة السماء الثانية وهم أكثر عددًا وأعظم خلقًا ممن اجتمع فى الأرض سبعين ضعفًا، فتجزع منهم ملائكة سماء الدنيا، وجميع من فى الأرض فيقولون لهم: لا تجزعوا نحن مشغولون بأنفسنا ونخاف مما تخافون منه، فلا تزال ملائكة كل سماء تنزل ويجزع منهم جميع من سبقهم، ويكون أهل كل سماء أكثر وأعظم ممن سبقهم سبعين ضعفًا، وكأن أهل كل سماء فى صف واحد على حدة كل واحد منهم قد شغل بنفسه من عظيم ما يرى وما يبدو له، وأنشدوا:

يا غافلين أفيقوا قبل بعثكم ... وقبل يؤخذ بالأقدام واللمم
والناس أجمع طرًا شاخصون غدا ... لا ينطقون بلا بكم ولا صمم
والخلق قد شغلوا والحشر جامعهم ... والله طالبهم بالحل والحرم
وقد تبدى لأهل الجمع كلهم ... وعد الإله من التعذيب والنقم
وكل نفس لدى الجبار شاخصة ... لا ينطقون بلا روح من الزحم

الجبابرة فى الحشر كالذر:

روى أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صورة الذر(٣٥) أصغر الناس خلقة لتجبرهم على العباد فى الدنيا قد صارت العزة للغنى الحميد، ولزمت الذلة كل جبار عنيد وشيطان مريد، قد ترادفت عليهم الهموم والأهوال وظهرت لهم العقوبات والأنكال، وندم كل مذنب بطال، فحينئذ لا حيلة لمحتال فى يوم لا بيع فيه ولا خلال، شعر:

مقام المذنبين غدًا عسير ... إذا ما النار قربها القدير
وقد نصب الصراط لكى تجوزوا ... فلا ينجو الكبير ولا الصغير
وقد نُسفَتْ جبال الأرض نسفًا ... ويُبِّست البحور فلا بحور
وبرزت الجحيم لكل عبد ... على أهل المعاد لها زفير

عباد الله تفكروا واعتبروا، وابكوا وتباكوا، واستعدوا لليوم الثقيل، والهول الكبير، والخطب الجليل، والعذاب الشديد الطويل.

(٣٥) حسن: رواه الترمذى (٢٤٩٣) وأحمد (٦٦٣٩) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٤٠) بلفظ «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان».

حديث فى أهوال يوم القيامة:

ذكر فى بعض الأخبار عن النبى المصطفى المختار ﷺ وعلى آله والأخيار دوام اختلاف الليل والنهار أنه قال: «ليوم القيامة مائة ألف هول كل هول أعظم من الموت مائة ألف مرة»(٣٦) فاندم يا مسكين على ما صنعت وفات، وأصلح بالتوبة النصوح ما هو آت، من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ليس للظالمين من نصير، ولا للعاصين من مجير، ولا لأحد من ملجأ ولا نكير.

شدة الحر والظل:

فإذا تكامل أهل السموات، وأهل الحجب والسرادقات، وحملة العرش والكرسى وجميع أهل الأرض فى عرصة(٣٧) القيامة، وازدحمت الخلائق، واختلفت الأقدام، وشخصت الأحداق وتطاولت الأعناق، وانثنت من شدة العطش، واجتمع زحام الخلائق وأنفاسهم وشدة حر الشمس وضيق البأس، ارتفع العرق على وجه الأرض حتى يعلو على الأبدان ويعم العباد على قدر منازلهم ورتبتهم التى أنزلتهم عليها أعمالهم التى عملوها فى دار الدنيا، وقد زيد فى حر الشمس ما يتضاعف - قيل: حر عشر سنين - ولا ظل يومئذ إلا ظل العرش فلا يصيب منه عبد ولا أمة إلا على قدر عمله، فكم بين مستظل ناعم بظل العرش وبين صاح باد بحر الشمس!.

مطر الرحمة:

وقد قيل: إن الله تبارك وتعالى يمطر يوم القيامة الغيث على طائفة من عباده وترمى جهنم شررها على طائفة أخرى، فكم من مستريح ببرد ماء الأمطار وبين ملتهب بحر شرر النار؟! فمن قطع عمره فى الدنيا بطاعة الرحمن وعمل بالسنة والقرآن، خلصه مولاه من جميع الهموم والأحزان.

ترهيب من أهوال الحشر:

فمثل لنفسك وقد نظرت للجبال قد تقلعت من أصولها وصارت مثل السراب، وتقطعت السموات وتطايرت مثل قطع السحاب، وقد أيقن كل فاجر وكافر بالحلول فى أليم العذاب، وقد صارت العزة لذى البطش الشديد، ولزمت (المذلة) كل جبار عنيد، ثم رجعت السماء كالمهل، وهو دُرْدِىُ الزيت الذى يجلس فى قعر الإناء، قيل: ترجع السماء

---

(٣٦) لم أقف له على إسناد.

(٣٧) العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء والمراد ساحة يوم القيامة وأرض المحشر.

كالدهن الرقيق وترجع الجبال كالعهن المنفوش وهو أضعف ما يكون من الصوف وتصير الخلائق كالفراش وهو البعوض، وقيل: كالجراد المنتشر إذا خرجت عليه الشمس لا يأخذ بجهة واحدة، كذلك الخلق يموج بعضهم في بعض ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (عبس: ٣٧) قد اجتمعت القيامة بأهوالها ووضعت الحوامل أحمالها، وزلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها، وشهد على الأمم بأعمالها، وشاب الوليد، وحضر الوعد وحق الوعيد، وعظم الهول الشديد، وذل كل متكبر وجبار عنيد، وقد خضعت الرقاب لرب الأرباب، وخاب كل كفار كذاب، واشتد الهول وعظم العذاب، فتفكروا فيما تسمعون يا معشر الأحباب، وانظروا لأنفسكم يا جماعة الإخوان والأصحاب، واستعدوا لأهوال القيامة يا أولى العقول والألباب، وأنشدوا:

مثل لقلبك أيها المغرور — يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأضعفت — حرًا على رءوس العباد تفور
وإذا الجبال تعلقت بأصولها — فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت — وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها — خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت — وتقول للأملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحًا — وعجائبًا قد أحضرت وأمور
وإذا الجنين بأمه متعلق — خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله — كيف المقيم على الذنوب دهور؟؟

جهنم في المحشر:

قال الله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴾ (النازعات: ٣٦) فيراها الخلائق كلها وهي تغتاظ على العباد، وتغضب لغضب الجبار جل جلاله، وتتغيظ وتتسعر، عليها سبعون ألف زمام من حديد قد تعلق بكل زمام سبعون ألف ملك من ملائكة النار (٣٨) يحبسونها عن الخلائق وهي تريد أن تنفلت من أيديهم وتأتي على أهل الموقف والملائكة التي يحبسونها وجوههم مثل الجمر وأعينهم مثل البرق الخاطف، فإذا تكلم أحدهم تناثرت النار من فيه، بيد كل واحد منهم أرزبة من حديد من نار فيها اثنان وسبعون ألف رأس من نار، كأمثال الجبال الراسيات العظام، ورءوسها كرءوس الأفاعي، وهي أخف في يدى الملك

---

(٣٨) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٢) والترمذي (٤٣٩٣) بلفظ «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

من الريشة وأعينهم زرق ووجوههم كلحة قد خلقوا من نار السموم فتريد جهنم أن تنفلت من أيدى الملائكة من غضب الجبار جل جلاله، هذا كله قاله الضحاك عن الأئمة عن ابن عباس ﷺ.

بطش جهنم:

فإذا جاءت جهنم بأمر الله تبارك وتعالى جاءت بالهول الأكبر والفزع الأعظم، فيخرج من نفسها وهج شديد ويسمع من جوفها دوى سلاسل الحديد، فإذا قربت من الخلائق سمعوا لها شهيقًا ورأوا لها حريقًا، فإذا نظرت فى أهل المعاصى ثارت وفارت وأرادت أن تثب عليهم فاغتاظت وتحمحمت إليهم، وأرادت أن تأتى على جميع الخلائق، وتريد أن تنفلت من أيدى الخزان، فتهرب الخلائق فلا يجدون منفذاً ولا مكاناً يستغيثون إليه، ومناد ينادى: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ** ﴾ (الرحمن: ٣٣)، أى بحجة، ثم ترجع جهنم بسلطانها على خزانها لشدة غضب الجبار على من عصى الله وخالف رسوله، فإذا انفلتت من أيدى الزبانية أرادت أن تقبض على كل من فى الموقف، فيعرض لها ﷺ محمد الرسول، وكل نبى يومئذ بنفسه مشغول.

رد الرسول جهنم عن الخلائق:

فيأخذ محمد ﷺ بزمامها، ويقبض على خطامها، فيردها على عقبها وهو ﷺ يقول لها: كفى عن أمتى، فتخمد من نوره ﷺ وتناديه: أيها النبى المكرم، والرسول المشرف المعظم، خل سبيلى من يديك، فما جعل الله لى ولا لغيرى من سلطان عليك، فيناديها الملك الجليل الجبار: هذا محمد حبيبى سيد الأبرار، ووزير الأخيار، فالطاعة لمن له الوسيلة والشفاعة، فعند ذلك تضع جهنم رأسها خاضعة كالحة كليلة تحت سكون وخمود بإذن الملك المعبود، لمحمد ﷺ صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء المعقود، والكرم والجود وإقامة الحقائق والحدود، ولو تركها خاتم النبيين، وسيد المرسلين، لأهلكت الخلائق أجمعين، غضبًا لغضب رب العالمين، أعاذنا الله وإياكم برحمته منها إنه أرحم الراحمين.

* * *

جهنم وزفيرها

وقيل: إن جهنم - أعاذنا الله منها، وزحزحنا وإياكم برحمته عنها - إذا نظرت إلى الكفار، والمنافقين والفجار، وأصحاب الخطايا والأوزار، زفرت زفرة فترمى شرراً على

رءوس الخلائق مثل عدد نجوم السماء وزبد البحر ورمل البر، فتقع على رءوس الكافرين والعاصين لرب الأولين والآخرين، فلو كانت الدنيا باقية لانهارت جبالها، وجفت أزهارها، ويبست عيونها وأنهارها من شدة حر جهنم، ولو كان ثم موت لمات الخلق كلهم.

الزفرة الثانية:

ثم تزفر أخرى أعظم من الأولى، فلا تبقى دمعة فى عين إلا قطرت، ويغلب بياض العين على سوادها، وتبلغ القلوب الحناجر، ولا يسأل أحد إلا نفسه البَرُّ والفاجر.

الزفرة الثالثة:

ثم تزفر الثالثة وهى أعظم من الأولى والثانية، فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبى مرسل ولا ولى ولا صديق إلا جثا على ركبتيه حتى إبراهيم وجميع المرسلين، إلا ما خلا من حبيب رب العالمين محمد ﷺ خاتم النبيين، فإنه لا يسأل عن هول النار قد خلصه الله من أهوالها.

الزفرة الرابعة:

ثم تزفر الرابعة وهى أعظم من الأولى والثانية والثالثة فتلقى الزبانية على وجوههم أجمعين وتفر الخلائق كلهم هاربين، ويتعلق جبريل وميكائيل عليهما السلام بساق العرش، وكل ملك ينادى: نفسى نفسى لا أسألك اليوم غيرها، ويقول أيضًا كل واحد منهم: بحرمة محمد وبقدر محمد ﷺ نجنى من عذابك لما يرون من حرمته وجلالة قدره وعظيم منزلته عند ربه فإذا هرب الخلائق وجهنم تريد أن تأتى عليهم وقد غلا بعضها فى بعض ويقلب بعضها على بعض ولا يبقى غل ولا سربال ولا سلسلة ولا قيد ولا حية ولا عقرب إلا ألقت الكل على متنها.

بماذا تخمد النار؟:

فعند ذلك يقبل إليها محمد ﷺ ويلقى يده فى زمامها ويلوح إليها بحلة خضراء فتخمد من نور وجهه المبارك وهو ﷺ يضرع إلى العلى المجيد وهو يقول: يا سلام سلم أمتى من العذاب الشديد.

وأنشدوا:

الدمع فى خد من عصى حسن	حسب الفتى من دموعه الحزن
يا من شكى حافظاه خلوته	لما خلا والعباد ما فطنوا
قد كان ربى عليك مطلعًا	وأنت لاهى الفؤاد مفتتن

لم تهتك السر إذ خلوت به ... ولا انقضت من عطائه المنن
النار تسعى إلى العصاة غداً ... لم يعلم المذنبون ما وسن

يا قوم العجب من القلوب التى بليت بالعباد، وغفلت عن أهوال يوم المعاد، وتمادت على معصية الرب الكريم الجواد.

يا أخى كأن المراد بهذا كله غيرنا، ليبعثن الجبار الذليل والحقير، ويسألهم عن الفتيل والنقير، وعن الذرة والقطمير(٤٠)، وعن القليل والكثير فى اليوم المهول العبوس العسير، الذى يشيب من فظاعة هوله الطفل الصغير، رفق الله بنا وبكم فى ذلك اليوم إنه على ما يشاء قدير.

ثم يبعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى جهنم فيقول لها: الله تعالى يقول لك: الطاعة، فتقول: وعزة الله وعظيم جلاله لأنتقمن اليوم ممن لم يعمل بطاعة الله واستعان بنعمته على معصيته، ثم تقول: يا جبريل هل خلق الله خلقًا يعذبنى بهم؟ فيقول جبريل: لا ما خلقك الله إلا نقمة لمن عصاه، فتقول جهنم عند ذلك: الحمد لله الذى جعلنى نقمة لمن عصاه ولم يجعل من خلقه من ينتقم منى، عند ذاك والله تعظم الخطوب، وتظهر القبائح والعيوب، ويندم أهل المعاصى والذنوب، وأنشدوا:

ليس فى الدنيا لمن ... آمن بالبعث سرور

فإنا لله وإنا إليه راجعون على من باع نفسه فى سوق الخسران، وترك العز ورضى بالهوان وبذل مهجته لعذاب النيران، وبارز بالخطايا الملك الديان.

من أسباب غفران الذنوب:

حكى عن بعض العارفين رحمه الله أنه قال: حضرت سنة من السنين الوقوف بعرفات فإذا بضجة الناس، فتذكرت يوم القيامة وذكرت رحمة الله فاردت أن أحلف أن الله قد غفر لكل من فى الجمع فذكرت أنى فيهم فامسكت، وأنشدوا:

يا كثير الذنوب أقصر قليلاً ... قد بلغت المدى من الإسراف

فإذا اشتد بالخلائق الهلع، وكثر منهم الخوف والجزع، وبلغت القلوب الحناجر، من خوف من يعلم الظواهر والسرائر، نادى الملك: ﴿**يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ (الزخرف: ٦٨) فإذا سمعت الخلائق هذا النداء طمع كل منهم فيه، فيقول سبحانه: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ (الزخرف: ٦٩) فعند ذلك ييأس من الرحمن جميع الكفار والمنافقين والفجار، ويطمع فيها من آمن بالواحد القهار، واتبع سنة المختار،

(٤٠) القطمير: قشرة رقيقة تكون على نواة التمرة.

عند ذلك تنشر الدواوين، وتوضع الموازين وتتطاير الصحف فى الأكف فكل امرئ بما اكتسب معترف، فندم الظالم، وخسر الآثم، وظهرت فى الصحائف الفضائح، وشهدت على كل امرئ حفظته والجوارح.

وأنشدوا:

طال والله بالذنوب اشتغالي ... وتماديت في قبيح فعالي
ليت شعري إذا أتيت فريداً ... والموازين قد نصبن حيالي
والدواوين قد نشرت وجئنا ... والنبيون يشهدون سؤالي
ما اعتذاري وما أقول لربي ... في سؤالي وما يكون مقالي
أورثتني الذنوب دار هموم ... لست أبقي لها ولا تبقي لي
يا عظيم الجلال ما لي عذر ... بل حقيق أنا بنار السفالي
غير أن الرجاء فيك مكين ... فارحم العبد يا جميل الفعال
وتفضل على عبيد مسيء ... ليس يرجو سواك يا ذا الجلال

هذا يوم الدين:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين نادى مناد: هذا يوم الدين، هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون»[٤١] فانظر لنفسك يا مسكين، يا ضعيف الإيمان واليقين، يا من يقول إنه من المؤمنين المصدقين، وهو يعمل أعمال المكذبين المخالفين، التاركين لسنن سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ما أجراك أن تكون عند الله من الكاذبين، لو خفت من عذاب يوم الدين، لعملت بالقرآن المبين، ولو كنت من المؤمنين المصدقين، لأطعت رب الأولين والآخرين، فسل مولاك أن يفرج عنك ما قد نزل بك من داء الذنوب، وهتك سترك من القبائح والعيوب، وأنشدوا:

يا طبيب الذنوب والآثام ... هل دواء أبرأ به من سقامي؟
إن داء الذنوب أضعف جسمي ... ومشيبي موكل بحمامي[٤٢]
وشفائي أعيا الأطباء إني ... قد تغذيت مدتي بالحرام
وركبت الذنوب سراً وجهراً ... وتباعدت من محل الكرام
كيف بالطب أن يعالج سقمي ... وكلامي يزيد قرح كلامي
أيها الناس قد علمتم ذنوبي ... واغتراري وشقوتي واجترامي

---

(٤١) لم أقف له على إسناد.

(٤٢) حمامي: موتي.

وأنا أرغب الدعـــاء فــجــدوا	في فكاكي من الذنوب العظام
واشــتــيــاقي إلى الطواف شـديد	وإلى الركن والصــفــا والمــقــام
وإلى يــثـــرب يحـن فـــؤادي	كي أزور النبي خـــيـــر الأنام
فلعل الإله يغـــفـــر جـــرمي	وينجي من هول يوم القـــيـــام
ويفك ذو الجلال عبداً ضعيفاً	مات خوفًا من العذاب الغَرَام(٤٣)

موعظة كعب الأحبار:

روى أن عـمـر بن الخطاب ﷺ قال لكعب: يا كعب خوفنا، فأطرق برأسه ثم رفع وعيناه تذرفان دموعًا فقال: يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده إن جهنم لتزفر زفرة فتقطع السلاسل التى بأيدى الزبانية الذين يمسكونها بها حتى تفيض على أهل الجمع، وتلقى الزبانية على وجوههم، وينهزم مالك خازنها من بين يديها، فلو كان لكل آدمى عمل مائة ألف نبى، ومائة ألف صديق، ومائة ألف شهيد، لحقر عمله ولظن أنه لا ينجو منها، فعند ذلك يعرض لها النبى ﷺ وقد أشرقت القيامة من نور وجهه فيأخذ بزمامها، ويقول لها: كفى عن أمتى، كفى عن أمتى، ثلاثًا، فتقول له: يا أيها النبى الكريم والرسول الرءوف الرحيم، ما جعل الله لى عليك ولا على أمتك من سبيل، فعند ذلك يتعلق العبد المذنب إذا رأى الأهوال العظام بالنبى ﷺ، فيقول: يا رسول الله أنقذنى من عذاب الله، فيقول له: «ألم أبلغك رسالة ربى فلم عصيت» فيقول له العبد المذنب: يا رسول الله غلبت على شقوتى، فيقول ﷺ: «لا شقوة على أحد من أمتى، ولا على من قال فى الدنيا مخلصًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله» فيشفع له إلى الله تعالى فيشفع فيه(٤٤).

وأنشدوا:

ألا أكـــرم بأحـــمـــد ذى الأيادى	شــفــيــع الناس فى يوم التناد
إذا نـشــر الخــلائق من قــبــور	عــراة يبــتــغــون ندا المناد
وقــربت الجــحــيم لمن يراها	فــيــا لله من خــوف العــبــاد
وقــد زفـرت جـهنم فـاسـتكانوا	سـقـوطًا كـالفـراش وكـالجـراد
وقـــد بلغت حناجـــرهم قلوب	وقـد شـخـصـوا بأبصـار حـداد
فـيـا جـبـار عـفـواً منك فـالطف	ويا رحــمـن رفــقًــا بالعــبــاد

(٤٣) الغرام: الشر الدائم والعذاب.
(٤٤) هو أثر ضعيف فكعب لم يدرك النبى ﷺ.

ونودوا للصـــــراط ألا هلمـــــوا ... فــهــذا ويحكم يوم المــعـــاد
تســـوقكم إليـــه ســـوق عنف ... مــقـــامع من زبانيـــة شـــداد
ألا يا مــعـــشـــر الإســـلام هبـــوا ... من الإغـفـــال فى غـمـــر الرقـــاد

حديث فى الترهيب:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله»(٤٥).

فقدموا عباد الله فى اليسير من الأيام، ما يقيكم الأهوال العظام، والخطوب الجسام، والزلازل والطوام، والعذاب الغرام، فإن العمر يسير، والأجل قصير، والزاد قليل، والهول جليل، والعذاب طويل، واليوم مهول ثقيل، فإنا لله وإنا إليه راجعون على من قطع أيامه فى العصيان، واستبدل الجنة بالنيران، والربح بالخسران، وترك العز ورضى بالهوان، وعوض عن الزيادة النقصان، ففكر فيما تسمع أيها الإنسان، وأنا وأنت وكلنا ذلك الإنسان.

وأنشدوا:

مــقـــام الـمـــذنبـــين غـــداً ذليل ... وقـــدر الطائعـــين غـــداً جليل
إذا مـــد الصـــراط على جـحـــيم ... تصـــول على الصـــراط وتســـتطيل
ونادى مـــالكًا خـــذ من عـصـــانى ... فـــإنى اليـــوم لست لهم أقـــيل

سجود جهنم:

ذكر فى بعض الأخبار أن جهنم أعاذنا الله منها، وزحزحنا برحمته عنها، تستأذن يوم القيامة فى السجود فيأذن لها فتسجد ما شاء الله من ذلك ثم يقال لها: ارفعى رأسك فترفع رأسها وهى تقول: الحمد لله الذى خلقنى لينتقم بى ممن عصاه، ولم يجعل من خلقه شيئًا ينتقم به منى.

إلهى قد اشتد بلائى وأخمدت نارى، وعلا حميمى وزقومى، وكثر نتنى وغسلينى، وأكل بعضى بعضًا إلهى عجل علىَّ بأهلى فوعزتك لأنتقمن لك ممن عصاك واتبع هواه وجحد آياتك وكذب رسلك وجعل معك إلهًا غيرك لا إله إلا أنت فتنادى نداء يسمعه أهل الموقف جميعًا، ثم تغتاظ على أهل المعاصى فترمى بشرر كعدد النجوم فى السماء وزبد البحر ورمل البر ونبات الأرض على رءوس الخلائق فيقع على رءوس العصاة فمن كان له عمل صالح صار حجابًا بينه وبين شرر جهنم، ومن لم يكن له عمل صالح صار رأسه غرضًا لشر جهنم أعاذنا الله منها وزحزحنا عنها برحمته يا رب العالمين آمين.

(٤٥) **ضعيف جداً**: رواه أبو نعيم فى الحلية (٣/ ١٦٣) وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٥٦٢) وقال: ضعيف جدًا.

٣- مجلس فى ذكر الميزان والصراط

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ (الأنبياء: ٤٧) الآية، عباد الله ما لقلوبكم لا تخشع وما لآذانكم لا تسمع، وما لدعائكم لا يُسمع، وما لعيونكم لا تدمع، وما لبطونكم من السحت والحرام لا تشبع، وما لعملكم المحمود لا يرفع، إخوانى! من شغل نفسه بخدمة المعبود المحمود؟ ومن خاف من ورود الناس وبئس الورد والمورود؟.

افتخار الوحوش على بنى آدم

ذكر فى بعض الأخبار أن الوحوش تجتمع يوم القيامة فتخر ساجدة فيقال لها: ما هذا يوم السجود، فتقول: إنما سجدنا شكراً لله الذى لم يجعلنا من ولد آدم وجعلنا ممن يشهد فضائح ابن آدم.

فالله الله يا إخوانى اقبلوا النصيحة، قبل يوم الخجل والفضيحة، فإذا كان يوم القيامة وجاءت جهنم بأهوالها يضرب الصراط على متنها طوله خمسمائة عام، وقد قيل: طوله ست وثلاثون ألف سنة من سنين الدنيا أرق من الشعر، وأحد من الموسى، وقيل: أحدّ من السيف، وأحر من الجمر. وقد قيل: إنه شعرة من جفن مالك خازن جهنم يمدها على متن جهنم عليه حسك وكلاليب قد تعلق بكل كلوب منها عدد نجوم السماء من الزبانية لو أن واحداً منهم أذن الله له أن يتنفس فى الدنيا لأحرقها بإنسها وجنها وجميع ما ذرأ الله فيها ولأذاب جبالها وجفف بحارها.

صفة الصراط

والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم فلا يجوز يومئذ إلا من كان له نور، ولا يكون النور يومئذ إلا من الأعمال الصالحة، فمن عمل عملاً صالحًا نجاه من النار، وجاز إلى دار الراحة والقرار، ومن لم يقدم فى الدنيا عملاً صالحًا حجب عن النظر إلى وجه الجبار، وهوى فى دار الندامة والبوار، فى دار عذابها سموم وشرابها حميم، وظلها لا بارد ولا كريم، وطعامها الزقوم، يتردى والله فى دار، عذابها أليم، ومسكنها جحيم، وساكنها أبداً فى العذاب مقيم، يتردى والله فى نار قعرها بعيد، وعذابها شديد، وشرابها صديد، ومقامعها حديد، وما هى من الظالمين ببعيد، وأنشدوا:

أمـا آن يا أخ أن تستـفـيـقـا ... وأن تتناسى الحـمى والعـقـيـقـا
وقـد ضحك الشـيب فى عـارضـيـ ... ـك وبانت مـسـاويك فـيـه بروقـا
وركب أتاهـم وقـد عـرضـوا ... على أتبـاع المـنايا طروقـا
أدارت عليـهـم كـئـوس الحـمـام ... صـبـوحًـا تلازمـهـم أو غـبـوقـا
ومـا زال فـيـهـم غـراب الحـمـام ... فـيـسـمـعـهـم للمنايا نعـيـقـا
ويحـجل فى عـرصـات القـصـور ... وحتى أعاط الفسيحات ضيقـا
ألا فـازجـر النفس عن غـيـهـا ... عـسـاك تجـوز الصـراط الدقـيـقـا
مـقـام بـه تذهـل المـرضـعـات ... وتلقى الحـوامل وعـدا صـدوقـا
وتبـرز للناس نار الجـحـيـم ... لهـا عنق تتـرامى حـريقـا
شـرابهـم المـهـل فى قـعـرها ... تقطع أمـعـاءهـم والعـروقـا
إذا طبـقـت فـوقـهـم لم يكن ... لتـسـمع إلا البكا والشـهـيـقـا
أذلك خـيـر أم القـاصـرا ... ت تخـال مـبـاسـمـهـن البـروقـا
قـصـرن على حب أزواجـهـن ... فـمـشـتـاقـة تتلقى مـشـوقـا
لقـد فـاز من كـان للمـصطفى ... بدار المـقـامـة يومًـا رفـيـقـا

حسن العمل والصراط:

فـمثل لنفسك يا مسكين وقد جئت إلى الصراط وقد رأيت العاملين، وقد جازوا وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم، ورأيت الباطلين فى ظلمات البطالات وغمرات الجهالات، فالله يا جماعة الضعفاء، يا من قطع عمره فى الخلاف والجفاء، خذوا لأنفسكم بالاحتياط، واحذروا الأهوال الصعبة عند جواز الصراط، لأن الصراط لا يجوزه آثم، ولا ينجو منه ظالم، والصراط حق رقيق، لا ينجو منه من خالف التحقيق، وترك السنة ومنهاج الطريق، الصراط طويل بعيد، لا يجوزه إلا من أخذ نفسه بالحزم الشديد، واستقام على طاعة الولى الحميد، الصراط مهول مخوف، لا يجوزه إلا من أغاث الملهوف، وأطاع الرحيم الرءوف، الصراط صعب مهول، لا يجوزه إلا من اتبع سنة محمد الرسول، وأطاع ربا يحولُ ولا يزول، الصراط كثير الزبانية، ولا يجوزه إلا من أطاع مولاه فى الفانية، وراقب الله فى السر والعلانية.

وذكر فى بعض الأخبار أنه لا يجوز الصراط العبد والأمة إلا من بعد نشر الدواوين، ووضع الموازين.

الموازين يوم القيامة:

ذكر أن لكل إنسان ميزانًا يوزن به عمله فمن عمل عملاً سيئًا خفت موازينه وهوى فى النار، وقد قيل: إن الميزان هو منصوب بين يدى عرش الرحمن يوزن به أعمال العباد.

وكان الحسن ﷺ يقول: لكل إنسان ميزان يوزن به عمله من خير وشر، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ (الأنبياء: ٤٧) الآية، وأما قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** ﴾ (القارعة: ٦) ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ** ﴾ (القارعة: ٨) فهو ميزان الحسنات وميزان السيئات وقوله ﴿ **ثَقُلَتْ** ﴾ و ﴿ **خَفَّتْ** ﴾ فقوله: ﴿ **ثَقُلَتْ** ﴾ بقول: لا إله إلا الله بالإخلاص، و ﴿ **خَفَّتْ** ﴾ من الحسنات بالشرك والنفاق والرياء والسمعة، لأن العبد قد يقول: لا إله إلا الله على معصية ويقول: لا إله إلا الله والله أكبر على أخذ مال مسلم، فإنما ذلك نفاق لأن النبى ﷺ قال: «ن قال: لا إله إلا الله مخلصًا رجح ميزانه ونجا من النار ودخل الجنة» فقيل: يا رسول الله: وما إخلاصها؟ فقال: «أن تزحزحكم عما حرم الله عليكم»(٤٦).

وزن الأعمال:

ذكر فى بعض الأخبار أنه يقدم عبد يوم القيامة للحساب فيخرج له تسعة وتسعون سجلا مملوءة بالسيئات فتوضع فى كفة الميزان فيشتد هَم العبد وكربه فيقول الجبار جل جلاله: لعبدى عندى ذخيرة ادخرتها له، فيأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له رقعة صغيرة فيها مكتوب: مات فلان وهو يشهد ويقول: لا إله إلا الله مخلصًا(٤٧).

كلمة التوحيد:

فيقول الله تعالى: ضعوها فى ميزان عبدى فتوضع فى ميزانه فتميل الميزان بها وترجح على جميع سيئاته فعند ذلك يفرح العبد فيأمر الله تبارك وتعالى به إلى الجنة وأنشدوا:

أعددت لله حين ألقاه ... أشهد أن لا إله إلا الله

أقولها للإله خالصة ... يرحمنى فى القيامة الله

---

(٤٦) **ضعيف جدًا**: رواه الحكيم الترمذى فى النوادر (٣٤٦) والطبرانى فى الأوسط (٢/ ٥٦) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ١٨) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير إلا أنه قال فى الكبير: قال رسول الله ﷺ: «إخلاصه أن تحجزه عما حرم الله عليه» وفى إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو وضاع.

(٤٧) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٦٤٨) وابن ماجه (٤٣٠٠) وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٣٥).

لعل يوم الحساب أنج بها — يوم العقوبة يوم زاد بلواه
يوم يفوز على الأشهاد قائلها — ويخسر الجاحدون نعماه
فهي لدار الخلود قائدة — ومن عصى فالجحيم مأواه
من قالها للإله مخلصة — فهو الذى قد أتاه تقواه
وهو الذى فى الخلد مسكنه — الله قد خصه فيها وأرضاه
قد فاز عبد يكون ذاكرها — بدار عدن جوار مولاه
يحظى بدار الخلود قائلها — طوبى لمن قالها وطوباه
من كان عند الممات قائلها — فاز بدنياه وأخراه

فالله الله عباد الله ارغبوا إلى مولاكم أن يثبتكم على الكلمة المباركة الخفيفة فى اللسان الثقيلة فى الميزان، المزينة للديوان، بها يرضى الملك الرحمن، وبها يسخط اللعين الشيطان، وبها ينجو العبد المذنب من النيران، وبها يصل العبد إلى نعيم الخلد والأمان.

فضل الصدقة:

ذكر أن العبد إذا قدم إلى ميزانه وأخرجت سجلات سيئاته أعظم من جبال الدنيا فإذا وجدت له صدقة طيبة تصدق بها لم يرد بها إلا وجه الله تعالى، ولم يطلب بها جزاء من مخلوق ولا رياء ولا سمعة ولا محمدة ولا شكر، فإن تلك الصدقة توضع فى الميزان بأمر الملك الخلاق فترجح على جميع سيئاته ولو كانت سيئاته مثل وزن الجبال، وأنشدوا:

يا جامع المال يرجو أن يدوم له — كل ما استطعت وقدم للموازين
ولا تكن كالذى قد قال إذ حضرت — وفاته ثلث مالى للمساكين

واعلموا عباد الله أن الموازين إذا نصبت للعبد فهو من أعظم الأهوال يوم القيامة، لأن العبد إذا نظر للميزان انخلع فؤاده، وكثرت خطوبه، وعظمت كروبه فلا تهدأ روعة العبد حى يرى أيثقل ميزانه أم يخف، فإن ثقل ميزانه فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه فقد خسر خسراناً مبيناً، ولقى من العذاب أمراً عظيماً.

شفاعة الرسول[٤٨]:

ذكر فى الأخبار أن أمة محمد ﷺ إذا قدموا إلى الميزان عظمت كروبهم، حين أظهرت لهم قبائحهم وعيوبهم، ووزنت أوزارهم وذنوبهم، وضاقت حيلهم، وتغيرت أحوالهم، فعند ذلك يأتيهم النبى الشفيع محمد ﷺ فإذا نظر إلى أمته قد تحيروا عند

(٤٨) أحاديث الشفاعة ثابتة فى السنة النبوية المطهرة ومنها ما رواه البخارى (٣٣٦١) ومسلم (١٩٣).

الميزان دعا الله أن يثقل موازينهم، فيأمره الله تعالى أن ينظر إلى موازين أمته فينظر ﷺ إليها فترجح موازينهم من نظره ونور وجهه ﷺ.

ذكر أن الميزان بيد جبريل عليه السلام وله كفتان أحدهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، وأن الذرة والخردلة والحبة من أعمال العباد من الخير والشر لتوضع فى الكفة فتميل بها بقدرة الله تعالى، فالله أعلم بحقيقة ذلك، فلا يحقرن أحدكم حسنة يعملها، وإن صغرت فى عينه فربما ثقلت الميزان، ولا يحقرن أحدكم سيئة يعملها وإن صغرت فربما خففت الميزان، لأن الذنب الصغير فى عين محتقره يأتى يوم القيامة وهو فى الميزان أعظم من الجبال الرواسى.

ما يثقل الميزان:

قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ (الأنبياء: ٤٧) الآية، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٤٩] وقيل: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله جئتك تعلمنى علمًا يدخلنى الجنة وينجينى من النار، فقال له النبى ﷺ: «ألا أدلك على كلمتين ثقيلتين فى الميزان، خفيفتين على اللسان، ترضيان الرحمن؟ وتسخطان الشيطان، تقول: سبحان الله والحمد لله فإنهما المقربتان يقربان من الجنة، ويبعدان من النار»[٥٠] فكل من زعم أن الميزان ليس هو حق، فقد رد على الله فى كتابه، وعلى رسوله ﷺ فى سنته.

الرأس فى الخير والرأس فى الشر:

روى عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: يؤتى يوم القيامة بالميزان فتوضع بين يدى الله تبارك وتعالى ثم يدعى العباد للحساب فإذا كان العبد أو الأمة رأسًا فى الخير يدعو إليه ويأمر به دعى باسمه، ثم يقرب من الميزان فتوزن حسناته وسيئاته ولو كانت حسنة واحدة ولو كانت سيئاته أكثر من حسناته وأثقل من جبال الدنيا، لأن الله تبارك وتعالى إذا تقبل من العبد أو الأمة حسنة واحدة غفر له جميع ذنوبه وإن كثرت.

وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة: «يا عائشة لو قبل الله تعالى من العبد سجدة واحدة لأدخله بها الجنة» فقالت يا رسول الله: فماذا يصنع بأعمال العباد؟ فقال رسول الله ﷺ:

---

(٤٩) **صحيح**: رواه البخارى (٦٤٠٦، ٦٦٨٢) مسلم (٨٣، ٢٦٩٤) والترمذى (٣٤٦٧) وابن ماجه (٣٨٠٦) وأحمد (٢/ ٢٣٢) (٧١٢٧).

(٥٠) لم أقف عليه.

« يأكلها الرياء والسمعة كما تأكل النار الحطب »(٥١) وإذا كان العبد أو الأمة رأسًا فى الشر يأمر به ويدعو إليه، دعى باسمه فقدم إلى الميزان فتوضع حسناته وسيئاته فترجح سيئاته على حسناته ولو كانت سيئاته واحدة ولو كانت حسناته أكثر وأثقل من جبال الدنيا لأن الله تعالى أحبطها ولم يتقبل منها حسنة واحدة، ويأمر بهم ذات الشمال إلى النار.

فقال أصحابه ﷺ : يا رسول الله أما كانوا مسلمين؟ فقال ﷺ : « كانوا يصلون كما تصلون، ويصومون كما تصومون، ويزكون كما تزكون، ويقومون من الليل برهة، ولكن كانوا إذا عرض لهم درهم حرام وثبوا عليه كالذئاب فأحبط الله أعمالهم بذلك ولم يتقبل منهم حسنة واحدة، وإذا لم يتقبل الله من العبد حسنة واحدة فأحرى أن لا يؤثر فى الميزان، لأن الحسنات لا تنفع، ولا تثقل الميزان إذا لم يتقبلها الله تعالى لأنه تعالى لا يقبل إلا ما كان لوجهه خالصًا »(٥٢) فالله الله عباد الله إذا عملتم عملاً فأخلصوا لله فإن الله لا ينفعكم ولا يتقبل منكم إلا ما كان لوجهه خالصًا، وأنشدوا:

من كـان يعلم أن الله باعثه … يوم الحساب لدى نشر الدواوين
فلا يرد بفعال البر أجمعها … إلا الحساب وتثقيل الموازين

فقدموا عباد الله للميزان بلزوم طاعة الرحمن، قدموا للموازين بطاعتكم لسلطان السلاطين.

إخوانى وأعظم مصيبة وحسرة من خفت موازينه من الحسنات، وأمر به إلى العذاب والعقوبات، والويل ثم الويل لمن خفت موازينه من صالح الأعمال، وغضب عليه ذو الجود والإفضال، وأمر به إلى العذاب والنكال، وإلى السلاسل والأغلال.

* * *

وزن أعمال العباد:

يا إخوانى فإذا وزنت أعمال العباد، وخف من خف وثقل من ثقل أمروا أن يمضوا إلى الصراط فيجيء كل إنسان إلى الصراط فيقحم الصراط فمن الناس من يضع عليه قدمه، فيزل من أول قدم يضعها فيهوى فى النار، ومن النار من يمشى القليل منه ويزل فى النار، ومنهم

---

(٥١) لم أعثر عليه بهذا اللفظ ولكن ورد.

(٥٢) هذا الحديث أورده ابن الجوزى بمعناه وهو عند ابن ماجه (٤٢٤٥) بلفظ « لأعلمنى أقوامًا من أمتى يأتون يوم القيامة بأعمال مثل جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباءً: صفهم منثورًا قال ثوبان لنا يا رسول الله جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » والحديث صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٥٠٥) وصحيح الجامع (٣٤٢٣).

من يجوزه كالبرق الخاطف(٥٣)، ومنهم من يجوزه كالريح الهبوب، ومنهم من يجوزه كالطير السريع فى طيرانه، ومنهم من يهرول، ومنهم من يكون كالضعيف إذا مشى، ومنهم من يكون كالمبطون(٥٤) الذى يمشى على يديه ورجليه.

ومن الناس من يأتى إلى الصراط فتخرج النار فتأخذه فتهوى به، كل هذا على قدر أعمال العباد وأنوارهم ورتبتهم، على قدر القبول من الله تبارك وتعالى بها، وعلى قدر تثقيل الموازين وتخفيفها، فإذا أتى العبد من أمة محمد ﷺ إلى الصراط فمن كان من أهل الذنوب ولم يكن له عمل يجوز به على الصراط بقى متحيراً لا يقدر على الجواز، فبينما هم فى شدة الفزع من هول الصراط إذ أقبل محمد ﷺ.

نور الرسول على الصراط:

فإذا نظر ﷺ إليهم كساهم نور وجهه ﷺ ما يجوزهم الصراط، فيأخذ كل واحد من نور وجه المصطفى ﷺ على قدر صلاته عليه فى الدنيا، فيستبق العباد فى الجواز على قدر ما أخذوا من النور الذى أخذوا من نور وجه المصطفى وكلما أخذ الخلق من نور وجهه ﷺ زاد الله تبارك وتعالى فى النور فى وجه الحبيب محمد ﷺ، فأكثروا من الصلاة على نبيكم ﷺ فإن صلاتكم عليه مبلغة إليه.

فضل الصلاة على النبى ﷺ:

قال النبى ﷺ: «أنجاكم من أهوال يوم القيامة ومواطنها أكثركم علىَّ صلاة وأولاكم بشفاعتى أكثركم علىَّ صلاة»(٥٥) فأكثروا من الصلاة عليه يا معشر المذنبين، فهو شفيعكم يوم الجزاء والدين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، واجعلنا بالصلاة عليه من الآمنين من عقابه، والفائزين برحمته من عذابه، إنه منعم كريم، وأنشدوا:

ألا أكرم بأحمد ذى المعالى	شفيع الناس فى يوم السؤال
إذا مد الصراط على جحيم	تصول على العباد باستطال
إذا كان النبى لنا شفيعا	سننجو من سلاسلها الطوال
ولو كانت خطايانا جساما	تشبه بالثقال من الجبال
لجزنا على الصراط بغير حزن	إلى دار الخلود مع الجلال

(٥٣) انظر ما رواه مسلم (١٩٥).

(٥٤) **المبطون**: هو المصاب بداء فى بطنه يقتله فيكتب شهيداً وقد ورد عن المبطون فى الشهداء فى عدة أحاديث انظرها فى صحيح الجامع للألبانى.

(٥٥) **ضعيف**: رواه الترمذى (٤٨٤) بنحوه بلفظ «أولى الناس بى يوم القيامة أكثرها على صلاة» والحديث ضعفه الألبانى فى التعليق الترغيب (٢ / ٢٨٠) وضعيف الترمذى (٧٤).

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «يمر الناس على الصراط فالزالون والزالات كثير وأكثر ما تزل النساء»[(٥٦)] ذكر أن الصراط عليه زبانية ينظرون إلى وجوه العباد فمن رأوا فى وجهه نوراً تركوه أن يتحول ويجوز، ومن لم يروا فى وجهه نوراً كبكبوه فى النار، ولا يكون النور يومئذ إلا من العمل الصالح.

* * *

جسور جهنم:

روى بعض العلماء عن التابعين وعن بعض الصحابة أنهم قالوا: إن جهنم أعاذنا الله منها عليها سبعة جسور وهى القناطر: ثلاثة دون الرب سبحانه وتعالى، الرابعة الوسطى عليها الرب جل جلاله لا حد ولا كيف تسليماً وإيمانًا وتصديقًا.

القنطرة الأولى:

والصراط أحد من السيف فيقول الله تبارك وتعالى حين يبلغون القنطرة الأولى: ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ** ﴾ (الصافات: ٢٤، ٢٥) فيحبسون فيحاسبون على الصلاة فمن وجدت صلاته تامة نجا من تلك القنطرة، ومن لم توجد له صلاة تامة هوى فى النار، فينجو من نجا، ويهلك من هلك.

القنطرة الثانية:

ثم يحبسون على القنطرة الثانية فيحاسبون على الأمانة وهى أمانة الخالق وأمانة الخلق، وإذا أراد الله بعبده خيراً جعل الغنى فى قلبه، وجعله أمينًا لله، وأعانه على أداء الأمانات التى افترض عليه جل جلاله من الوضوء والاغتسال والصلاة والصيام والزكاة، وإعطاء كل ذى حق حقه، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والحفظ لحدود الله، فذلك العبد الذى ألهمه الله تعالى رشده، وبصره عيوب نفسه وجعل غناه فى قلبه.

وإذا أراد بعبده شرّا جعل فقره بين عينيه وفى قلبه، وكسله عن أداء الأمانات من المفترض الذى افترض عليه وعلى جميع عباده، وغيب عنه رشده، وسلط عليه الشيطان فزين له سوء عمله وحبب إليه عيوبه، فإذا كان العبد كذلك فلا يبالى عما قال ولا عما قيل فيه، ولا يكون همه إلا فى دنياه وإصلاحها ولا يبالى بتلف دينه فلذلك العبد الذى قد سخط عليه مولاه وأبعده عن أبواب الخير كلها، وقربه من أبواب الشر كلها، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (الأنفال: ٢٧).

---

(٥٦) **ضعيف**: ذكره الزبيدى فى الإتحاف (٤١٠٩) نقلاً عن ابن الجوزى بصيغة التضعيف.

تضييع الأمانة:

ذكر في بعض الأخبار أنه يؤتى بمضيع الأمانة فيقال له: أد ما ضيعت، فيقول: يا رب ذهبت عني الدنيا فمن أين أؤديها؟ فيخلق له مثلها في قعر جهنم ـ أعاذنا الله منها ـ فيقال: انزل إليها وأخرجها إلى صاحبها، فينزل العبد المسكين إليها فيرفعها على كتفه فهي أثقل من جبال الدنيا كلها، فإذا صار الشقي المسكين إلى أعلا جهنم وقعت من كتفه إلى قعر جهنم، فيقال له: انزل إليها فينزل مرة أخرى ويرفعها، فإذا صار إلى أعلا جهنم وقعت منه، فلا يزال هذا عذابه إلى ما شاء الله تعالى من ذلك، هذا كله عند جواز الصراط والله أعلم، وهذا العبد والله أعلم الذى ضيع أمانات الناس، وأنشدوا:

خرجت من الدنيا وقد خنت أهلها ... وصـرت إلى النيـران بالوزر والإثم
وطالبني الجبـار بالصـدق والوفـا ... وبان لأهل الجمع ما كان من جرمي
وقـيل لكل الخلق هذا مـضـيـع ... أمانة رب العرش والذكر والحكم

القنطرة الثالثة:

ثم يحاسبون على القنطرة الثالثة وهي أدنى من الرب جل جلاله ـ بلا تكييف ولا تحديد ـ فيحاسبون على صلة الرحم كيف وصلوها، ولم قطعوها؟.

* * *

صلة الرحم:

والرحم يومئذ تنادي: الهم من وصلني فصله، ومن قطعني فاقطعه، فينجو من نجا، ويهلك من هلك.

القنطرة الرابعة:

ثم يمرون على القنطرة الرابعة فيحاسبون على بر الوالدين فينجو من نجا ويهلك من هلك وهو السؤال العظيم لأن الله تعالى قد قرن شكره بشكر الوالدين فقال جل اسمه وعز وجهه: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ (لقمان: ١٤) فالله تعالى يقول في بعض كتبه المنزلة.

شكر الوالدين:

أرض والديك فإن رضائي في رضا الوالدين وسخطي في سخط الوالدين، فلو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل ألف صديق وكان عاقًا لوالديه ما نظر الله تبارك وتعالى في شيء من

عمله وكان مصيره إلى النار، وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة ضحك فى وجه والديه أو أحدهما إلا غفر الله له ما كان من الذنوب والخطايا وكان مصيره إلى الجنة، وأنشدوا:

والوالدان إلى شكر الإله وصـــول   والوالدان إلى دار الســلام ســبـيل
صل والديك ولا تقطع حبالهـمـا   ليـجـزينك فى دار البـقـاء جليل

القنطرة الخامسة:

ثم يحبسون على القنطرة الخامسة فيحاسبون على حفظ اللسان من الغيبة والنميمة، وشهادة الزور فينجو من حفظ لسانه ويهلك من سرح لسانه بما لا يعنيه لأنه ليس من جوارح العبد أشد ذنبًا من اللسان، لأن كلمة يتكلم بها العبد أو الأمة تكون سببًا لدخول النار.

ترك الغيبة والنميمة:

وقد كان بعض الخائفين إذا أصبح أخذ لوحًا ودواة، وجعلهما بجواره فإذا تكلم كلمة كتبها فى اللوح ويقول لنفسه: هكذا أثبتها عليك الملك بأمر الملك، فإذا غربت الشمس وصلى صلاة المغرب وضع اللوح بين يديه وجعل يقرأ ويبكى ويقول فى بكائه ونحيبه وتقريره لنفسه: يا نفس كأنى بك وقد سئلت عن هذا عند جواز الصراط، يا نفس تراك بأى كلمة من هذه تدخلينى النار؟ فلا يزال يبكى حتى لا يجد بكاء وتفرغ دموعه فيغشى عليه، فإذا أفاق مما هو فيه أخرج اللوح وكتب ما فيه بقرطاس وهو يقول متضرعًا: يا الله عفواً ورفقًا ولطفًا بعبدك، فلم يزل هذا دأبه حتى مات، فرآه بعض الصالحين فى المنام فى حالة حسنة فسأله عما لقى من الله تعالى فقال: ما يلقى من الكريم إلا الكرم، جعل محاسبتى لنفسى فى الدنيا بدلاً عن الحساب فى الآخرة، وجعل دموعى التى بكيت فى الدنيا أنهاراً تروينى يوم العطش الأكبر، وتفضل الكريم على بدخول الجنة وبجواز الصراط، ومَنَّ على بالفضيلة العظيمة والزيادة الكبرى إلى وجهه الكريم.

كلمة الشر وعذابها:

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة فيزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[٥٧] فإذا أراد الله تبارك وتعالى بعبده خيراً أعانه على حفظ لسانه وشغله بعيوب نفسه عن عيوب غيره.

---

(٥٧) **صحيح**: رواه البخارى (٦٤٧٧) (٦٤٧٨) مسلم (٢٩٨٨) والترمذى (٢٣١٤) أحمد (٢/ ٣٧٨) (٧١٧٤).

قيل: مر رجل على رجل فسلم عليه، فقال له الرجل الذى سلم عليه: يا أخى لو كشفت لك عن حالى ما سلمت على! فقال له الرجل الذى سلم عليه: يا أخى لو كشفت لى عيوبك لكان فى عيوبى ما يشغلنى عن جميع عيوبك، فجلس كل منهما يبكى فى ناحية حتى بل كل واحد منهما الأرض بدموعه ثم تفرقا.

شهادة الزور:

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من شهد شهادة زور على ذمى أو مسلم أو من كان من الناس، علق بلسانه فى الدرك الأسفل من جهنم»(٥٨).

وفى بعض الأخبار أن شهادة الزور من أعظم الكبائر عند الله تعالى، وشاهد الزور يعلق بلسانه بكل كلمة فى شهادة الزور، وبكل حرف كتب فيها شهادته ألف عام على الصراط عند القنطرة الخامسة، ولو أن شاهد الزور جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيًا ما نظر الله إليه، وكذلك صاحب الغيبة والنميمة لا يجوز من هذا الصنف الصراط إلا أن يعفو الله أو تدركه الشفاعة، وأنشدوا:

إذا ازدحم العباد لكى يجوزوا ... تساقط كل جبار أثيم
بقعر النار ليس لهم مغيث ... ولا للعاصى يومًا من حميم
ومن يطع الإله فسوف ينجو ... من التعذيب فى قعر الجحيم
إذا نصب الصراط على جحيم ... فيا لله من هول عظيم
ألا يا معشر الإسلام توبوا ... من العصيان للرب الرحيم

إخوانى أطيعوا الله فى السر والإعلان، واعملوا بالسنة والقرآن، واتركوا الأوزار والعصيان، واحذروا من هول الصراط المنصوب على سموم النيران.

القنطرة السادسة:

ثم يحبسون على القنطرة السادسة فيحاسبون على حفظ الجار، فينجو من حفظ جاره وأكرم ضيفه، ويهلك من خان جاره ولم يكرم ضيفه.

* * *

(٥٨) **موضوع**: رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده (١/ ٣١٤) وهو جزء من حديث طويل ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة (٢/ ٣١١) وقال: والحديث بطوله موضوع على رسول الله ﷺ والمتهم ابن ميسرة بن عبد ربه لا بورك فيه.

إكرام الضيف:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»(٥٩) وكرامته أن يكرمه لوجه الله وتكون ضيافته من حلال، وأما من أنفق على ضيفه من حرام، فإنه لا ثواب له، فما أنفق على الضيف فى الخمر أو مما لا يرضى الله تعالى به فإن ذلك الضيف يأتى يوم القيامة يتعلق هذا بهذا ويلعن هذا بهذا، ثم يأتيان إلى الصراط وكل واحد منهما يلوح صاحبه ويقول له: لعنك الله الذى ساعدتنى على الإنفاق فى غير الله، ثم يقال لهما: جوزوا الصراط، ففى أول قدم يضعان على الصراط يهويان فى النار.

البركة مع الضيف:

وقال رسول الله ﷺ: «الضيف إذا دخل بيت المؤمن دخلت معه ألف بركة وألف رحمة، ويكتب الله تعالى لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمرة»(٦٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «درهم ينفقه الرجل على ضيفه أفضل من ألف دينار ينفقها فى سبيل الله، ومن أكرم الضيف لوجه الله أكرمه الله تعالى يوم القيامة بألف كرامة وخلصه من النار وأدخله الجنة»(٦١).

وقد جاء فى حديث عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول لها: «يا عائشة لا تتكلفى للضيف فتمليه»(٦٢) وإنما أراد ﷺ مداومتها على إكرام الضيف.

وفى حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «يا على إذا جاءك الضيف فاعلم أن الله تعالى قد من عليك إذ بعثه إليك ليغفر لك ذنبك بذلك»(٦٣).

ينزل الضيف برزقه:

وفى حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس لا تكرهوا الضيف، فإنه إذا نزل نزل برزقه، وإذا رحل رحل بذنوب أهل المنزل»(٦٤).

وفى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما من منزل ينزل فيه ضيف إلا بعث الله تبارك وتعالى

---

(٥٩) صحيح: رواه البخارى (٦٠١٨) مسلم (٤٧، ٤٨) أبو داود (٣٧٤٨، ٥١٥٤) الترمذى (١٩٦٧، ٢٥٠٠) ابن ماجه (٣٦٧٢ - ٣٦٧٥) وأحمد (٢/ ٤٦٣) (٦٥٨٤).

(٦٠) (٦١) لم أقف عليهما.

(٦٢) ذكره القزوينى فى التدوين فى أخبار قزوين (١/ ٤٢٤) وروى الحاكم (٤/ ١٣٧) والطبرانى (٦/ ٢٣٥) والبزار (٦/ ٤٨٢) بنحوه بلفظ «نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف».

(٦٣) لم أعثر عليه.

(٦٤) موضوع: قاله العلامة الألبانى فى ضعيف الجامع (٣٦٠٤).

إلى ذلك المنزل قبل نزول الضيف به بأربعين يومًا ملكًا على صورة طائر ينادى: يا أهل المنزل فلان بن فلان ضيفكم في يوم كذا وكذا، فتقول الملائكة الذين وكلوا بأهل الدار: وبعد الخلف ما يكون؟ فيخرج لهم ذلك الملك كتابًا فيه مكتوب: قد غفر الله لأهل المنزل ولو كانوا ألفًا.

وفى حديث آخر أنه قال: ما من عبد من عباد الله المؤمنين أكرم ضيفًا لوجه الله تعالى الكريم إلا نظر الله إليهم إن كانوا جماعة، فإن كان الضيف من أهل الجنة وكان رب المنزل من أهل النار، جعله الله تعالى من أهل الجنة بإكرامه ضيفه.

وفى حديث آخر: إن الضيف ورب المنزل - وأرباب المنزل إن كانوا جماعة - يأتون الصراط فيأخذ كل واحد منهم بيد صاحبه فيجوز الصراط أسرع من البرق اللامع، فإن لم يكن فيهم من له عمل يجوز به الصراط أمر الله الملك الموكل بنفقة الضيف أن يأخذ بيدهم ويجوز الصراط ولو كانوا مائة ألف.

إطعام الطعام:

وإطعام الطعام ينقسم على ثلاثة أوجه: مخلوف ومسلوف ومتلوف، فالمخلوف الذى يطعم لوجه الله لا يريد به غير الله تعالى ولا يطلب به جزاء من مخلوق، والمسلوف الذى تضيفه مرة ويضيفك أخرى، والمتلوف كل ما كان إطعامه على المعاصى، والمخلوف والمسلوف فيهما الأجر إلا أن المخلوف أعظم أجرًا، والمتلوف هو حسرة وندامة يوم القيامة، وأنشدوا:

أكرم ضيوفك كى ترجو الجواز غداً … على الصراط وترجو الخلد مجبورا

حفظ الجار:

وأما حفظ الجار فإن العبد أو الأمة يسأل عن حفظه، فمن حفظ جاره جاز الصراط ونجا من العذاب الأليم، وصار إلى جنة الخلد ودار النعيم.

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جوعان، أو بات ريان وجاره عطشان»(٦٥) ومن كرامة حفظ الجار أن توقظه من الغفلات، وتلهمه إلى الطاعات، وتأمره بإقامة الصلوات.

---

(٦٥) صحيح: بلفظ «ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع» رواه الحاكم (٧٣٠٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٨٢) والصحيحة (١٤٩) والمشكاة (٤٩٩١).

تعلق الجار بالجار:

ذكر فى بعض الأخبار أن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب جارى هذا خاننى فى الدنيا، فيقول الله تبارك وتعالى: لم خنت جارك؟ فيقول: وعزتك وجلالك ما خنته لا فى مال ولا فى أهل وأنت أعلم بذلك، فيقول له جاره: ما فعلت ذلك ولكن رأيتنى على المعاصى فلم تزجرنى عنها فيؤمر به وبصاحبه إلى النار ولا يغفر الله لهما، وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة حفظ جاره وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر إلا جوزه الله تبارك وتعالى على الصراط قبل العباد بخمسمائة عام.

الوصية بحفظ الجار:

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «لقد أوصانى ربى ليلة أسرى بى بحفظ الجار حتى ظننت أنه سيورثه»(٦٦) وبعض العلماء يرى شفاعة الجار، فكل من حفظ الجيران، فقد أطاع الرحمن، وأسخط الشيطان، وعمل بالسنة والقرآن، روى أن الرجل الصالح والمرأة الصالحة يشفعان يوم القيامة فى سبعين من جيرانهما ويجوزانهم على الصراط، عباد الله من حفظ الجار نجا من النار، وجاز الصراط إلى دار القرار، ومن حفظ الجار فقد عمل بالسنة والكتاب، وأطاع الملك الوهاب، وأسخط الشيطان اللعين الكذاب، وما من جار يلقى جاره المسلم فيسلم عليه إلا غفر الله لجاره ولو كان له ألف جار، حفظ الجار قربة ووسيلة، ودرجة عند الله وفضيلة، وأنشدوا:

يا حافظ الجار ترجو أن تنال به	عفو الإله وعفو الله مذخور
الجار يشفع للجيران كلهم	يوم الحساب وذنب الجار مغفور

القنطرة السابعة:

ثم يحبسون على القنطرة السابعة فيسألون عن الصدق، فمن حفظ لسانه عن الكذب نجا من الصراط ونجا من النار وصار إلى الجنة مع الأبرار.

الصدق والكذب:

ومن كذب فقد خالف الكتاب والسنة، وقد حرم نعيم الجنة، روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كذب المؤمن كذبة من غير عذر تباعد منه الملكان مسيرة سنة من نتن ما جاء به، وكتب الله تبارك وتعالى عليه بكذبه ثمانين خطيئة أقلها كمن يزنى بأمه»(٦٧).

---

(٦٦) **صحيح**: رواه البخارى (٦٠١٤، ٦٠١٥) مسلم (٢٦٢٥) أبو داود (٥١٥٢) الترمذى (١٩٤٢، ١٩٤٣) ابن ماجه (٣٦٧٣، ٣٦٧٤).

(٦٧) **منكر**: رواه الترمذى (١٩٧٢) وقال الألبانى فى الضعيفة (١٨٢٨) منكر.

كذبة المؤمن بثمانين خطيئة:

وإذا كذب المؤمن من غير عذر يخرج من فيه شيء منتن حتى يبلغ العرش فتلعنه حملة العرش ويلعنه ثمانون ألف ملك، ويكتب عليه ثمانون خطيئة أقلها مثل جبل أحد، الكذب نفاق، والكذب من الكبائر، وإذا استحل العبد الكذب فقد استحل المحارم كلها وإذا لم يستحل العبد الكذب لم يقدر أن يباشر شيئًا من محارم الله، وأن الصادق إذا جاء الصراط سبقه نور وجهه مسيرة مائة عام - يعني على الصراط - ومن صدق عمل بكتاب الله واتبع سنة رسول الله، والصادق أسرع جوازاً على الصراط وأسرع الناس دخولاً الجنة، والكاذب في أول قدم يضعها على الصراط يهوى في النار، جعلنا الله وإياكم برحمته ممن صدق فنجا.

وأنشدوا:

اصدق يريك إله العرش جنته	يوم المعاد ولا تولع بتكذيب
إن الصدوق لدى الرحمن منزلة	دار الخلود بلا موت وتعذيب
يوم الجزاء على متن الصراط إلى	دار النعيم بلا حزن وتنكيب

ذكر في بعض الأخبار أن الصادق يجوز على الصراط وهو لا يشعر به ولا بهوله، فالله الله عباد الله كونوا من الصادقين ولا تكونوا من الكاذبين، وتأسوا بخاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

نجاة الصادقين:

ذكر في بعض الأخبار أن الناس الذين ينجون من الصراط وهوله يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار، يتقاصون[٦٨] مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أُذِن لهم بدخول الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن أحدهم مسكنه في الجنة أدل منه لمسكنه الذي كان في الدنيا»[٦٩] يا لها من كرامة، ويا لها من نعمة، ويا لها من منة، ويا لها من فرحة، فقدموا عباد الله في اليسير من الأوقات، والقليل من الساعات، ما يجوزكم الصراط،

---

(٦٨) **يتقاصون**: من القصاص أي يأخذ كل منهم حقه من الآخر.

(٦٩) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٤٠) (٦٥٣٥) وأحمد (١٠٧١١) بلفظ «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أول بمنزله كان في الدنيا.

ويقيكم الآفات، الصراط على متن جهنم ممدود، لا يجوزه إلا من خاف من أهوال اليوم الموعود، وأطاع الملك المعبود، الغفور الودود.

الصلاة تجوز على الصراط:

ذكر فى بعض الأخبار أن من صام ثلاثة أيام من كل شهر وقام فى ليلة من لياليها يصلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب و ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ (الإخلاص: ١) ثلاث مرات، فإذا فرغ من صلاته صلى على محمد ﷺ عشر مرات ثم يقول: سبحان من كان ولا مكان، سبحان الموجود بكل حين وأوان، سبحان المعبود فى كل أوان، سبحان المسبح بكل لسان، سبحان المنجى من الهلكات، سبحان خالق الأرضين والسموات، جوزه الله تبارك وتعالى على الصراط أسرع من البرق الخاطف، ولا يؤذيه حر النار ويمضى إلى الجنة مع أول زمرة من الصحابة والتابعين، ويشفعه الله تعالى فى سبعين من أهله وجيرانه، وهى أفضل ما يصام من الشهر وهى يوم ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «يمر الناس على الصراط فالزالون والزالات كثير وأكثر ما يزل النساء(٧٠) وجبريل عليه السلام آخذ بحجزتى(٧١) إذا عصفت الريح بأمتى فصاحوا يا محمداه فلولا أن جبريل عليه السلام آخذ بحجزتى لأغشت أمتى، فيبادرون جوازاً فلا يجوزه ظالم، فيبقون متحيرين ثم يتداركهم الله برحمته وبفضل دعائى لهم فيقول: جوزوا على الصراط بعفوى فيجوزوا»(٧٢) اللهم اغفر لنا جميعاً برحمتك، وأنشدوا:

لو علم الخلق ما يراد بهم ... وأيما مورد غداً يردوا
ما استعذبوا لذة الحياة ولا ... طاب لهم عيش إذا رقدوا
خوفًا من العرض والصراط على ... نار تلظى وحرها يقد
والناس من هول موقف عسر ... قد عاينوا هوله الذى وعدوا
يا لك من موقف يفوز به ... قوم هم للجنان قد وفدوا
مع النبى قد اصطفاه خالقنا ... صلى عليه المهيمن الصمد

عباد الله اشتروا أنفسكم من مولاكم باليسير من الأعمال، وبالقليل من الأفعال، وبالطيب من الأقوال، من قبل حبسكم على الصراط لشدة الأهوال، يوم لا بيع فيه ولا خلال، بين يدى الكبير المتعال.

---

(٧٠) سبق تخريجه. (٧١) الحجزة: هى معقد الإزار من الجسد.
(٧٢) ضعيف: رواه هناد فى الزهد (٣٢٣) وفيه إسماعيل بن مسلم ضعيف.

كيفية الجواز على الصراط:

ذكر في بعض الأخبار أن الناس ينقسمون في جواز الصراط سبعة أقسام: فيجوز أول قسم من الرجال والنساء كطرفة عين، والقسم الثانى كالبرق الخاطف، والقسم الثالث كالريح العاصف، والقسم الرابع كالطير المجد، والقسم الخامس كالخيل فى جريها، والقسم السادس كالماشى، والقسم السابع كالمهرول.

أقسام الناجين على الصراط:

فأما القسم الأول: فهم أصحاب الصدقات وقوام الليل والعلماء يقدمونهم.

والقسم الثانى: هم الذين استقاموا على أداء الفرائض ولم يفرطوا فيها وأدوها فى أوقاتها.

والقسم الثالث: هم الذين أدوا الزكاة ولزموا صحبة العلماء وأحبوهم.

والقسم الرابع: هم الذين وصلوا أرحامهم وطلبوا بصلتها رضاء مولاهم.

روى عن النبى ﷺ أنه أوصى عند موته بصلة الرحم، وما من عبد وصل رحمه بنفسه أو ماله إلا جعله الله تعالى يوم القيامة على الصراط كالذى يمشى فى رياض الجنة، ولا يرى من أهوال الصراط شيئًا، ويدخل الجنة مع أول زمرة تجوز الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

والقسم الخامس: هم الدين غضوا أبصارهم عن محارم الله، وصانوا فروجهم عن الفواحش، وحفظوا أزواجهم عما لا يحل لهن، وحجبوهن ولاطفوهن ورفقوا بهن كما قال ﷺ:

حديث فى العناية بالنساء:

«النساء ودائع الأحرار، ولا يعزهن إلا عزيز، ولا يذلهن إلا ذليل، والذليل عند الله فى النار» وكذلك المرأة إذا عزت زوجها وأطاعته فيما يرضى الله تعالى.

والقسم السادس: هم الذين تجنبوا الربا والحرام، وتجنبوا الخيانة فى المكيال والميزان، وقد قال رسول الله ﷺ: «كل مال خالطه الربا فهو زاد صاحبه إلى النار».

آكل الربا:

وقد ذكر أن آكل الربا يأتى الصراط فيجعل الله تبارك وتعالى كل درهم وكل حبة وكل ثوب وكل لقمة وكل شيء أكل أو اكتسبت يداه من الربا ثعبانًا من نار يخطفه من على الصراط ويهوى به فى قعر جهنم مع اليهود، ومن تاب تاب الله عليه وغفر له ما جنى.

والقسم السابع: هم الذين بروا الوالدين وبروا الأزواج وبروا الجيران وبروا الإخوان ولزموا المساجد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وحفظوا حدود الله ولم تأخذهم فى الله لومة لائم، عملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأنشدوا:

أتطمع بالنجاة وكيف تنجو ... ولست على نجاتك بالحريص؟
ولو فى نيلها أعملت حرصًا ... لنلت الفوز بالثمن الرخيص
ولكنى أراك تريد عزا ... وحالك حال ممتهن نقيص
وليس لمن تعرض للمعاصى ... - هديت - عن الضلالة من محيص

المتصدقين سراً وعلانية:

يا أحبابى إذا جاز الناس الصراط وجدوا خلقًا كثيراً نساء ورجالاً قد سبقوهم إلى الجنة فيقولون: من هؤلاء الذين سبقونا؟ فتقول لهم الملائكة: هؤلاء الرجال الذين تصدقوا فى السر ابتغاء وجه الله، وتصدقوا فى العلانية ليحببوا الصدقة إلى عباد الله، هؤلاء الذين فرجوا عن المكروبين، وهؤلاء النسوة (اللواتى أطعن) أزواجهن، وحفظن فروجهن وحفظن ألسنتهن عن أذى الزوج وعن أذى الجيران، وتصدقن فى السر والإعلان، تسبق هذه الزمرة جميع الناس إلى الصراط وجوازه بخمسمائة عام، ومن كان من إخوانهم من أهل الذنوب جازوا فى شفاعتهم، فإذا جازت أول زمرة من الأولين السابقين، وزمرة المتأخرين يبقى رجل واحد فيضع قدمه الواحدة فتزل فيبقى بالقدم الأخرى، فيركب الصراط على بطنه والنار تصيبه على قدر ذنوبه.

آخر من يبقى على الصراط:

فلا يزال يحبو ويتدرج ويبكى ويتضرع إلى الله تعالى حتى يجوز، فإذا جاز ونجا رد رأسه ونظر إلى الصراط وأهواله وأهوال أهل النار وعواء أهل النار فى النار فيقول: سبحان الذى خلصنى منك ونجانى من أهوال النار، فبينما هو ينظر إلى الصراط ويقول هذا القول يبعث الله تعالى إليه بلطفه ملكًا من ملائكته فيأتيه فيأخذ بيده ويقول له: قم يا عبد الله فينطلق إلى غدير من ماء على باب الجنة فيقول له الملك: اغتسل من هذا الماء واشرب منه، فيغتسل العبد ويشرب كما أمره الملك فيعود كالقمر الطالع ليلة التمام، وتعود رائحته كرائحة أهل الجنة ولونه كألوان أهل الجنة ثم ينطلق به إلى قرب جهنم فيقول له: قف ها هنا حتى يأتيك إذن من ربك، فينظر إلى أهل النار ويسمع عواءهم كعواء الكلب يستغيثون من شدة العذاب، فإذا سمع العبد أهل النار وما هم فيه بكى وقال: يا رب اصرف وجهى

عن أهل النار، حتى لا أنظر إليهم، ولا أسمع صوتهم، ولا أسالك غير هذا، فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين فيحول وجهه عن أهل النار إلى أهل الجنة، فينظر إلى ناحية أهل الجنة فيرى بينه وبين باب الجنة روضة خضراء ما رأى أحد قط مثلها، ثم ينظر إلى باب الجنة وجمالها وعرضه مسيرة أربعين يومًا للطير المسرع، والله أعلم من أى الأعوام، يقول: يا رب قد أحسنت إلىَّ الإحسان كله: جوزتنى الصراط، وأنجيتنى من النار، وأدنيتنى من باب الجنة، هذه الروضة أسألك أن تبلغنى إليها ولا أسألك غير ذلك، فيأتيه ذلك الملك فيقول له: يا بن آدم ما أكذبك ألست قد عزمت أنك لا تسأل غير هذا المقام؟ فيأخذ بيده وينطلق به للروضة فيدخله فيها.

باب الجنة:

فينظر إلى باب الجنة وإلى بهجة تلك القصور وأطرافها من الجندل الأخضر، وحصباؤها من الياقوت الأحمر، فيستنشق نسيم طيب الكافور والمسك، ويسمع حسن تغريد الأطيار وخرير تلك الأنهار، وما لا تصفه ألسنة الواصفين، ولا يخطر ببال المتفكرين، فإذا سمع العبد ذلك كله استخفه الطرب فيقول: يا مولاى لقد أنعمت علىَّ نعمًا أكمل النعم، جوزتنى الصراط وأنجيتنى من النار، وصرفت وجهى عن أهل النار حتى لا أراهم، ولكن أسألك يا سيدى ومولاى أن تدخلنى الجنة فاجعل هذا الباب بينى وبين أهل النار حتى لا أسمع حسيسهم، ولا أرى عذابهم؟ فيأتيه ذلك الملك فيقول له: يا بن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لا تسأل غير ما قد سألت؟، فيقول: وعزتك يا رب لا سألتك غيره، فيأخذ الملك بيده فيدخله الباب فينظر العبد عن يمينه، وعن شماله مسيرة سنة، فلا يرى إلا الشجر المُثمر ما رأى قط مثلها ولا خطر على قلب آدمى ولا جنى، فينظر إلى أدنى شجرة فيرى عندها روضة فيها شجرة أصلها ذهب وأغصانها فضة وورقها حلو ما رأى مثلها قط آدمى ولا جنى ولا خطر على قلب بشر، وثمرها ألين من الزبد وأحلى من العسل، فيقول العبد: يا رب لقد أنعمت على عبدك وتفضلت، نجيتنى من النار وأدخلتنى الجنة وأعطيتنى وأرضيتنى، وإنما بينى وبين هذه الروضة قليل فبلغنى إليها، فوعزتك لا سألتك غيرها، فيأتيه ذلك الملك فيقول له: يا بن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لا تسأل غير ما سألت؟ يا بن آدم أين ما أقسمت به أما تستحى من الله؟.

منازل الجنة:

فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى منزل من منازلها فإذا هو بقصر من لؤلؤة بيضاء بين يديه فلا يملك نفسه حين ينظر إليه، فيقول: يا رب أسألك هذا المنزل ولا أسألك غيره،

فيأتيه الملك من عند الله سبحانه فيقول له: يا بن آدم ما أكذبك ألست أنك قد زعمت أنك لا تسأل غير ما أنت فيه؟ فينظر بين يديه فإذا بمنزل كأنما المنزل الأول والثانى وجميع ما خلق ورآه حلمًا فيسأله فيعطى فلا يزال كذلك حتى يعطى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فلو نزل فى أدنى قصر من قصور الجن والإنس لكان عنده من الكراسى ما يجلسون ويتكئون عليها، ولكان عنده من الموائد ما يفضل عنهم، ولكان عندهم من الطعام والشراب ما يأكلون، وإذا أكلوا وشربوا لم ينقص من الطعام والشراب إلا بقدر ما أصاب رجل واحد: ﴿**وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ (الشورى: ٣٦).

وأنشدوا:

مقام المتقين غدًا جليل ... يطيب لهم مع الحور المقيل

وأنوار عليهم مشرقات ... إذا ناداهم الملك الجليل

* * *

فائدة للجواز على الصراط:

ذكر فى بعض الأخبار أن العبد أو الأمة إذا ذكر الصراط وهوله وصعوبته ورقته وطوله وبعد مسافته، ثم بكى ثم قام فصلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، و ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ (الإخلاص: ١) ثلاث مرات، ويسلم عن كل ركعتين فإذا فرغ من العشر ركعات صلى على النبى ﷺ وشرف وكرم مائة مرة ثم قال: سبحان الله خلق ما شاء وقضى بما يشاء والحمد لله على كل شيء ثلاث مرات، ثم يقول: اللهم جوزنى الصراط ونجنى من هوله اللهم لا إله إلا أنت لا شريك لك وصلى الله على سيدنا محمد وآله، فمن صلى هذه الصلاة وقال هذا القول جوزه الله تبارك وتعالى الصراط وهو لا يشعر به ولا بهوله مع أول زمرة تمر إلى الجنة... فاغتنموا رحمكم الله هذا الثواب، وتحصنوا به من أليم العذاب، يا أولى العقول والألباب، لأن الصراط حاد رقيق، وطريقه أبعد الطريق، يا له من طريق، ما يعين على جوازه أخ ولا صديق، إلا عمل صالح ورب رفيق.

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن العمر يذهب، والدنيا تفنى وتخرب، والنفس تموت والمرد إلى الحى الذى لا يموت، فاستعدوا بكثرة الأنوار، وبالصلاة وفعل الخير فى الليل والنهار، وبالطاعة للنبى السيد المختار، وبالعمل بكتاب الملك الواحد القهار، وابكوا على هول الصراط المنصوب على متن النار، يسره الله لنا وهونه علينا آمين يا رب العالمين إنه قريب مجيب.

شفاعة الناس بعضهم لبعض

ذكر أن العبد إذا جاوز الصراط وخلص ذكر في ذلك الموقف أباه وأبناءه وإخوانه وجيرانه فعند ذلك يسأل الصديق في صديقه، والوالد في ولده، والجار في جاره، والرجل في زوجته، والمرأة في زوجها، والإمام في جماعته التي كان يصلى بها، فيشفع كل واحد منهم على قدر عمله ومنزلته عند ربه.

روى قتادة عن الحسن البصري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له بعض أهله: يا رسول الله هل يفكر الرجل يوم القيامة في حميمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد أحداً: عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخف، وعند الصراط حتى ينظر أيجوزه أم لا، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ الصحيفة أم بشماله»(٧٣) فهذه ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه ولا صديقه ولا حبيبه ولا قريبه ولا بنيه ولا والديه وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس: ٣٧) هو مشغول بنفسه عن غيره من شدة الأهوال العظام أسأل الله أن يسهلها لنا برحمته، ويهونها علينا بمنه ولطفه، وأنشدوا:

بكيت على هول الصراط وذكره ... وهول زفير النار من أعظم الذكر
وكيف يطيق الصبر من كان عاصيًا ... لخالق كل الخلق في السر والجهر
ومن يك ذا خوف شديد لهوله ... فإن له أمنًا من الهول في الحشر
فليس لمن يبكى لهول صراطه ... جزاء سوى دار النعيم مع الفخر
فيا له من هول فظيع يجوزه ... رجال أطاعوا الله في سالف العمر

عباد الله تفكروا في هول الصراط الرقيق البعيد، وأشفقوا من الهول العظيم الشديد، وأطيعوا الجبار الولي الحميد.

لا تقبل صلاة شراب الخمر:

ذكر أن شراب الخمر إذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية فتهوى بهم إلى عين الخبال(٧٤) وهي قيح أهل النار، فيسقون بكل كأس شربوا من الخمر في الدنيا شربة من

---

(٧٣) ضعيف: رواه أبو داود (٤٧٥٥) أحمد (٢٤١٧٥) وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٠١٨) والمشكاة (٥٥٦٠).

(٧٤) الذي ورد هو طينة الخبال» وليس «عين الخبال» كما في صحيح مسلم (٢٠٠٢) من حديث جابر ﷺ بلفظ «كل مسكر حرام إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال، قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار».

الخبال لو أن تلك الشربة تصب من السماء السابعة لأحرقت السموات والأرضين بمن فيهن ومن عليهن، والأصل في شارب الخمر أنه يخطف من على الصراط، لأنه ليس له عمل صالح، والأصل فيه أن الأعمال كلها لا تقبل إلا ممن صلى، لأن الصلاة هي رأس الأعمال، وشارب الخمر لا تقبل منه صلاة ما دام مصرًا على شرب الخمر، فإذا لم تقبل منه صلاة فلا يقبل منه سائر عمله، فيأتي إلى الصراط ووجهه أسود، وقد عهد إلى الزبانية الذين على الصراط أن لا يتركوا أن يجوز إلا من له نور، ومن ليس له نور أن يكبوه في النار إلا من تاب وترك الخمر ورجع إلى الله تعالى.

التوبة من الخمر وثوابها:

يا إخواني اعلموا أن شارب الخمر إذا تاب وترك الخمر لوجه الله تعالى كان يوم القيامة أفضل وأكثر نورًا على الصراط وأسرع جوازًا ممن لم يشربها... فالله الله يا معشر المذنبين، توبوا إلى مولاكم أسرع الحاسبين، يغفر لكم ذنوبكم أجمعين.

فضل المؤذنين:

ذكر في بعض الأخبار أن المؤذنين إذا أتوا إلى الصراط يجدون نجائب(٧٥) من نور مسرجة بسرج الياقوت والزبرجد فيركبونها فتطير بهم على الصراط، ويشفع كل واحد منهم عند جواز الصراط في أربعين ألفًا كلهم قد استوجبوا النار، ويجوز في نور المؤذن ألف رجل وألف امرأة، وفي حديث آخر: أن المؤذن إذا جاء إلى الصراط سبقه نور الأذان ونور لا إله إلا الله ونور محمد رسول الله ونور الدعاء الذي يدعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى، فيجوز الصراط في نور المؤذن أربعون ألفًا ممن ليس لهم نور وهم أهل الذنوب والخطايا.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من عبد مسلم حان عليه وقت الصلاة في أرض قفراء أو موضع ليس فيه جماعة، فقام فاذن ثم أقام فصلى إلا وأم من جنود الأرض ما لا يحصى عددهم إلا الله تبارك وتعالى، ويكتب الله له بعددهم حسنات، ويمحو بعددهم سيئات، ويرفع له بعددهم في الجنة درجات، لو دخل في أدنى درجة من درجاته الجن والإنس لوسعتهم، ولكان فيها من الفرش والأسرة والموائد والطعام والشراب والخدم ما يفضل عنهم وإن لم يؤذن واقتصر على الإقامة وحدها لم يصل خلفه إلا ملكاه اللذان يكتبان عمله»(٧٦).

---

(٧٥) النجائب: الركائب الخفيفة السريعة، والكريمة من الإبل.

(٧٦) لم أقف عليهما ولقد صدرهما المؤلف بصيغة التمريض روى.

وفى حديث آخر: «إذا أذن العبد المسلم فى فلاة من الأرض ثم أقام فصلى جعل الله تبارك وتعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة المقربين، أحد طرفى الصف بالمشرق والآخر بالمغرب، فإذا فرغ من صلاته ودعا أمنوا على دعائه، ويكتب الله تبارك وتعالى له بعددهم حسنات، ويمحو عنه جل وعلا بعددهم سيئات، ويرفع له تعالى بعددهم درجات، كل درجة أعظم من الدنيا سبعين ألف مرة، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فإذا جاء يوم القيامة إلى الصراط جاء معه أصحابه من الملائكة الذين صلوا خلفه كل ملك منهم معه نور من نور الجنة فيأخذون بيده وبأيدى أهله وبأيدى إخوانه الذين صحبوه وأحبوه فى الله فيفرقون عليهم من تلك الأنوار ويجوزونهم الصراط فى شفاعته ويمضون معه إلى الجنة، ولا يرون من هول الصراط ولا من حره ولا صعوبته شيئًا».

فضل العلماء:

ذكر فى بعض الأخبار أن العلماء إذا أتوا إلى الصراط تكون وجوههم كالشمس الضاحية وأنوارهم بين أيديهم وبيد كل عالم منهم لواء من نور الجنة يضىء له مسيرة خمسمائة عام، وتحت لواء العالم كل من اقتدى بعلمه وكل من أحبه فى الله ومنادى يناد هؤلاء أحباء الله، هؤلاء أولياء الله، هؤلاء الذين خلفوا الأنبياء، هؤلاء الذين علموا عباد الله، هؤلاء الذين دعوا إلى الله، هؤلاء الذين حفظوا حدود الله، هؤلاء مصابيح الدجى، هؤلاء أئمة الهدى، فإذا دنوا من الصراط يوضع على رأس كل واحد منهم تاج من نور الجنة لو وضع ذلك التاج فى السماء السابعة العليا لخرق نوره إلى الأرض السابعة السفلى، ويكسى كل واحد منهم حلة من حلل الجنة لو نشرت تلك الحلة بين السماء والأرض لغطى نورها نور الشمس، ولمات الخلائق كلهم عشقًا إلى رؤيتها، ولملأت الأرض والبحار من رائحة المسك، وينزل على رأس كل واحد منهم غمامة من نور تقيه من حر شرر جهنم ومن حر الشمس.

وأنشدوا:

يا طالب العلم ترجو أن تنال به ... عفو الإله وعفو الله موجود
اطلب بعلمك وجه الله خالقنا ... إن الصراط على النيران ممدود
عفو الإله لأهل العلم نائلهم ... وعفوه عند أهل الجهل مفقود
فاحرص هديت على التعليم مجتهداً ... وأنت عند إله العرش محمود
فاعمل بعلم رسول الله سيدنا ... وأنت بين عباد الله مسعود

واعلموا أن الله تبارك وتعالى لا يقبل عملاً بلا علم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨) فالعلماء قد أثبت لهم الجبار الخشية والتقى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧) ومن لا يعلم لا يتقى، وكيف يتقى من لا يتقى ما يتقى، وقد قال رسول الله ﷺ: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، به يعرف الله ويعبد، وبه يحمد الله ويوحد»[٧٨] وهو إمام العمل والعمل تابعه، يرفع الله بالعلم أقوامًا فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدى بهم وينتهى إلى رأيهم، فقد بين رسول الله ﷺ أن العبادة لا تكون إلا بالعلم لقوله ﷺ: «به يعرف الله ويعبد» ويستوفى ذكر فضل العلم فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ والمقصود فى هذا الموضع ذكر الصراط والجواز عليه.

فضل حملة القرآن:

ذكر فى بعض الأخبار أن حملة القرآن يحشرون يوم القيامة على كثبان من مسك أسود وأنوار وجوههم تغشى بالأبصار فإذا أتوا إلى الصراط تلقتهم الملائكة الذين وكلوا بحملة القرآن فتأخذ بأيديهم وتضع التيجان على رءوسهم والحلل على أجسامهم وتقرب إليهم خيلاً من نور الجنة عليه سرج من المسك الأذفر والعنبر الأشهب، ألجمها من اللؤلؤ والياقوت يركبونها فتطير بهم على الصراط ويجوز فى شفاعة كل واحد مائة ألف ممن قد استوجب النار، ومناد ينادى: هؤلاء أحباب الله، هؤلاء أولياء الله الذين قرأوا كتابه وعملوا به فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهم أهل الله وهم أحباب الله من أحبهم فى الدنيا أحبه الله، فجاوزوا الصراط وخلفوه بلا هول ولا هم ولا حزن ولا غم، وهذا إذا عملوا بالقرآن، ووقفوا عند أوامره ونواهيه وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمحكمه ووقفوا عند متشابهه، وسارعوا إليه: ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢)

---

(٧٨) منكر: قال الكنانى فى تنزيه الشريعة (١/ ٢٨١) قال الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء: وقوله فى الأول حسن أراد حسن معناه لا الحسن المصطلح عليه عند المحدثين بدليل قوله: ليس له إسناد قوى فإن موسى بن محمد بن عطاء البلقاوى نسب إلى الكذب والوضع وعبد الرحيم متروك ووالده مختلف فيه والحسن لم يدرك معاذا، ثم قال.... وهو منكر جدًا ورواه أبو نعيم فى حلية الأولياء (٦/ ٣٤٢) عن عمر وكذلك قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ١٢٩ - ١٣٠) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عمار بن كثير وهو متروك الحديث. اهـ. وهذه كلها روايات لا تثبت.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠) أولئك أولياء الله الصالحون، أولئك الذين رضى الله عنهم ووفقهم وهداهم وآتاهم تقواهم.

من لا يعمل بالقرآن:

وأما حامل القرآن إذا لم يعمل به فإنه يأتى إلى الصراط فتستقبله الزبانية بمقامع الحديد وأرازب النار، وتسود وجوههم على قدر ما ضيعوا من العلم، فمن تعلم علماً للتجبر والمباهاة أو الرياء أو السمعة ولم يرد به وجه الله تعالى وطلب عليه الرشا والبراطيل، وكتمه ولم ينصح به عباد الله، وطلب به الرياسة وصحبة الملوك، ومشى به إلى أبواب أبناء الدنيا وإلى دور الظلمة وأهل الجور، وحكم به بغير العدل ألجم بلجام من نار جهنم، وكان عمله عليه حجة وغمة ومحنة وحسرة وندامة وظلمة على الصراط، ثم يكون العلم للعامل نوراً، وفرحة وسروراً، وجنة وحبوراً، ينظر المغرور المسكين إلى وفود العلماء وزمر الأولياء وألويتهم على رءوسهم منشورة، وقلوبهم مما بشروا به من الفوز بالجنان مسرورة، وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم، والملائكة تنادى: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، وأنت فى ظلمك حيران، أيقنت بالحلول فى سموم النيران، إلا أن يتداركك بعفوه الملك الديان، وقد أخذ الملك بيدك وهو ينادى عليك ولجام النار فى فمك لو كان ذلك اللجام فى الدنيا لأحرقها من مشرقها إلى مغربها وينادى عليك: هذا الذى ضيع حدود الله، هذا الذى خالف أوامر الله، هذا الذى بدل عهد الله، وخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وآثر حب الدنيا على ما عند هؤلاء.

يا مسكين أخذت على العلم أجرة وبرطيلاً واشتريت به ثمناً قليلاً، ولم تراقب مولى كريماً جليلاً، وتركت وراءك يوماً هائلاً ثقيلاً، وخسرت يا مغرور ملكاً كبيراً دائماً جزيلاً.

فسقة حملة القرآن:

ذكر فى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان والنيران، فيقولون: ويبدأ بنا قبل عبدة الأوثان والنيران؟ فتقول لهم الملائكة: ليس من يعلم كمن لا يعلم» [٧٩].

وفى حديث آخر: «إن الملائكة الذين جعلهم الله على الصراط إذا نظروا إلى حملة القرآن الفساق أخذوهم وزجوا فى أقفيتهم وألقوهم فى جهنم أو يعف الله تعالى عنهم»

---

(٧٩) **ضعيف**: رواه الديلمى فى مسند الفردوس (٢/ ٣٠٢، ٥/ ٥٠٩) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٣١٨٩).

اللهم اعف عنا وعن جميع إخواننا المسلمين، واجعل القرآن حجة لنا ولا تجعله حجة علينا يا أرحم الراحمين.

وأنشدوا:

عظمت مصيبة حامل القرآن	إن كان ملجاه إلى النيران
فهو الجزاء لمن عصى رب العلا	دار العذاب وموقف الخسران
عظمت خسارته وجل مصابه	عند الصراط بظلمة وهوان
يا رب عفواً عن قبيح فعالنا	أنت الدليل لجنة الرضوان

فاتقوا الله معشر أهل القرآن فى كتابه، وأشفقوا من أليم عذابه، واعملوا بالقرآن وارغبوا فى جزيل ثوابه، لأن القرآن هو لكم وهو عليكم إن لم تعملوا به ويل وثبور: ﴿**فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ (لقمان: ٣٣).

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «عرضت عليَّ الذنوب كلها فلم أر فيها ذنبًا أعظم من ذنب حامل القرآن وتاركه»(٨٠) ومعنى تاركه تارك العمل به، العمل مع قلة العلم أفضل من كثرة العلم وقلة العمل.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «يسأل حامل القرآن عما يسأل عنه الأنبياء»(٨١) وإذا غضب حامل القرآن يقول له القرآن: أما تستحى أنا معك وأنت تغضب؟ اقتدِ بى تنجُ وأكرمنى بالطاعة أنجك من الأهوال وأجوزك الصراط وأدخلك الجنة.

ويروى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من شفيع أفضل منزلة عند الله من القرآن لا نبى ولا ملك ولا غيره» فإنا لله وإنا إليه راجعون على من لا يعمل بالسنة والقرآن كيف اختار النار على الجنان، وعصى مولاه وأطاع الشيطان، لقد ضل ضلالاً بعيداً، وتبوأ عذابًا شديداً، وبقى من الخير فريداً وحيداً، فيا لها من مصيبة ما أعظمها، ومن حسرة ما أدومها.

---

(٨٠) **ضعيف**: رواه أبو داود (٤٦١) والترمذى (٢٩١٦) وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٢٥٨٨) وضعيف الجامع (٣٧٠٠) والمشكاة (٧٢٠) وضعف الترمذى (٥٥٨) وضعيف أبى داود (٨٨) بلفظ «عرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية» أوتيها رجل ثم نسيها».

(٨١) أورده المصنف بلفظ روى ولم أعثر عليه.

ما خلف الصراط:

روى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلف الصراط جسر عليه الأمانة، وجسر عليه الرب جل جلاله، وجسر عليه الرحمة»(٨٢) فيا أيها السامع لما جاء من أحاديث الصفات والآثار المشكلات، سلم الأمور لباريها، واترك تأويلها إن كنت تاليها وقاريها، وعليك بخويصة نفسك، واعمل ليوم رمسك وذلك الجسر عليه السؤال، ذلك الوقت يقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه: عبدى عملت كذا فى يوم كذا؟ فيقول العبد: نعم يا رب، فلا يزال الرب جل جلاله يعرِّف العبد والعبد يعترف ويقول: نعم، حتى يقول العبد: لإرسالك بى إلى النار أهون علىَّ من هذا التوبيخ، فيقول له جل وتعالى: يا عبدى بعينى إذا كنت عملت ذلك وكنت عليك شهيداً وملائكتى وأرضى، ولكن سترت عليك بحلمى وجودى، يا عبدى أنا سترتها فى الدنيا عليك وأنا أغفرها اليوم لك، غفر الله لنا أجمعين، وأماتنا برحمته مسلمين تائبين على السنة والجماعة على شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله ﷺ.

* * *

(٨٢) ضعيف: رواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٥٦٩) وابن رجب فى التخويف من النار (١/ ١٧٤) من طريق سالم بن أبى الجعد عن عبد الله بن عمر وإسناد المصنف مرسل.

٤- مجلس فى قوله سبحانه وتعالى

﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف: ٤٦)

هؤلاء الذين ذكرهم المولى جل جلاله بقوله: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحبسوا على الأعراف، والأعراف هى مواضع مرتفعة على الصراط لأن الصراط سبع قناطر وهى الجسور بعضها أصعب من بعض، وبعضها أشد سؤالاً من بعض، وبعضها أكثر ارتفاعًا من بعض، وعند كل جسر يسأل العبد فيها عن عبادته التى افترضها الله عليه فى الدنيا، فنسأل الله التوفيق فى الدنيا والتسهيل فى الآخرة فى تلك المقامات.

سؤال العباد يوم القيامة:

فأول ما يسأل عنه العبد الصلاة(٨٣)، ثم الذكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم الأمانة، ثم بر الوالدين، ثم حفظ اللسان، ثم حفظ الجار، ثم صلة الرحم، وكذلك جميع ما أمر الله به وجميع ما نهى عنه، فكل من جاء إلى جسر من جسور الصراط سئل عن عبادته، فإن أجابها جاز وصار إلى الجنة ونور الإيمان يسعى بين يديه وعن يمينه وعن شماله، وإن لم يأت بها نقص نوره وهو نور الإيمان لأن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بطاعة الله وينقص بمعصية الله، فكل من نقص ثوابه بالمعصية نقص نوره على الصراط، فمن أراد مولاه أن يعذبه أتم له النور فى بعض جسور الصراط وطفأ النور عنه فى بعضه الآخر، والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم، لو أن قطرة من ظلمة الصراط وضعت فى الدنيا لأظلم مشرق الدنيا ومغربها ولمات الخلق من شدة الظلمة، وإنما حبس الله تعالى هؤلاء القوم على أعراف الصراط ليبين لأهل الجنة والملائكة والجن والإنس وجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فضل نبينا محمد ﷺ، ويظهر فخره وجاهه وقدره وحرمته عند ربنا جل جلاله وذلك أن الله تبارك وتعالى يأمر العباد يمضون على الصراط منصوب على متن جهنم، وتأتى الخلائق إلى الصراط المؤمنون والكافرون، فأما المؤمنون فيمضون وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم أى: عن أيمانهم.

---

(٨٣) صحيح: رواه النسائى (١٩٩١) وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٧٤٨) بلفظ «أول ما يحاسب به العبد الصلاة».

ظلمات الكفر والمعصية:

وأما الكافرون فإنهم يمضون فى ظلمات الكفر وظلمات أعمالهم التى عملوا فى حال الكفر فى دار الدنيا فإذا أتوا إلى الصراط فأول قدم يضعونها على الصراط يهوون فى النار فتخطفهم الملائكة بالكلاليب[٨٤] فتلقيهم فى قعر جهنم، فإذا مضى المؤمنون بنورهم مضى المنافقون فى آثارهم يتبعونهم وينادونهم: ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (الحديد: ١٣) فنمشى فى ضوئكم فيقال: ﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ (الحديد: ١٣) وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٢) وذلك أنهم كانوا فى الدنيا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وأظهروا لهم الإيمان بألسنتهم واعتقدوا الكفر بقلوبهم، والله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم، والمنافقون كانوا يتربصون بالمؤمنين الدوائر، فإذا كانوا على الصراط على آثار المؤمنين ليمشوا فى نورهم قالوا للمؤمنين ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ (الحديد: ١٣) فيظنون أن وراءهم نورًا يلتمسونه فيرجعون وراءهم فيرفع لهم (سرداب) فيظنون أن فى السرداب نور يجوزهم على الصراط فيقتحم بهم إلى أبواب جهنم، فإذا رأى المؤمنون المنافقين تساقطوا وتهافتوا فى النار فزعوا مما حل بالمنافقين، فعند ذلك يقال لهم: ﴿ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ (الحديد: ١٢) وهذا العذاب الذى فزعتم منه هو للمنافقين الذين عصوا الله ورسوله وجحدوا بآيات الله وخالفوا كتابه، فعند ذلك يضرب بينهم ﴿ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ ﴾ (الحديد: ١٣).

السور الحاجز بين الجنة والنار:

والسور هو الحائط له باب إلى الجنة وهو حائط بين الجنة والنار، باطن ذلك الحائط ﴿ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (الحديد: ١٣) يعنى جهنم - والباطن فيه الرحمة - يعنى الجنة - فإذا رأى المنافقون المؤمنين لم يعرجوا عليهم ولم يلتفتوا إليهم، ورأوهم فى حال السلامة والفوز، فيقول لهم المنافقون: ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ (الحديد: ١٤) فى الدنيا على التوحيد وكنا نصلى معكم؟ فيقول لهم المؤمنون: ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ (الحديد: ١٤) أى عذبتم وأحرقتم أنفسكم بالنار بخلافكم لرسول الله ﷺ وقولكم بألسنتكم ما ليس فى قلوبكم، وتكذيبكم بلقاء الله تبارك وتعالى، وكذبتم بهذا اليوم

---

(٨٤) الكلاليب: مفردها «كلوب» وهو حديدة معوجة الرأس يعلق بها اللحم ثم يرسل فى التنور.

﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ (الحديد: ١٤) برسول الله ﷺ وبالمؤمنين الدوائر ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (الحديد: ١٤) فيما فعلتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ﴿ فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (الحديد: ١٥) يعني لا يؤخذ من كافر ولا منافق فداء.

صفة المنافقين:

فالكافر هو الذى كفر فى السر والإعلان، والمنافق الذى كفر فى السر وآمن فى الإعلان وآمن بلسانه وكفر بقلبه، وقوله: ﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ﴾ (الحديد: ١٥) أى مرجعكم إليها ومستقركم فيها، هذا كله غرور الشيطان بكم حتى جاءكم الموت ومتم على النفاق، فإذا رجعوا وراءهم ليلتمسوا النور رأوا سرداباً فيدخلون ذلك السرداب ويظنون أن النور فيه فيهجم بهم على أبواب جهنم، فتخطفهم الملائكة بالكلاليب، فتقذفهم فى جهنم حتى يجاوزون الباب الأول من جهنم، ثم يلقون فى الباب الثانى حتى يجاوزونه، فلا يزالون من باب إلى باب حتى ينتهوا إلى الدرك الأسفل من النار فينتهى بهم إلى جب يقال له: جب الحزن فى ذلك الجب بئر يقال لها: الهبهب، فيها توابيت من نار وعليها أقفال من نار.

بئر الهبهب:

على تلك البئر صخرة من كبريت، فى تلك البئر باب إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التى تخرج منها، فتأكل تلك النار التى تخرج من تلك البئر نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين، فيؤتى بالمنافقين فيلقون فى تلك البئر وتوضع عليهم تلك الصخرة فلا يخرجون منها أبداً، كلما أكلت تلك النار لحومهم جدد الله لهم لحوماً غيرها، فلا يخرجون من تلك البئر أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ (النساء: ١٤٥) وقوله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٢) يعنى بقوله: ﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً ﴾ (الحديد: ١٣) وأما المؤمنون الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم فإنهم يمشون على الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى إذا كانوا على جسر الصراط، وهو أعلى الجسور من الصراط وهى الأعراف، وهى المواضع المرتفعة واحدها عرف، وتسمى النشز من الأرض وهو الموضع المرتفع عرفًا، ومنها عرف الديك.

أهل الأعراف:

فإذا صاروا على تلك المواضع من الصراط نقص نورهم وبقوا على أطراف أنامل أرجلهم ورأوا أن ذلك ظلمة، وذلك أن الخلق على الصراط على قدر أعمالهم فى الدنيا،

فمن الناس من يكون له من النور ما يضيء على الصراط مسيرة مائة عام، ومنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة سنة، وما يضيء مسيرة شهر، ومسيرة جمعة، ومسيرة يوم، ومسيرة ساعة، ومن الناس من يعطى من النور ما يضيء له موضع قدميه، على قدر منازلهم عند الله تبارك وتعالى وعلى قدر أعمالهم فى الدنيا، فيستبقون فى الجواز على قدر أنوارهم التى معهم فمن كان له نور كثير جاز فى السعة، ومن كان له نور قليل جاز فى الضيق، على قدر ما أعطى الله لكل عبد، فإذا ثبت أصحاب الأعراف على أنامل أرجلهم فى ذلك ولا ينظرون إلى موضع أقدامهم من شدة الظلمة، والظلمة هى شدة سواد جهنم أعاذنا الله وإياكم منها وسهل لجميعنا شدائدها وظلمتها، وثبت على الصراط أقدامنا بمنه وفضله، والصراط أحد من السيف وأرق من الشعرة وأحر من الجمر، عليه من الحسك، والكلاليب أكثر من عدد الإنس والجن قد تعلق بكل كلوب من الزبانية عدد نجوم السماء إذا تكلم واحد منهم تناثر النار من فيه، لو أن واحداً منهم بصق فى البحار الزاخرة لجففها، وإذا تكلم واحد منهم فزع صاحبه منه، ولو سمع أهل الدنيا صوت واحد يتكلم بالكلام لمات كل من فيها من إنسها وجنها وجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فيها من برها وبحرها من فظاعة كلامه، ومن شدة صوته، وإذا صاح مالك خازن جهنم على خزنة جهنم يغشى عليهم من شدة صوته، والصراط مع دقته ورقته يضطرب كما تضطرب السفينة بأهلها إذا كانت الريح عاصفة، فإذا ثبت القوم على أناملهم من أرجلهم ولا يستطيعون الجواز وهم ينظرون إلى أهل النار كيف يعذبون فى النار، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ (الأعراف: ٤٧) وهم يستغيثون ويتضرعون إلى مولاهم جل جلاله ويسألونه النجاة من النار ومن هول ما هم فيه من صعوبة الصراط، فيمكثون كذلك ما شاء الله تبارك وتعالى مغمومين مكروبين محزونين لا يدرون أينجون أم يهلكون!! مع كل إنسان منهم حافظاه اللذان كانا يكتبان عليه عمله فى الدنيا، فبينما هم كذلك إذ يلقى الله تبارك وتعالى ذكرهم فى قلوب إخوانهم من أهل الجنة وعلى ألسنتهم، فيقول بعضهم لبعض: يا ليت شعرنا ما فعل إخواننا من أهل الأعراف؟ فيقولون: ما لنا علم بما صنعوا ولكنا نسأل الحفظة ومن معهم حتى يخبرونا ما فعلوا، فينادون من قصورهم يا معشر الملائكة الذين مع أصحاب الأعراف ما فعل إخواننا من أصحاب الأعراف؟.

شفاعة أهل الجنة فى أصحاب الأعراف:

فيقول الملائكة: يا معشر أهل الجنة أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون بدخولها، قد قل نورهم وطفئ سراجهم وبقوا على أطراف أناملهم وأرجلهم وهم وقوف ينتظرون رحمة ربهم فذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف: ٤٦) يعنى نادت الملائكة أصحاب الجنة: ﴿أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (الأعراف: ٤٦).

حياء آدم:

فعند ذلك يلبس أهل الجنة الحلى والحلل ويضعون التيجان على رءوسهم ثم يمضون بأجمعهم حتى يأتوا آدم عليه الصلاة والسلام وهو فى قصره فينادون بأجمعهم: يا أبانا أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك كرام ملائكته وأسكنك جنته، إن ناسا من ولدك محبوسون على الصراط قل نورهم، وطفئ سراجهم، فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول آدم عليه السلام: لست هنالك، أنا الذى عصيت ربى وأكلت من الشجرة فغفر لى وأنا أستحى أن أسأله بعد المغفرة شيئًا، ولكن عليكم يا بنى بنوح الذى حمله الله فى الفُلْك.

حياء نوح:

فيأتون نوحًا عليه السلام فينادون بأجمعهم: يا نوح، فيشرف عليهم من قصره فينظر إلى جماعتهم فيقول لهم نوح: يا أهل الجنة ما الذى أزعجكم من منازلكم وما الذى جاء بكم؟ فيقولون له: يا نوح أنت الذى حملك الله فى الفلك إن ناسًا محبوسون على الصراط، قل نورهم، وطفئ سراجهم، فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول لهم نوح: لست هنالك أنا الذى خاطبت ربى فيما ليس لى بى علم فغفر لى، وأنا أستحى أن أسأله بعد المغفرة شيئًا، ولكن عليكم بإبراهيم الذى اتخذه الله خليلاً، وجعل النار عليه بردًا وسلامًا، فيأتون إبراهيم عليه السلام وهو فى قصره فينادون بأجمعهم: يا إبراهيم أنت الذى اتخذك الله خليلاً إن ناسًا محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول لهم: لست هنالك، أنا الذى كذبت كذبتين - وقيل ثلاث - فغفر لى وأنا أستحى أن أسأله بعد المغفرة شيئًا ولكن عليكم بموسى بن عمران كليم الله ونجيه.

حياء موسى:

فيأتون بموسى عليه السلام فينادونه فيشرف عليهم فيقولون له: يا موسى أنت الذى كلمك الله بغير ترجمان وأنزل عليك التوراة وضرب لك طريقًا يبسًا فى الأرض وأراك العجائب من قدرته، إن ناسًا من إخواننا محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم، فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول لهم موسى: لست هنالك أنا الذى وكزت الرجل فقتلته فغفر لى وأنا أستحى أن أسأله بعد المغفرة شيئًا ولكن عليكم بعيسى ابن مريم العذراء البتول البكر.

حياء عيسى:

فيأتون عيسى وهو صلى الله عليه وسلم فى قصره فينادونه بأجمعهم: يا عيسى، فيشرف عليهم من قصره فيقول لهم: يا أهل الجنة ما الذى أزعجكم من منازلكم، وما الذى جاء بكم؟ فيقولون له: يا عيسى أنت الذى خلقك الله من غير بشر، وأنت الذى جعلك الله آية للناس، وأنت ابن الطاهرة البكر العذراء البتول، إن ناسًا محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم، فاشفع لهم عند ديان يوم الدين، فيقول: لست هنالك أنا الذى زعمت النصارى أنى قلت لهم اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فأستحى منه أن أسأله شيئًا، ولكن عليكم بالذى كان آخر المرسلين وهو اليوم أولهم، عليكم به فهو إمام المتقين، وسيد العالمين، وخاتم النبين، محمد ﷺ.

* * *

شفاعة محمد:

فيأتون النبى ﷺ وهو فى قصره خير قصور الجنة، فيقفون حول القصر والقصر قد أشرق نوره وبهجته على جميع قصور أهل الجنة، فينادون بأجمعهم: يا محمد، يا أبا القاسم، يا أحمد، يا سيد العالمين، يا إمام المتقين، يا خاتم النبيين، فيشرف عليهم ﷺ من قصره والنور من وجهه قد أشرق على قصور الجنة كلها، فيقول لهم ﷺ: ما الذى أزعجكم من منازلكم وما الذى جاء بكم؟ فيقولون له: أنت الذى جعلك الله خاتم النبين، وسيد العالمين، وإمام المتقين، إن ناسًا من أمتك على الصراط محبوسون قل نورهم وطفئ سراجهم، فاشفع لهم عند ديان يوم الدين.

دخوله جنة عدن:

فيقول النبي ﷺ : أنا لها، فيلبس ﷺ الحلي والحلل ويضع على رأسه (التاج) ﷺ، ويتبعه أهل الجنة حتى ينتهي إلى باب جنة عدن فيستفتح فيقال: من هذا؟ قال ﷺ فأقول: أنا أحمد، فيفتح لي، فإذا خلف السرادق ملك يتلألأ نوراً فيهولني ما أرى منه فيؤنسني ويمسحني فيقول: يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك، ثم أمضي فأنتهي إلى سرادق ثان فأستفتح فيقال: من هذا؟ فأقول: أنا أحمد، فيفتح لي، فإذا خلف سرادق ملك عظيم أعظم خلقًا وأشد نوراً من الذي رأيت فيهولني ما أريت من عظمه، فيؤنسني ويمسحني ويقول: يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك، فلا أزال أمشي في عظم الملائكة وبعضهم أشد نوراً من بعض، حتى أنتهي إلى السرادق السابع فأستفتح فيقال: من هذا؟ فأقول: أنا أحمد، فيفتح لي فإذا خلف السرادق جبريل عليه الصلاة والسلام، فيقول: مرحبًا بهذا الصوت، لقد كنت إليه مشتاقًا فأمضي حتى أنتهي إلى الحجب فترتفع الحجب فيتجلى لي رب العالمين جل جلاله وعظمت قدرته، فإذا نظرت إليه خررت له ساجداً فأحمده بتحميد ما حمده بمثله ملكٌ من حملة العرش، ولا من حملة الكرسي ولا نبي مرسل حينئذ في ذلك المكان، حتى يقول الكروبيون والروحانيون وأصحاب السرادقات: إن هذا لأهل أن يشفعه الله فيمن يشفع.

سجوده بين يدى الله تعالى:

فيقول الجبار جل جلاله وعظمت قدرته: يا أحمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، قال رسول الله ﷺ : فأرفع رأسي من السجود فإذا نظرت إلى ربي جل جلاله خررت ساجداً وأحمده وأثني عليه بمثل ما حمدته به في المرة الأولى، فأفعل ذلك ثلاث مرات، وربي جل جلاله يقول لي في كل مرة: ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب إن ناسًا من أمتي محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فأتمم لهم نورهم وأضيء سراجهم وهم الذين يقولون عند ذلك: ﴿**رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (التحريم: ٨) حتى نمضي كما مضى إخواننا إلى الجنة، فيبعث الله تبارك وتعالى الملائكة فيأتون بالنور من جنة عدن، ثم يغمسون غمسًا فيحيى الله نورهم ويضيء سراجهم، ثم تقبل الملائكة على أهل جهنم فيقولون لهم: ﴿**أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ (الأعراف: ٤٩) وذلك أن أهل

جهنم لما نظروا إلى أصحاب الأعراف محبوسين على الصراط قال بعضهم لبعض: والله ما حبسوا هؤلاء إلا ليدخلوا معنا فى جهنم، فمن أجل ذلك قالت لهم الملائكة: ﴿**أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ**﴾ ثم تقبل الملائكة على أصحاب الأعراف.

* * *

جاه المصطفى العظيم:

فيقولان لهم: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ أى لا تحـزنون ولا تموتون فى الجنة أبداً، فيمضون والنور الذى جاءتهم به الملائكة فى جنة عدن يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى يجوزوا الصراط ويدخلوا الجنة ويلحقوا بمنازلهم وإخوانهم ونبيهم محمد ﷺ وإنما حبسهم الجبار جل جلاله وعظمت قدرته ليظهر جاه محمد ﷺ وفضله وحرمته ودرجته ومنزلته ومكانه عند الله تبارك وتعالى من الشفاعة ﷺ صلاة تشرف بها عقباه، وتبلغه بها من الشفاعة العظمى رضاه آمين يا رب العالمين صلاة دائمة منتهى الآباد، طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد، صلاة تنجينا بها من حر جهنم وبئس المصير، وتدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين، آمين يا رب العالمين.

* * *

٥- مجلس فى قوله تعالى

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ (النحل: ١١١)

وفى حساب الملائكة والرسل واللوح المحفوظ

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «تقف الخلائق للعرض الأكبر بين يدى رب العالمين فيغرقون فى العرق على قدر أعمالهم».

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: يا بنى آدم أنصتوا فطالما أنصتُّ لكم، وفى رواية أخرى: فقد نصت لكم من يوم خلقتكم إلى يوم هذا أسمع قولكم وأنظر أعمالكم، فانظروا اليوم أعمالكم تعرض عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، احشروا علىَّ عبادى فوعزتى وجلالى لا يجوزنى ظلم ظالم فكيف بك يا مسكين يا مغرور يا تارك الحق والصواب، يا مخالف السنة والكتاب، يا ظالمًا لنفسك يا غافلاً عن الحساب يا من بذل نفسه لأليم العذاب، يا من تمادى فى معصية رب الأرباب، ونسى الجنة وحسن المآب، وأنشدوا:

إلى كم لا تفيق من التصابى	وهذا العمر يؤذن بالذهاب
ويرضى بالقليل المرء حظا	ويزهد فى الكثير من الثواب
فقدمًا غرت الدنيا أناسا	كما غر المحين بالشراب
تمنيهم غروراً باطلات	وتخدعهم بآمال كذاب
كأنك لا ترى فى كل يوم	جنائز تستحث إلى الخراب
خلقت من التراب وعن قريب	ستلحق - غير شك - بالتراب
وتحيا بعد موتك كى تجازى	بما قدمت فى يوم الحساب
فإن تك بالمسىء بقبح فعل	فحسبك بالعقاب مع العذاب
وإن كنت الذى قدمت خيراً	جزيت به غداً حسن المآب

تبكيت الله تعالى للجبابرة:

ذكر في بعض الأخبار أن الجبار جل جلاله إذا اجتمع الأولون والآخرون في عرصة القيامة نادى سبحانه وتعالى: «أين الجبابرة وأبناء الجبابرة؟ أين الملوك وأبناء الملوك قصمت الجبابرة بسلطاني، وأفنيت الملوك بعظمتي».

ذكر في الخبر أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صور الذر(٨٥) أصغر الخلائق خلقة لتجبرهم على العباد، والجبابرة هم الذين تجبروا على الخلق وعن اتباع سنة رسول الله ﷺ، وقيل: الجبابرة هم الذين جبروا المساكين والضعفاء على ما لم يطيقوا وهذا الاسم قد اشترك فيه الخالق والمخلوق، فالخالق جل جلاله هو جبار على الحقيقة.

تفسير الجبار:

وتفسير الجبار في حق الله تعالى الذى جبر عباده على ما أراد، وقيل: الذى يجبر عن ظلم العباد، إن الله تعالى جل اسمه لا ينسب إليه الظلم لأن حد الظلم وضع الشيء في غير موضعه، لأن الدنيا والآخرة ملك لله تعالى، والجبار من العباد هو الظالم الذى يضع الشيء في غير موضعه، يأخذ ما ليس له بحق ويرده إلى ما قد ملكه الله تبارك وتعالى، وإذا قضى الله تعالى على عبده بقضاء فهو له خير.

لقول رسول الله ﷺ: «لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى يرى أن الذى قضاه الله عليه أو له خير له من الذى أراد لنفسه»(٨٦).

وقال رسول الله ﷺ: «في قضاء الله تعالى خيرًا إلا قضاء النار» وإذا قضى الله تبارك وتعالى على عبده بالنار فهو عبده وهو خلقه لم يعنه أحد على خلقه ولا على رزقه، وهو يفعل ما يريد لا شريك له في ملكه، ثم ينادى الجليل جل جلاله: ﴿**يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ (الزخرف: ٦٨) فإذا سمع الخلق هذا النداء وقالوا كلهم نحن عباد الله، ثم ينادى ثانية: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ (الزخرف: ٦٩) فعند ذلك ينكس رأسه كل من لم يكن مسلماً، فتبقى أهل الأديان متحيرين ويفرح المسلمون، ثم ينادى ثالثة: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ (يونس: ٦٣) أى كانوا يتقون الكبائر، فينكس أهل

---

(٨٥) سبق تخريجه.

(٨٦) يغنى عنه ما رواه مسلم (٢٩٩٩) بلفظ «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له».

الكبائر رءوسهم، ويرفع رءوسهم سائر أهل التوحيد الذين اجتنبوا الكبائر وتابوا عنها توبة نصوحًا.

فكيف بك يا مغرور يا مسكين قد ارتكبت الكبائر والصغائر، وعصيت مولاك فى الخفيات والظواهر، وأيقنت أنك مسئول يوم تبلى السرائر، ولاق من العقوبة على ذلك الحظ الجزيل الوافر، وأنشدوا:

عصيت الله ألوان المعاصى ... كأنى لست أوقن بالقصاص

فما لى لا أنوح على ذنوبى ... وأبكى يوم يؤخذ بالنواصى

نصيحة:

فانظر لنفسك يا مسكين يا ضعيف الإيمان واليقين قبل حلول الندم، وزوال النعم، ونزول النقم، فاستعد للسؤال، وتهيأ للجدال، قال الله الكبير المتعال: ﴿ **يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُون** ﴾ (النحل: ١١١).

* * *

السائق والشهيد:

فإذا سمع العباد النداء وعلم كل عبد وأمة منزلته من جميع أهل الأديان، نشرت الدواوين ووضعت الموازين، وجيء بالنبيين، ونصبت المنابر بالأنبياء والرسل فيجلس كل نبى على منبره وأمته قد أحدقت به، ونصبت الكراسى للصديقين والشهداء: ﴿ **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** ﴾ (سورة ق: ٢١) سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها، فالناس ينقسمون فى السياقة على قسمين: قسم تسوقه الملائكة ببر وإكرام، ورقة وإجلال، وتؤمنهم وتهدئ روعاتهم كلما نظر العبد إلى من يعذب أو ينكل يقول له سائقه من الملائكة: يا عبد الله ما أنت مثل هذا، هذا عصى الله وأنت أطعته.

والقسم الثانى: يساقون بالانتهار والسطوة والإغلاظ، يسوقه سائقه وهويروعه ويقول له: يا عدو الله هذا الحساب سوف تدرى، كلما نظر المسكين إلى من يعذب أو ينكل قال له سائقه: الساعة تكون أنت مثل هذا، هذا عصى الله وأنت عصيته، أما علمت يا عدو الله أن الحساب والحشر أمامك؟ وأنشدوا:

كأنى بنفسى قد بلغت مدى عمرى ... وأنكرت ما قد كنت أعرف من دهرى

وطالبنى من لا أقوم بدفعه ... وحولت من دارى إلى ظلمة القبر

وفاز بميراثى أناس فشتتوا ... بإفسادهم ما كنت أجمع من أمرى

وأغفلنى من كان يبدى محبتى فأخصله ودى ويغمره برى
فلم يسخ لى منهم صديق بدعوة إذا ما جرى يومًا بحضرته ذكرى
وأضحى لبيتى ساكن مبهج به
وفى اللحد[٨٧] بيتى لا أقوم إلى الحشر
فيا شقوتى إن لم يجد بنجاته إلهى ولم يجبر برحمته فقرى
فقد أثقلت ظهرى ذنوب لو أنها على ظهر طود[٨٨] أثقلته فى الوزر

فما أعظم مصيبتكم، وما أطول حسرتكم إن لم يعف عنكم مولاكم وجعل النار مأواكم، فاغتنموا التجارة فى دار الفناء والذهاب، يجازيكم بها مولاكم عند مناقشة الحساب، فالحساب عظيم عسير، والهول والله جليل كبير، والناقد مميز بصير واليوم عبوس قمطرير.

اللوح المحفوظ[٨٩]:

ذكر عن ابن عباس ﷺ أنه قال: إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين فى صعيد واحد ونشرت الدواوين، ونصبت الموازين، وأحضرت الأنبياء بأممها، وحضر الصديقون والشهداء، وحشر وحوش الأرض، وهوامها وطيورها وأنعامها، وسكان جبالها وبحارها.

ينادى مناد من قبل العرش: أين اللوح المحفوظ؟ فيؤتى باللوح المحفوظ فيوقف بين يدى الجبار جل جلاله خاضعًا ذليلاً، فيقول له تبارك وتعالى: ما صنعت بالوحى الذى أنزلت فيك؟ واللوح من درة بيضاء، صفحتاه من ياقوتة حمراء، عرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تبارك وتعالى فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، فيخلق فى كل نظرة، ويحيى ويميت ويعز ويذل، ويرفع أقوامًا ويفعل بهم الخير ويوفقهم بفضله، ويخفض أقوامًا ويصدهم عن منهاج الهدى بعدله، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون يوم القيامة لأنهم ما قدروا الله حق قدره ولا عبدوه حق عبادته، لأنه جل جلاله أجل وأعظم من أن يوفى فى العبادة والطاعة والمعرفة حقه، ما قدر على هذا نبى مرسل ولا ملك مقرب، فسبحان من لا سبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، قال: فيقف اللوح بين يدى الجبار جل جلاله، وعظمت قدرته فيقول له: أيها اللوح المحفوظ ما صنعت بالذى أنزلته فيك؟ فيقول اللوح المحفوظ: سيدى ومولاى بلغته عبدك ميكائيل.

---

(٨٧) **اللحد**: هو الشق فى عرض القبر. (٨٨) **الطود**: الجبل.

(٨٩) روى هذه القصة ابن المبارك فى الزهد (١/ ٥٥٧) (١٥٩٨) وفى إسناده أكثر من راو ضعيف منهم رشدين بن سعد وهو ضعيف جدًا أو عبد الرحمن بن أنعم الإفريقى وهو ضعيف أيضًا.

رسالة ميكائيل:

فينادى: أين ميكائيل فيؤتى به ﷺ وهو ملك عظيم له ستة عشر ألف جناح لو نشر منها جناحًا واحدًا فى الدنيا لما وسعته، فيقف بين يدى الله تبارك وتعالى خاضعًا ذليلاً قد بلغت نفسه فى حنجرته فلا هى تدخل ولا هى تخرج خوفًا وجزعًا وهيبة من الجبار جل جلاله، فيقول الله له: ما صنعت بالوحى الذى بلغ إليك اللوح المحفوظ، وهل تشهد له بالتبليغ؟ وأنا أعلم بذلك منك ولكن سبق فى علمى أنى أسأل اليوم عبادى وجميع خلقى وأستشهد بعضهم على بعض، فيقول ميكائيل: يا رب بلغنى اللوح المحفوظ وبلغته عبدك إسرافيل وأنت أعلم.

رسالة إسرافيل:

فيبرأ اللوح المحفوظ بشهادة ميكائيل له، ثم ينادى أين إسرافيل؟ فيؤتى به ﷺ وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة السفلى، والعرش على رأسه، فيقف بين يدى الله تبارك وتعالى وجل مع عظم خلقه خاضعًا ذليلاً قد ذهلت نفسه وتغير لونه، وارتعدت فرائصه، واضطربت أوصاله، واصطكت ركبتاه، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هى تدخل ولا هى تخرج خوفًا وجزعًا وهيبة من الله تبارك وتعالى، فيقول له الجبار جل جلاله: ما صنعت بالوحى الذى بلغك ميكائيل، وهل بلغك وهل تشهد له بالتبليغ؟ وأنا علام الغيوب، فيقول إسرافيل عليه السلام: نعم يا سيدى ومولاى قد بلغنى وأنت أعلم وقد بلغته عبدك جبريل، فيبرأ ميكائيل بشهادة إسرافيل عليهما السلام.

* * *

رسالة جبريل:

ثم ينادى؟ أين جبريل؟ فيؤتى بجبريل صلى الله عليه وسلم وقد تغير لونه وتبلبل لبه وارتعدت فرائصه، واضطربت أوصاله، واصطكت ركبتاه، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هى تخرج جزعًا وخوفًا من الجبار جل جلاله، فيقول الله تبارك وتعالى: يا جبريل ما صنعت بالوحى الذى بلغك عبدى إسرافيل وهل تشهد له بالتبليغ؟ فيقول جبريل عليه السلام: نعم يا سيدى ومولاى بلغنى وبلغته نبيك نوحًا عليه السلام وأنت أعلم فيبرأ إسرافيل بشهادة جبريل.

شهادة نوح(٩٠):

فيؤتى بنوح عليه السلام حتى يوقف بين يدى الجبار جل جلاله وقد ذهبت نفسه وتغير لونه وقد مات فزعا وخوفًا من الجبار جل جلاله، فيقول الجبار جل جلاله: يا نوح ما صنعت بالوحى الذى بلغك عبدى جبريل وهل تشهد له بالتبليغ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام: نعم يا سيدى ومولاى قد بلغنى عبدك جبريل وقد بلغته قومى وأنت أعلم من جميع عبادك بذلك، فيقول الله تبارك وتعالى: صدقت أنا أعلم من جميع خلقى ولكن قد سبق فى علمى أن أسأل جميع خلقى وأستشهد بعضهم على بعض وأنا الحاكم الجبار الذى لا أجور فى حكمى.

ثم يدعى بقوم نوح عليه السلام فيقول لهم: ما صنعتم بالوحى الذى بلغكم نوح وهل بلغكم وهل تشهدون له بالتبليغ؟ فيقول قوم نوح: ربنا ما جاءنا من نذير ولا رأيناه يومًا قط ولا سمعنا به ولا بلغ إلينا رسالة، فإذا سمع نوح عليه السلام كلام قومه ذهبت نفسه وود لو ابتلعته الأرض، ولو قضى الله تبارك وتعالى بالموت لمات نوح حين جحده قومه حياءً من الله تبارك وتعالى، فيقول الله تبارك وتعالى: «يا نوح هل تجد من يشهد لك أنك بلغت قومك الرسالة؟» فينظر نوح عليه السلام فى الموقف يمينًا وشمالاً ومشرقًا ومغربًا يتضح ويتبصر من بين سائر الأنبياء والمرسلين، وبين كراسى الشهداء والصديقين، فلا يرى فى المنابر أعلى ولا أنور ولا أحسن ولا أزهى من منبر محمد ﷺ.

جاء الرسول الأعظم:

ولا يرى فى الأنبياء أحسن وجهًا من وجه محمد ﷺ ولا يرى نوح فى الكراسى أنور ولا أحسن من كراسى أمة محمد ﷺ ولا يرى أبهى ولا أنور ولا أحسن من كرسى أبى بكر الصديق رضي الله عنه، ولا يرى فى الوجوه أحسن وجهًا من وجوه أمة محمد ﷺ ولا يرى فى الصديقين والشهداء أحسن ولا أبهى ولا أنور من وجه أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

فضل أبى بكر الصديق:

فيقول له نوح: قد أصبت من يشهد لى يا مولاى وسيدى، فيقول الله تبارك وتعالى: - وهو أعلم - من يشهد لك يا نوح؟ فيقول نوح عليه السلام: يشهد لى محمد ﷺ وأمته بأنى قد بلغت قومى الرسالة، فينادى مناد: أين النبى الأمى العرب التهامى؟ أين أحمد؟ أين

(٩٠) ثبتت شهادة نوح عليه السلام عند البخارى (٣٣٣٩) (٧٣٤٩).

سيد العالمين؟ أين خاتم النبيين والمرسلين؟ أين إمام المتقين؟ فعند ذلك يقوم محمد ﷺ وعند ذلك يرفع أهل الجمع رءوسهم إذا رأوا رسول الله ﷺ فيمضى ﷺ حتى ينتهى إلى ربه عز وجل، فيقول له ربه: يا أحمد - ونوح قائم ينظر - ما تقول هل بلغ نوح الرسالة إلى قومه؟ فيقول محمد ﷺ: نعم يا سيدى ومولاى قد بلغ وأقام يدعوهم إلى الإيمان ألف سنة إلا خمسين عامًا، فيقول الجبار جل جلاله: صدقت يا أحمد، فعند ذلك يفرح نوح عليه السلام ويتهلل وجهه: ثم يقول الله تعالى: يا محمد هلم أمتك إلى الحساب والشهادة، فبينما الخلائق فى الموقف إذ يموج بعضهم فى بعض ويفزعون فزعة عظيمة، فتجتمع كل أمة حول نبيها وتنظر أمة محمد ﷺ يمينًا وشمالاً فلا يرون النبى محمداً ﷺ والأمم قد أحدقت بأنبيائها وينظر الأنبياء والأمم إلى منبر رسول الله ﷺ خاليًا

منبر الرسول والمحشر:

فيقول بعضهم لبعض: لمن هذا المنبر الذى لا يرى فى الموقف مثله لحسنه وجماله، ولا يرى أنور منه ولا أعلى ولا أبهى منه، نراه خاليًا ولا نرى له صاحبًا؟ فبينما هم ينظرون إلى منبر النبى ﷺ وأن محمداً ﷺ يناجى ربه فى المذنبين من أمته يشفع لهم إلى الله تعالى، فبينما هذه الأمة وقوف مغمومون محزونون بما يأتى النبى ﷺ من عند ربه عز وجل، إذ يخرج إليهم ﷺ من عند ربه جل جلاله حتى ينتهى إليهم فيقوم بينهم فيرفعون رءوسهم وينظرون إليه، فإذا رآهم ﷺ أرسل عينيه بالبكاء، فإذا نظروا: ﴿ **تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا** ﴾ (آل عمران: ٣٠) الآية، ذلك يوم مهول عبوس يوم تشيب فيه الرءوس، وتذهل فيه النفوس، وتبلو كل نفس ما أسلفت، وتقدم كل أمة على ما قدمت، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت يجد والله كل عبد وأمة ما عمل وقدم من خير ثوابًا ونعيمًا، وسروراً مقيمًا، وربًا كريمًا، رءوفًا بعباده رحيمًا، ويجد كل عبد وأمة ما عمل من شر خزيًا جسيمًا، وناراً جحيمًا، وعذابًا مقيمًا، ونكالاً أليمًا، وربا غضبان عظيمًا: ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ** ﴾ (آل عمران: ٣٠).

الثواب والعقاب:

يجد الطائع الثواب، ويجد الفاسق العذاب، يجد المؤمن لذة الوصال، بالنظر إلى الكبير المتعال، فى دار الخلد والجلال، ويجد الكافر العذاب والنكال، والسلاسل والأغلال، والجحيم والخبال، وفظاعة الأهوال ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ** ﴾ يجد المؤمن النعيم والكرامة، والأمن فى القيامة، والعافية والسلامة، والحلول فى دار المقامة، ويجد

الكافر الخزى والندامة، والعذاب والملامة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ يجد المؤمن الدرجات، ويجد الكافر العقوبات، يجد المؤمن السرور، ويجد الكافر الثبور، يجد المؤمن النعيم والخلود، ويجد الكافر عذابًا غير مردود، ويجد المؤمن ما قدم من إحسان، فى درجات الجنان فى جوار الرحمن، مع الخيرات الحسان، ويجد الفاجر ما عمل من العصيان فى سموم النيران، فى جوار الشيطان مع الذل والهوان ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ فى يوم هائل عظيم، يوم تكثر فيه الغموم وتعظم فيه الهموم، ويفصل الرب بين عباده وهو الحى القيوم ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ يوم تندم على القبائح، وتتأسف عند معاينة الفضائح، وتوجد الأعمال فى الصحائف الصحائح ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ يوم يندم الظالم ويخسر الآثم، ويكون الجبار جل جلاله فى ذلك اليوم العدل الحاكم، ذلك يوم الندامة والحسرة، والأهوال والعبرة، وأنشدوا:

يا واحداً صمداً بغير قرين	ارحم ضراعة عبدك المسكين
واعطف علىَّ إذا وقفت مروعًا	حيران بين يديك يوم الدين
يا حسرتى بين العباد إذا همو	خافوا الحساب فخف عنهم دونى
ما حيلتى فى يوم نشر صحيفتى	إذ قيل لى خذها بغير يمين
ما حيلتى عند الحساب وهوله	إذ قصرت بى قوتى ويقينى
لا حيلة عندى ولا لى موئل	إن خاننى طمعى وحسن ظنونى
يا رب لا تترك عبيدك هالكًا	وارحم بفضلك عبرتى وشئونى

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ أى تجده حاضراً عتيداً وتسأل من أعمالك سؤالاً شديداً ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران: ٣٠).

قيل: (الأمد البعيد): الذى يود من عمل سوءاً وعصى مولاه أن يكون بينه وبين عمله السوء كما بين المشرق والمغرب.

وقيل: (الأمد البعيد): الغاية فى البعد الذى يتمنى أنه تاب فى الدنيا وتبدل الشر بالخير حتى يمحى عنه السوء بالتوبة فلا يراه ولا يسمعه ولا يعاقب عليه إذا رأى التائبين غفر لهم بالتوبة، وبدلت سيئاتهم بالحسنات والأوبة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾ (الفرقان: ٦٨) الآية.

فائدة التوبة:

وقال رسول الله ﷺ : « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »[(٩١)] فإذا رأى المسكين الذى عمل السوء وقد أحاطت به الكروب وترادفت عليه الهموم والخطوب، واسود وجهه من ظلمات الذنوب، وقد غضب عليه علام الغيوب، ورأى الذين تابوا من إخوانه وأهله وأصحابه وجيرانه قد فازوا بالملك الكبير، والحساب اليسير، ولباس السندس والحرير، والنظر إلى وجه السميع البصير، ورأى نفسه قد خسر وخاب، وحرم الثواب ونوقش الحساب، وحجب عن رب الأرباب، وصار إلى أليم العذاب، يود لو كان تائبًا، ولم يكن من الرحمة خائبًا، يود لو كان السوء عنه بعيداً، ولم يكن حاضراً عتيداً، ولم يكن العذاب عليه شديداً، يود لو كان من التائبين، ولم يكن من المحرومين، يود لو كان من الآمنين، ولم يكن من المخالفين، يود لو كان من الطائعين، ولم يكن من العاصين، يود لو كان من المحسنين ولم يكن من الظالمين، يود لو كان من أهل الجنان، ولم يكن من أهل النيران، يود لو كان من أهل الثواب، ولم يكن من أهل العقاب، يود لو كان من أهل النعيم، ولم يكن من أهل الجحيم، يود لو كان من الأولياء، ولم يكن من الأشقياء، يود لو كان من أهل الوفاق، ولم يكن من أهل النفاق، يود لو كان من أهل الفوز بالجنة، ولم يكن من أهل العذاب والمحنة، يود لو كان سعيداً رشيداً، ولم يكن عن الله بعيداً.

لا أبعدنا الله وإياكم من رحمته، وقربنا وإياكم بالفوز لجنته.

* * *

عمل العبد يلازمه:

ذكر فى بعض الأخبار أن العبد إذا مات أحضر عمله كله عند رأسه حين يغسل خيراً كان أو شرًا فإذا صلى عليه ومضى إلى قبره وانصرف الناس عنه بقى عمله معه فى قبره ولا يزال معه فى قبره إلى يوم يخرج من قبره فإذا خرج، خرج معه، فإذا قدم إلى الحساب اجتمع عمله كله خيره وشره حتى حركاته وأنفاسه ووفاقه وخلافه، يجد الكل مجموعًا لم ينس منه شيء من الكبائر ولا من الصغائر، ولا من الظواهر ولا من السرائر.

---

(٩١) حسن: رواه الترمذى (٢٤٩٩) وابن ماجه (٤٢٥١) وأحمد (٣/ ١٩٨) (١٢٣٧) والدارمى (٢٧٢٧) وحسنه الألبانى فى المشكاة (٢٣٤١) وصحيح ابن ماجه (٣٤٢٨) وصحيح الجامع (٤٥١٥).

الحض على التوبة:

فالله الله معشر المذنبين مثلي ابعدوا عن عمل السوء بالتوبة إلى الرحمن، ولا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها غرور الشيطان، واعلموا أن الله تبارك وتعالى يمحو عنكم سيئاتكم بترك الذنوب والعزم على التوبة، ويرحمكم يوم الحساب بحسن الأوبة.

يا أخي يا أخي وما عسى أن أقول لك من كرم مولاكم الجليل جل جلاله لو أن الذنوب التي عملت في أيام طغيانك وعصيانك كانت مثل جبال الدنيا برمالها وبحارها وأنهارها، وتبت توبة واحدة بصدق وحرقة وندامة، ليغفرها لك مولاك الكريم بكرمه وفضله، ولا تسأل عنها يوم القيامة، وأنشدوا:

نهاك الطبيب محيلاً على	مطاعم لو نلتها لم تمت
وخاطبك الله جل اسمه	بترك الذنوب التي حرمت
فأعرضت عن أمره لاهيًا	وأمنت نفسك ما خوفت
فماذا تقول إذا أزعجت	لتخرج بالكره فاستسلمت
فلا ندم حط أوزارها	ولا توبة غسلت ما جنت
وأفردت وحدك في ملحد	بكت فيه نفسك ما أسلفت

ما تحـويه الآيـة:

يا أهل الذنوب تدبروا هذه الآية فإن فيها بلاغة لمن تذكر، وزجرًا لمن اعتبر وتخويفًا لمن تدبر، ونهيًا لمن تفكر، فالفكرة عبادة، وخير وزيادة، لأن مولاكم الكريم قد خوفكم وهددكم وزجركم بها زجرًا شديدًا، فقال: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**﴾ (**آل عمران: ٣٠**) ثم قال: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ (**آل عمران: ٣٠**)، أي يحذركم عقابه وعذابه إذا عصيتموه، ويجزل لكم ثوابه إذا أطعتموه، فلا يحقرن أحدكم من الذنوب شيئًا وإن صغر فربما كان فيه شدة العذاب والعقاب، ولا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن قلَّت، فربما كان فيها الرضا من الملك الوهاب.

واعلموا أن الذنب الذي يحقره صاحبه يكون يوم القيامة في ميزان فاعله أثقل من جبال الأرض، فازجر نفسك عن غيها وقدم في حياتك ليوم فقرك والأصل في الذنب الصغير أن يكون سببًا لدخول صاحبه في النار، إن العبد المغرور يعمل الذنب ويحقره ولا يفكر في من قد عصاه وهو الجبار جل جلاله، فعند ذلك يغضب عليه مولاه ويقول له: عبدي حقر

ذنبه واستخف بحقى، وعزتى وجلالى لأعذبنه عليه فى النار، ومن تاب تاب الله عليه وغفر له بالتوبة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبًا»(٩٢) ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ**﴾ الآية.

وأنشدوا:

قد ذهب الحى إلى عرسه ... وعذب الميت فى رمسه

مرتهن النفس بأعمالها ... لا يأمن الإطلاق من حبسه

لنفسه صالح أعمالها ... وما سوى هذا على نفسه

حكاية عن أحد الصالحين:

حكى أن المنصور بن عمار رحمه الله دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: يا منصور مسألة؟ وقد أمهلتك سنة كاملة، من أعقل الناس، ومن أجهل الناس؟ قال: فخرج منصور إلى بعض الفضاء من القصر ليخرج فإذا الجواب قد حضره، فرجع إلى عبد الملك، فقال له عبد الملك: يا منصور ما الذى ردك إلينا؟ قال: يا أمير المؤمنين، أعقل الناس محسن خائف، وأجهل الناس محسن آمن، فبكى أمير المؤمنين حتى بل ثيابه بدموعه ثم قال: أحسنت والله يا منصور، ثم قال له: اقرأ عليَّ شيئًا من كتاب الله فهو الشفاء لما فى الصدور، وهو الدواء والنور، فقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**﴾ الآية، فقال عبد الملك: قتلتنى يا منصور، ثم غشى عليه، فلما أفاق قال له: يا منصور ما معنى ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾؟ قال منصور: عقوبته يا أمير المؤمنين، فبكى عبد الملك ثم أفاق، فبكى مرة أخرى، ثم قال: يا منصور وما معنى ﴿**رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ (آل عمران: ٣٠) قال رحيم غفار لمن تاب وأناب، قال: وما معنى: ﴿**مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**﴾ قال: كل صغيرة وكبيرة يجدها العبد يوم القيامة، لم يغفر الله منها شيئًا، فبكى عبد الملك حتى غشى عليه، فلما أفاق قال:

---

(٩٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣٨٠٨، ٢٢٣٠٢) والطبرانى فى الصغير (٢/ ١٢٩) والأوسط (٧/ ٢١٩) والكبير (٦/ ١٦٥، ١٠/ ٢١٢) وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٨٩) بلفظ «إياكم ومحقرات الذنوب، كقوم نزلوا فى بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه».

رقة عبد الملك بن مروان:

إن والله من فكَّر فى هذه الآية وعصى مولاه بعد ذلك لقد ضل ضلالا بعيداً وأنشدوا:

بكيت على عظم الذنوب وغزرها	وما قل من يبكى لعظم سؤاله
تفكر فى عظم السؤال وهوله	وتندب دهراً زاد قبح فعاله
لعل إله العرش يرحم عبده	ويمنحه فى الحشر طول وصاله
ويغفر ما قد كان فى طول جهله	ويسكنه بالعفو دار جلاله
وإن نظر الرب العظيم جلاله	فذاك جسيم من جزيل نواله

﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**﴾ تجد والله كل نفس ما قدمت فى الأيام، من الطاعات والإجرام، ذلك يوم المصائب ويوم النوائب، ويوم العجائب، يوم هتك الأستار، يوم تسعر فيه النار، يوم يفوز فيه الأبرار، ويندم فيه الفجار، وتعرض العباد على الواحد القهار، فالعجب كل العجب ممن قطع عمره فى الأغفال، وضيع أيامه فى المحال، وأفنى شبابه في الضلال، ولم يعمل بما في كتاب ذى المجد والجلال، قال الله الكبير المتعال ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**﴾، ويقول الله تعالى: يا بن آدم تطلب موعظة ساعة وتقيم على الذنب سنة؟!.

وأنشدوا:

ما بال قلبك باللذات قد شغفا	وعن فوات صواب الفعل ما أسفا
وقد توعده الجبار خالقنا	وبالذنوب وبالعصيان قد كلفا

توبيخ الله تعالى للعباد:

ذكر فى بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى يقول فى بعض كتبه المنزلة على أنبيائه: يا عبدى ما الذى زهدك فىَّ ورغَّبك فى غيرى؟ عبدى أنا أتقرب إليك وتهرب عنى وأطلبك وتفر منى! عبدى بسط لك غرور الدنيا فاشغلت بها عنى، وآثرتها علىَّ وزهدت فى سعة رحمتى! أهكذا يفعل المطيعون بأربابهم المحسنين إليهم؟ عبدى من الذى سترك وكلاك وحفظك ورقاك؟ هل كانت لك شركة فى نفسك معى، أم هل كانت لك قوة بنفسك علىَّ؟ عبدى ما الذى قصرك عن عبادتى؟ ما الذى زهدك فى طاعتى؟ أين أنت من هادم اللذات؟ أين أنت من نواح الآباء والأمهات، أين أنت من المفرق بين البنين والبنات، أين أنت ممن لا يستأذن على أصحاب القصور، ولا يستأمر أرباب الدور، أين أنت من قاصم الجبارين

الموكل بأرواح المخلوقين؟، عبدى، أليس قد اضمحلت آثار الماضين، ودرست[٩٣] معالم السالفين، واتبع آثارهم الباقون، ومن ذا الذى يقوم بخلود الجبال الراسيات والأواد العاليات، والبحار الطاميات، أنا الذى تفردت بالبقاء، وحكمت على عبادى بالفناء، أنا الله لا إله إلا أنا لا شريك معى فى ملكى، ولا نظير لى فى حكمى ولا ضد لى فى سلطانى، وأنشدوا:

أمـــا والذى لا خلد إلا لوجـــهـــه ... ومن ليس فى العز المنيع له كـفـو

لئن كان هذا العيش مرًّا مذاقه ... لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

السؤال لا يدع ذرة:

واعلموا أن الله تبارك وتعالى مسائلكم عن الكبيرة والصغيرة، والخفية والسريرة، وعن كل ما قل، وما دق وما جل، لا يغفل عن شيء، يجد العبد ما عمل حاضرًا، ويجزى به وافرًا ويسأل عما عمل سرًّا وظاهرًا ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**﴾ تجدوا والله القليل والكثير، والنقير والذرة والقطمير، وأنشدوا:

والله لـو بـكـيـنـا طـول الأيـام ... بدمع هامل ســـجـــام[٩٤]

وفـــــررنا من الأهل والأوطان ... إلى الجـــبـــال والآكـــام[٩٥]

خوفًا من ذلك المقام، لكان ذلك لنا قليلاً خوفًا من سؤال الملك العلام، فكيف ونحن لا نفيق من الغفلات، ولا ننتبه من السكرات، ولا نخاف يومًا نجد فيه الحسنات والسيئات، ونُسأل عن المظالم والتبعات، كما قال الذى فطر السموات ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**﴾.

* * *

سؤال الله تعالى للعباد:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يخلو بعبده يوم القيامة، ليس بينه وبينه حجاب، ويقول له: عبدى عملت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا، أما علمت أنى مطلع عليك، يا عبدى أفجعلتنى أهون الناظرين إليك؟ أما استحييت منى، أما استحييت من ملائكتى، أما خفت من عقابى، عبدى أرويتك من الماء البارد وقويت جسمك ووسعت عليك من سعة رفدى فعصيتنى»! حتى أن العبد ليذوب حياء من الله، ويغمره العرق حتى

---

(٩٣) درست: من درس الشيء أى عفا زمانه وانمحى أثره.

(٩٤) سجام: سائل. (٩٥) الآكام: الهضاب.

يكاد يموت من الفزع، ثم يقول العبد: يا رب النار أهون عليَّ من حيائى منك ومن العباد، فيأمر الله تعالى به إلى النار، فيمضى العبد وهو يرد رأسه ويقول: يا رب وعزتك وجلالك ما عصيت بهذا كله استخفافًا بحقك وما ظننت بك إلا أن تغفر لى كما سترت عليَّ فى الدنيا، وقد أيقنت أن عصيانى ذلك لا يضرك، وأن رحمتك لى لا تنقطع، فيقول الله تبارك وتعالى: «عبدى صدقت، لم تقطع رجاءك من رحمتى، فوعزتى وجلالى لأغفرن لك اليوم، يا ملائكتى: مروا بعبدى إلى الجنة»(٩٦).

ومن العباد من يقول: يا رب العذاب على أهون من توبيخك لى، أرسل بى إلى النار كما يُفعل بالعبد الآبق عن مولاه، فيقول الله تبارك وتعالى: «عبدى ما وبختك إلا لأعرفك أن ذنوبك بعينى إذ عصيتنى بها، وجعلت توبيخى لك كفارة لذنوبك وقد غفرتها لك، وقد رحمتك وأنا أرحم الراحمين، مروا بعبدى إلى الجنة».

جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة أجمعين، وتوفانا برحمته مسلمين، وختم لنا عند فراق الدنيا بحسن الخاتمة وكلمة التقوى، قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وعلى آله شرف وكرم، وحشرنا معه فى المقام الأعظم، مع أصحابه وأزواجه الكرام أمهات المؤمنين، آمين يا رب العالمين.

---

(٩٦) روى البخارى (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨) حديثًا بنحوه ما ذكره المصنف بلفظ «إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أى رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته».

٦ - مجلس ثان فى قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ (آل عمران: ٣٠)

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ يجد المؤمن الحسنات فى قرار الجنة، والقصور العاليات، والحور والدرجات، والنظر إلى رب الأرضين والسموات، يجد الطائع البشرى، ويجد الفاجر النار الكبرى، يجد المؤمن الأمان، مع السرور والرضوان، ويجد الفاجر الهوان، مع الذل والخسران، يجد المؤمن من الملك الجزيل، مع الثواب والتفضيل، وأنهر السلسبيل، والنظر إلى وجه الملك الجليل، ويجد الفاجر النوح والعويل، والحزن الدائم الطويل، والعذاب الشديد الثقيل، يجد المؤمن الخلاص، والتبجيل والاختصاص، ويجد الفاجر العذاب وشدة القصاص، المؤمن يوم القيامة مرحوم، والفاجر باللعنة مرجوم، المؤمن عند الحساب مستور، والفاجر عند السؤال مشهور، المؤمن عند الحساب يُلاطَف، والفاجر عند السؤال يُكاشَف، المؤمن حسابه عتاب، والفاجر سؤاله عذاب، المؤمن يجد من مولاه الرحمة، والفاجر يجد من الله النقمة، المؤمن حسابه يسير، والفاجر حسابه عسير، المؤمن يجد لباسه حرير الجنان، والفاجر لباسه سرابيل القطران، المؤمن يجد عمله سرورًا، والفاجر يجد عمله ويلاً وثبورًا، المؤمن يجد الاتصال، والفاجر يجد الانفصال، المؤمن يجد الخلاص والفكاك، والفاجر يجد الهوان والهلاك، المؤمن مع محمد النبى، والفاجر مع الشيطان الغوى، المؤمن فى وجهه نضرة النعيم، والفاجر فى وجهه ظلمة الجحيم، المؤمن فى الحساب ريان، والفاجر فى الموقف عطشان، وأنشدوا:

أنت المخاطب أيها الإنسان ... فأصغ إلىَّ يلح لك البرهان
أودعت ما لو قلته لك قلت لى ... هذا لعمرك كله هذيان
فانظر لعقلك من بيانك واعتبر ... إتقان صنعته فثم الشان
وجزا محاسن فعلهم فى حشرهم ... عند الإله وعنده الرضوان
هذا لعمرى ظاهر لا يختفى ... نطق الرسول وبين الفرقان

حكم قدسية:

ذكر فى بعض الحكم التى أنزلت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام «عجبًا لمن لا يرحم نفسه كيف يرحم، وعجبًا لمن يدوم على المعصية كيف يرجو حسن المآب! وعجبًا لمن يعمل أعمال النيران وهو يطلب نعيم الجنان!» كأنك يا أخى قد قربت من العرض والحساب، ووقفت بين يدى الملك الوهاب، فيأمر بك إلى الجنة وحسن المآب، أو إلى النار وأليم العذاب تفكر فى هذا كله يا مغرور لعل القسوة تنجلى من قلبك، والوقر أن يزول عن سمعك، والغطاء أن يرتفع عن بصر قلبك: ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (الحج: ٤٦) فانظر يا أخى بنور فكرتك، وأطلق الموعظة على بحر عبرتك، فلعل العين تدمع، ولعل القلب أن يرق ويخشع، فإذا جرت الدموع وخشعت القلوب محيت الذنوب، وبلغت المنى والمرغوب، ويسر حسابك علام الغيوب، وأنشدوا:

تذكرى المكث فى التراب ... حتى أنادى إلى الحساب
هون كل البلاء عندى ... وهكذا الفقد للشباب
فليت شعرى وكم مقامى ... تحت الثرى أو متى إيابى
لو كان لى عقل ما هنانى ... نومى ولا ساغ لى شرابى
ولا ضحكت ولست أدرى ... ما لى لدى الله من حساب

* * *

النداء بأسماء الخلائق:

وذكر فى بعض الأخبار أن الخلائق إذا وقفوا فى أرض القيامة فيقف كل عبد وأمة إذ نادى المنادى باسمك يا مغرور على رءوس الأولين والآخرين: أين فلان ابن فلان؟ أو أين فلانة بنت فلانة؟ هلم إلى الحساب بين يدى رب العالمين، فاستقر فى سمعك يا مسكين أنك أنت المنادى من جميع الخلق، فقمت على قدميك، قد تغير من الفزع لونك، وانخلع من الجزع قلبك، واضطربت من الهلع مفاصلك، وقد سمع من كان حولك حسيس قلبك بالخفقان، وأوصالك قد اشتدت فى الطيران، فكادت نفسك أن تزهق من خوف الرحمن، فإذا نظر الملك الموكل بسوقك وقد تغير لونك وتحير لبك، علم أنك أنت المنادى باسمه، فإذا كنت من أهل النفاق، والعصيان للملك الخلاق، نظر على وجهك ظلمة الذنوب، فعلم أنك عدو لعلام الغيوب، فجمع بين ناصيتك وقدميك، غضبا لغضب الله عليك.

أهل الرشاد والتوفيق:

قـال الله تبـارك وتعـالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ (الرحمن: ٤١) وإن كنت من أهل الرشاد، والتوفيق والسداد، الذين وفوا الله بالميعاد، وخافوا مولاهم رب العباد، أخذ بيدك الملك وقادك، يجوز بك بالرفق ورفع الخلائق أبصارهم إليك، وتمنوا مثل ما من الله عليك، وأنت سائر إلى ربك ليجازيك بسعيك، ويعدل عليك بكسبك، فلما انتهى بك الملك إلى سلطان العظمة، فإن كنت من أهل السير الصالح فى الدنيا سترك جل جلاله بالنور، وأبدى لك البشرى والسرور، وقربك وأدناك، وفضلك وحاباك، فلم يطلع على حسابك ملك ولا نبى ولا رسول، إلا الملك الجبار الذى لا يحول ولا يزول، فيقول لك: عبدى أنت الذى كنت تسهر والعباد نائمون، وتصوم والعباد يشبعون، وتبكى والعباد يضحكون، وتحزن والعباد يفرحون، وتخافنى والعباد آمنون، أنت الذى كنت تجتهد فى عبادتى والعباد بطالون، وتتصدق والعباد يبخلون، وتبذل المعروف بين عبادى والناس يمنعون.

يقول المولى جل جلاله: فوعزتى وجلالى وملكى ومجدى وكبريائى وعظيم سلطانى وقدرتى على جميع العباد لأؤمنن روعك، ولأبيحنك جنتى، ولأوسعنك مغفرتى، ورحمتى، ولأعينك من جزيل ثوابى وحسن مآبى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [٩٧] ولأبيحنك النظر إلى وجهى، ولأرفعن قدرك وجاهك، ولأشفعنك فى إخوانك وأهلك وأحبابك وجيرانك من أهل الذنوب والخطايا.

شفاعة العبد المؤمن:

يقول المولى جل جلاله: يا عبدى اخرج إلى موقف الحشر فانظر إلى من لقينى من أهل الذنوب على التوحيد قد شفعتك فيه خذ بيده وانطلق به إلى الجنة بلا خوف ولا حزن، والله تعالى أعلم، وأنشدوا:

عنى إليك فما اللذات من شغلى	ولا سبيل الصبا واللهو من سبلى
حال التقى دون ما قد كنت تعرفه	فلست منه على زيغ ولا زلل
فى الحشر لى شغل عن كل مشتغل	بلذة وعن الألحاظ والمقل

(٩٧) صحيح هذا جزء من حديث رواه البخارى (٥٩) (٣٢٤٤) مسلم (٢٨٢٤).

هذا أطار الكرى عن مقلتي وزوى عنى المنى وطوى المبسوط من أملى
كم ليلة بت فيها ساهرًا أرقًا أخشى العقاب وأخشى سرعة الأجل

* * *

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران: ٣٠).

رءوف والله بالمؤمنين، ذو نقمة على الظالمين، رءوف بأهل الإحسان، ذو انتقام من أهل العصيان، رءوف بأهل السداد، وذو انتقام من أهل العناد، يا مغرور تفكر فى هذه الآية فلك فيها من التخويف غاية، ومن الزجر والتقريع نهاية، فازجر نفسك عن هواها، عساك تبلغها يوم العرض مناها.

حكاية عن ذى النون المصرى:

حكى عن ذى النون المصرى بن إبراهيم الأخميمى رحمه الله تعالى أنه قال: خرجت مرة من المرات إلى ناحية الأردن من أرض الشام، فلما علوت الوادى فإذا أنا بسواد قد أقبل وهو يقول: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ (الزمر: ٤٧) فلما قرب منى السواد إذا هو شخص، فتأملته فإذا هو امرأة عليها جبة صوف وخمار من صوف، وبيدها ركوة وبيدها الأخرى عكاز، فقالت لى غير فازعة منى: من أنت؟ فقلت لها: رجل غريب، فقالت: يا هذا وهل يوجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء، ومعين الضعفاء، فاجعله أنيسك إذا استوحشت، وهاديك إذا ضللت، وصاحبك إذا احتجت.

قال ذو النون: فبكيت من كلامها، فقالت: مم بكاؤك؟ قلت لها: وقع دواؤك على دائى وأنا أرجو أن يكون سببًا لشفائى، قالت: فإن كنت صادقًا فى مقالتك فلم بكيت؟ قلت لها: رحمك الله والصادق لا يبكى؟! قالت: لا، قلت لها: لم لا يبكى الصادق؟ قالت: لأن البكاء راحة للقلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب أحر من الزفير والشهيق وذلك ضعيف عند أوليائه، قال ذو النون: فبقيت والله متعجبًا من قولها فقالت لى: ما لك؟ قلت: أنا والله متعجب من قولك، قالت: وهل نسيت القرحة التى ذكرتها؟ قال: قلت لها: رحمك الله إن رأيت أن تمنى على بالزيادة، فقالت: وما أفادك الحكيم فى مقامك بين يديه من الفوائد ما يستغنى به عن طلب الزوائد، قال: قلت لها: رحمك الله ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد، قالت: صدقت يا مسكين حب مولاك واشتق إليه فإن له يومًا يذيق فيه أولياءه كأسًا لا يظمئون بعده أبدًا، ثم علا شهيقها ثم قالت: يا حبيب قلبى إلى كم تخلفنى فى دار لا أجد فيها صادقًا بريئًا من الدعاوى الكاذبة يسعدنى البكاء على أيام

حياتى، ثم تركتنى وانحدرت فى الوادى وهى تقول: اللهم إليك لا إلى النار، حتى غاب شخصها عن بصرى، وانقطع صوتها عن سمعى، قال ذو النون: فوالله ما ذكرت كلامها قط إلا كدر علىَّ أحشائى وعيشى، قال ذو النون: فلقد أدبتنى واستقام حالى مذ رأيتها.

وأنشدوا:

أريد وأنت تعلم ما مرادى ... وتعلم ما تلجلج فى فؤادى

فهب لى ذلتى واغفر ذنوبى ... وسامحنى بها يوم التنادى

رجع إلى الموعظة:

يا أخى، ما لك لا تفكر فى قول مولاك الذى لم يزل عليك شهيداً، وهو يسمعك ويراك، قوله تعالى ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً** ﴾ (آل عمران: ٣٠) الآية، أقرع يا مسكين بهذا الكلام باب قلبك فعساك تزيل عنه الأقفال وترده عن الغى والمحال، وتوقظه عن السهو والإغفال، قال الله الكبير المتعال: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ (محمد: ٢٤) ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً** ﴾، يوم يظهر الخفى من أعمالك، يوم تبكى على قبيح أفعالك، يوم يحزن المسىء من أقوالك، يوم تنوح على خطاياك وضلالك.

* * *

جهنم وشدتها:

ذكر أن الخلق إذا اجتمعوا فى الموقف وضاق المتسع، وعظم الفزع، واشتد الجزع، واختلفت الأقدام، وكثر الازدحام، وجاءت جهنم بالهول الأعظم، والعذاب المقيم الألزم ووقفت بين يدى الجبار خاضعة للملك القهار، أمر الجبار جل جلاله أن تفتح أبوابها، وترفع كل جلال عليها، وهى سبعة أبواب على كل باب سبعمائة ألف جلال وهى الحجب، ولولا تلك الجلال لاحترقت السموات ومن فيها والأرضون ومن عليها، غلظ كل جلال خمسمائة عام، فإذا فتح منها الأبواب رفعت تلك الحجب من عليها ورمت النفط والقطران وحجارة الكبريت ويخرج منها عنق من نار أسود فيلتقط من الموقف كل ذهب وفضة وياقوتة وزبرجدة ولؤلؤة استعدت لزينة الدنيا.

زينة الدنيا الزائلة:

فيأخذ الكل ويجمعه الجبار جل جلاله يقول لها: اتركى ما لم يكن لنا فكل ما كان من زينة لم يرد به وجه الله تعالى أخذته النار، ومناد ينادى أصحابها هذه زينتكم التى

اشتغلتم بها عن طاعة الله عز وجل وآثرتموها على ما عند الله ولم تتبعوا سنن النبيين، ولا سير الصالحين، ثم ينادى المنادى: اتبعوا زينتكم، فتخرج عنق من النار مرة أخرى فتلتقط أصحابها إلا من رحم الله.

صاعقة جهنم:

فعند ذلك يقول كل عبد وأمة: يا ليت هذا كله جعلته فى جنب الله، يا ليته لم يكن معى، يا ليته بعد عنى، ثم يأمر الله تعالى أن ترتفع صاعقة من جهنم سوداء فتسود وجوه أقوام من الرجال والنساء، فذلك قول الله عز وجل ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾ (آل عمران: ١٠٦) يا أخى يا مسكين يا ضعيف اليقين مثلى أتراك من أى الفريقين تكون؟! أمن الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الملك الرحيم، أو من الذين اسودت وجوههم فى العذاب الأليم؟ أفهل تكون من الذين ابيضت وجوههم بالرحمة، أم من الذين اسودت وجوههم بالنقمة؟ فكل من اسود وجهه قد أيقن بالنار، وكل من ابيض وجهه قد أيقن أنه من أهل دار القرار، فيا لها من فرحة ما أعظمها، ويا لها من مصيبة ما أدومها، فإذا نزل السواد فى وجه من شاء الله تبارك وتعالى صار ذلك السواد حجابًا بينه وبين النظر إلى وجه مولاه، وإذا نزل البياض فى وجه من أراد الله تبارك وتعالى أن يبيض وجهه رفع ذلك النور حجاب الذنوب الذى يحجب العبد عن النظر إلى وجه علام الغيوب.

مَن ابيَض وجههُ:

وذلك أن البياض نور المغفرة، وهو نور الرحمة، وهو نور القرب، وهو نور الوصال والسواد، أيضًا هو سواد العبد، وهو سواد الانفصال، وهو سواد النكال، وهو سواد النقمة، وهو سواد الحجبة قال الله تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ (المطففين: ١٥) فالحجاب يا مسكين يا مغرور فى الدنيا وقع على قلبك باكتساب السيئات، ودوامك على الخطيئات واشتغالك عن رب الأرضين والسموات، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا** ﴾ (آل عمران: ٣٠) فيا معشر المذنبين أبعدوا السوء وأبدلوه بالإحسان، وارغبوا فى نعيم الجنان وارجعوا عن الأوزار والعصيان، فإنها تزيدكم من عذاب النيران، يا أخى أبعد السوء وابغضه بغضًا شديدًا، وكن على إبعاده بالتوبة جلدًا جليدًا، من قبل أن يأتى يوم تود أن لو كان السوء عنك بعيدًا، ولم تتبع شيطانًا غويًا مريدًا، وأنشدوا:

يا من إليه جميع الخلق يبتهل ... وكل حى على رحماه يتكل
يا من نأى فرأى ما فى الغيوب وما ... تحت الثرى وحجاب الليل منسدل

يا من دنا فنأى عن أن تحـيط به ... الأفكار طرا أو الأوهام والعلل
أنت الملاذ إذا ما أزمة شملت ... وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل
أنت المنادى به فى كل حادثة ... أنت الإله وأنت الذخر والأمل
أنت الغياث لمن سدت مذاهبه ... أنت الدليل لمن ضلت به السبل
إنا قصدناك والآمال واقعة ... عليك والكل ملهوف ومبتهل
فإن غفرت فعن طول وعن كرم ... وإن سطوت فأنت الحاكم العدل

حكاية ذى النون عن الراهب الصامت:

قال ذو النون رحمه الله: ذكر لى عن راهب بالشام أنه لم يكلم أحداً مدة أربعين سنة، فنهضت إليه فلم أزل أنادى تحت صومعته وأقسم أن يشرف على حتى أشرف من أعلى صومعته، فراودته على الكلام فأبى علىَّ، فقلت له: بالذى سكت من أجله ومن خوفه إلا أجبتنى عما أسألك عنه، فقال لى: قل ولا تطيل الكلام علىَّ، قلت له: منذ كم أنت فى هذا الموضوع؟ فقال: منذ يوم واحد، فقلت له: وكيف ذلك؟ قال: سمعت الناس يقولون أمس واليوم وغداً، فأما أمس فقد فات، وأما اليوم فلى، وأما الغد فلا أدرى أبلغه أم لا، ثم أدخل رأسه فما كلمنى وهو يبكى، ويقول: لا صبر لى على النار.

وأنشدوا:

أيا نفس لا صبرا على النار فاعلمى ... وكونى على خوف من النار ما عشت
ودومى على الأحزان ما دامت حية ... عسى تذهب الأحزان عنكم إذا مت
يقولون فى طول الكلام بلاغة ... وقد علموا أن البلاغة فى الصمت
إذا العبد لم يلعب هواه بعقله ... عصى ربه وازداد مقتًا على مقت

* * *

تقسيم العمر على الأعمال:

معشر المذنبين اجعلوا أعماركم ثلاثة أيام: يوم مضى، ويوم أنتم فيه، ويوم تنتظرونه لا تدرون بما يأتيكم من صلاح أو فساد ولعلكم لا تبلغونه، فأصلحوا اليوم الذى مضى بالندم على ما فاتكم فيه من الطاعة والإحسان، وما اقترفتم فيه من الذنوب والعصيان، واليوم الذى مضى إنما تصلحونه فى اليوم الذى أنتم فيه بالبكاء والندامة، وذم النفس مع الملامة، وأنشدوا:

حتى متى نحن والأيام نحسبها ... وإنما نحن فيها بين يومين

يـوم تـولـى ويـوم أنـت تـأمـلـه لـعلـه أجلـب الأيام لـلـحـــــين

آنس الله روعتى وروعتكم يوم النشور، وآنس وحشتى ووحشتكم فى القبور، إنه على ذلك قدير، وهو عليه يسير، وأماتنا وإياكم على هذه الكلمة، شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مبدلين ولا مغيرين ولا مبتدعين آمين رب العالمين.

* * *

٧- مجلس فى قوله تعالى

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ (الحاقة: ١٩، الانشقاق: ٧) الآية

يا أخى يا مسكين يا حيران، من الذنوب والعصيان، يا من تعرض لسخط الملك الديان، يا من أقر عين عدوه الشيطان، بتماديه على الخذلان، والضلال والبهتان، والأوزار والطغيان،و يا مغرور إنك آخذ كتابًا، ووارد حسابًا، ونازل ثوابًا أو عذبًا، فقدم يا غافل فى دار الغرور، ما تجده فى الكتاب المنشور، من الثواب المحبور، والفرح والسرور، والضياء والنور، من رحمة العزيز الغفور.

أين الكتب يوم القيامة:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «الكتب كلها تحت العرش فإذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى ريحًا تطيرها بالإيمان وبالشمائل»(٩٨) أول حرف فى الكتب: ﴿ **اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾ (الإسراء: ١٤) ما أعدل الملك الوهاب، إذا جعل الإنسان حسيب نفسه فى قراءة الكتاب، يا مسكين يا مغرور إن أخذت الكتاب بالشمال، فحسبك العذاب والنكال، والمحن والأهوال، والسلاسل والأغلال، والحميم والخبال، واللعنة والانفصال، من ذى الجود والجلال، وإن أخذت الكتاب باليمين، فحسبك المقام الأمين، فى أعلى عليين، مع الولدان والحور العين، والاتصال برب العالمين، وبمحمد خاتم النبيين، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وإن أصررت فى الدنيا على جرمك، ولم تتب إلى مولاك عن قبيح ذنبك، فسوف تأخذ كتابك من وراء ظهرك، فتجد فيه ما يحزن قلبك، ويعظم حزنك ويكثر كربك، فيا معشر المذنبين اعلموا أنما جعل الله الدنيا ابتلاء واختبارًا، وأوجب عليكم فيها حقوقًا كبارًا، فمتى ضيعتموها فقد أودعتم كتبكم آثامًا وأوزارًا، ومتى وفيتم بها فقد ملأتم كتبكم سرورًا وأنوارًا، وما من عبد ولا أمة إلا وله كتاب يقرؤه يوم العرض والحساب، وإنما مثل الناس عند قراءتهم الكتاب، كمثل الزارع إن زرع طيبًا رفع

---

(٩٨) منكر: ذكره العقيلى فى الضعفاء (٤ / ٤٦٨) وفيه نعيم بن سالم: منكر الحديث، وفى الميزان (٤ / ٤٥٩) متهم بالوضع.

طيبًا، وإن زرع خبيثًا رفع خبيثًا، يا أخى فكأنك أنت كتبته بأقوالك، وملأته بأفعالك، وسودته بالقبائح من أعمالك، وأنشدوا:

كأنى بنفسى فى القيامة واقف   وقد فاض دمعى حين أعطى كتابيا
لعلمى بأفعالى وسوء مناقبى   وأن كتابى سوف يبدى المساويا

فيا أهل الذنوب مثلى اعلموا أن الأعمال قد أثبتت عليكم فى الديوان، من الإحسان والعصيان، والزيادة والنقصان، والنفاق والإيمان، وأنت غافل فى سكرة الغرور، وكتابك مملوء بالويل والثبور، فبادروا إلى الصحائف وامحوا ما فيها من القبائح ومحصوا ما قد ثبت عليكم من الفضائح، وذلك باكتساب الحسنات، كما قال رب الأرضين والسموات: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ (هود: ١١٤).

أول الناس حسابًا:

ذكر فى بعض الأخبار أن أول ما يحاسب الله من الأمم أمة محمد ﷺ(٩٩) فإذا اجتمع الأولون والآخرون فى أرض القيامة وقفت أمة محمد ﷺ فأول من يدعى منهم إلى الحساب رجل من قريش من بنى مخزوم يقال له عبد الله بن عبد الأسد، وله أخ يقال له الأسود بن عبد الأسد وفيهما نزلت هاتان الآيتان: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ**﴾ (الحاقة: ١٩) إلى قوله: ﴿**فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ (الحاقة: ٢٤) نزلت هذه الآية فى عبد الله بن عبد الأسد: ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ**﴾ (الحاقة: ٢٥) وهو الأسود بن عبد الأسد، فأما عبد الله وهو المؤمن فيدخل من وراء الحجب فيوقف بين يدى الله عز وجل، فترعد فرائصه، وتنفك أوصاله، وتذهل نفسه من شدة الخوف من الله تعالى، فبينما هو على أشد الأحوال من الخوف بين يدى الجبار جل جلاله إذ يأتيه ملك من عند الله تعالى وبيده صحيفة بيضاء مختومة بخاتم الخلد، فيقول له الملك:

كتاب الحسنات:

هذا كتابك فيتناول الكتاب بيمينه، وكل من كان من أهل الشقاوة إذا أوتى كتابه يود أن يمد اليمين لأخذه فلا يقدر لأنه يجد يمينه كأنما علقت فيها جبال الدنيا، فلا يطيق أن يرفعها من الثقل، وقيل: إنها تغل يده، وقيل: إنها تلصق بجسده، وقيل: إن الملك يقول له: يا عدو الله خذ كتابك بشمالك فإنك من أصحاب الشمال - جعلنا الله وإياكم من

---

(٩٩) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٩٠) بلفظ «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب: يقال الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون الأولون» وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٣٧٤).

أصحاب اليمين - فيتناول عبد الله أخو الأسود كتابه بيمينه، ويقال له: اقرأ ما عملت من خير وشر ولا تلومن إلا نفسك، فيفض خاتم الكتاب فينشر كتابه فإذا هو مكتوب بخط أبيض فى باطن الكتاب السيئات، وفى ظاهره الحسنات، فيقال له: اقرأ سيئاتك فاول حرف يجده في الكتاب أصغر ذنب عمله فى الدنيا، فإذا رأى ذلك الذنب ميل رأسه ونكسه حياء من الله تعالى وسال منه من العرق ما لو أن مائتين من الإبل أكلت حمضًا والتهبت عطشًا ووردت على عرقه لشربت كلها ورجعت وقد رويت وما نقص من عرقه شىء.

كيفية السؤال:

هذا كله حياء من الله عز وجل، فيقول الجبار جل جلاله: عبدى، فيقول: لبيك ربى وسعديك، فيقول: ارفع رأسك أتعرف ذنبك هذا؟ فيقول: مولاى وسيدى وعزتك وجلالك إنى لأعرفه، فيقول: عبدى أتذكر يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا وأنت على هذا الذنب؟ فيقول: نعم وعزتك وجلالك، فيقول له الجبار جل جلاله: عبدى إنك إذا أخفيت ذلك من الخلائق لقد علمت أنى كنت مطلعًا عليك، فيقول: بلى يا سيدى ومولاى وعزتك وجلالك؛ لقد علمت ذلك، فيقول له جل جلاله: أما أستحييت منى؟ أما راقبتنى؟ أما عملت أن مرجعك إلىَّ. والعبد فى هذا التوبيخ قد علاه العرق، وذاب من شدة الغرق فيقول: مولاى وسيدى لأن ترسل بى إلى النار أهون على من هذا التوبيخ، فيقول الله تبارك وتعالى: عبدى أليس قد سترتها عليك فى الدنيا؟ فيقول العبد: مولاى لقد فعلت ذلك بى، فيقول جل جلاله: عبدى وعزتى وجلالى ومجدى وجودى وكرمى لقد محوتها من قلوب الملائكة وقلوب الآدميين، وأبقيتها بينى وبينك حتى تعلم نعمتى عليك وأفضالى لديك فى الدنيا والآخرة.

غفران الذنوب:

فلا يزال جل جلاله يفعل به ذلك فى كل ذنب حتى يقرأ جميع ما فى كتابه من الذنوب فإذا أتى على آخر الكتاب وجد فيه: عبدى هذه سيئاتك قد غفرتها لك فعند ذلك يبيض وجهه وتحسن بشرته ويذهب عنه الحزن والهم والجزع، ثم يقول الله جل جلاله: اقلب كتابك فاقرأ حسناتك فيقلب العبد كتابه فيقرأ حسناته كلما مر على حسنة ازداد قلبه فرحًا وسرورًا، وازداد بياضًا وحسنًا ونورًا، ثم يؤتى بتاج من نور فيوضع على رأسه لو أخرج ذلك التاج إلى الدنيا لكسف نوره ضوء الشمس والقمر.

لباس المكرمين:

ويؤتى بحلتين من حلل الجنة شبر منها خير من الدنيا وما فيها مائة ألف مرة، فيلبسها ويحلى كل مفصل منه بحلى الجنة، ويقال له: اخرج على الناس وأخبرهم وبشرهم أن لكل عبد وأمة من المؤمنين مثل ذلك، فعند ذلك يخرج عبد الله بن عبد الأسد وكتابه بيمينه وقد أشرق وجهه نوراً، وقلبه قد امتلأ سروراً، قد جرت على وجهه نضرة نعيم الجنان، وتلك علامة لأهل الإيمان والملك آخذ بيمينه وهو ينادى عليه نداء البشرى: ألا إن فلاناً قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، والخلائق قد رفعوا أبصارهم إليه وتمنوا مثل ما مَنَّ الله به عليه وهو يقرأ: ﴿**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾ (الحاقة: ١٩) ليس فيه سيئة واحدة قد غفر الله تبارك وتعالى جميع ذنوبى ومحاها عنى: ﴿**إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾ (الحاقة: ٢٠) إنى أيقنت فى الدنيا أنى ألقى هذا اليوم وكنت وكنت خائفاً من هوله ومن قراءتى كتابى ومن حساب ربى جل جلاله فلا يزال كذلك حتى ينتهى إلى أصحابه فيقولون: من هذا العبد الذى أكرمه الله ورضى عنه؟ اللهم اجعله من أحبابنا وقربه منا حتى ننظر إلى ما قد فضله مولانا به، فإذا قرب منهم سلم عليهم فيقولون له: من أنت يا عبد الله؟ فيقول: أوما تعرفوننى؟ فيقولون له: يا عبد الله لقد زينتك كرامة المولى جل جلاله حتى لا نعرفك فمن أنت؟ فيقول لهم: أنا عبد الله بن عبد الأسد، ألا وإن لكل واحد منكم مثل هذا، وهكذا يفعل الله تبارك وتعالى بكل مؤمن يكون رأساً فى الخير يدعو إليه ويأمر به، ثم يشفعه الله تبارك وتعالى فى كل من شاء من أهل الذنوب، فعند ذلك يفرح أصحابه بما قد بشرهم به من المغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار: ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**﴾ (الحاقة: ٢١) قد رضى ورضيت نفسه ورضى مولاه عنه وهو راض بتلك العيشة والعيشة الجنة: ﴿**فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ**﴾ (الحاقة: ٢٢) فى غرفة ارتفاعها مسيرة مائة عام من لؤلؤة بيضاء أو من ياقوتة حمراء ملاطها(١٠٠) المسك الأذفر(١٠١) والعنبر الأشهب، والكافور الأبيض: ﴿**قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**﴾ (الحاقة: ٢٣) يعنى ثمارها دانية منهم إذا اشتهوا نزلت عليهم حتى تدخل عليهم فى منازلهم فتدنو منهم فيأكلون من ثمارها ما يشتهون وهم نيام أو قعود أو قيام على أى حال أرادوا، ثم ترجع إلى أماكنها، وذلك قوله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا**﴾ (الحاقة: ٢٤) لا موت فيها ولا حزن: ﴿**بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ (الحاقة: ٢٤)، يعنى الأيام الماضية

---

(١٠٠) الملاط: ما يوضع بين أحجار البناء.

(١٠١) الإذخر: الطيب الريح.

وهى أيام الدنيا التى أطاعوا الله تبارك وتعالى فيها، واستقاموا ولم يزوغوا عن طاعته، وأنشدوا:

ببابك عبد من عبيدك مذنب	كثير الخطايا جاء يسأل العفوا
فأنزل عليه العفو يا من بمنه	على قوم موسى أنزل المن والسلوى
أنا عبدك المسكين فارحم تضرعى	ولا تجعل النيران يا رب لى مثوى
وخفف من العصيان ظهرى إننى	بلغت من الأوزار غايتها القصوى

فهذا عبد الله بن عبد الأسد الذى أنزل الله تعالى فيه هذه الآية، وعلى سيرته فى الحساب تجرى سير المؤمنين من أمة محمد ﷺ على قدر أحوالهم واجتهادهم فى الدنيا فى الخير والاستقامة على طاعة الله.

أشد الناس عذابًا:

وأما قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ** ﴾ (الحاقة: ٢٥) فهو الأسود بن عبد الأسد المخزومى وهو أخو عبد الله بن عبد الأسد وذلك أن الله تعالى يدعو به على إثر أخيه عبد الله فيدخل الأسود حتى يوقف وبينه وبين الله عز وجل حجاب السخط فيكون من وراء الحجاب لأن الله تبارك وتعالى لا يراه إلا المؤمنون وأما الكفار فلا يرونه قال الله تعالى: ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ (المطففين: ١٥) فيوقف الأسود بين يدى الملائكة يرتعد من الخوف والعذاب، والملائكة الذين معه هم ملائكة العذاب، فبينما هو كذلك إذ يأتيه ملك من ملائكة السخط فيأخذ بيده اليمنى ثم يهزها فيخلعها من موضعها فيعلقها من صلبه بجلده، ثم يأخذ برأسه فيلوى عنقه فيحول وجهه فى قفاه.

* * *

كتاب السيئات:

ثم يأتيه ملك من وراء ظهره فى يده صحيفة سوداء فيها كتاب بخط أسود فى باطن الكتاب حسناته وفى ظاهره سيئاته والكتاب مختوم، فيقال له: هذا كتابك خذه فلا يقدر أن يتناوله بيمينه لأن يمينه مخلوعة من منكبه، فيتناول كتابه بشماله فيقال له: فض خاتم الكتاب، فيفضه، ويقال له: انشر كتابك واقرأ، فينشر الصحيفة وهى سوداء فيبدأ بباطن الكتاب فتستقبله حسناته فيقرؤها ويفرح ويظن أنه سينجو من عذاب الله تبارك وتعالى حتى إذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها: هذه حسناتك قد ردت عليك لأنك لم ترد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة، وذلك قوله تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ**

أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ (هود: ١٥) أى لا ينقصون، تعجل لهم فى الدنيا أجور أعمالهم ولا يثابون فى الآخرة بشىء من أعمالهم، ولا يتجاوز عنهم فى شىء من أعمالهم السيئة حتى يعذبهم الله تعالى عليها، وأعمالهم الحسنة أحبطها الله عز وجل بالكفر والأعمال الصالحة التى يراد بها وجه الله تبارك وتعالى يجازى الله تعالى عز وجل أصحابها بالثواب الباقى وهو نعيم الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم، فوجه الله باق ونعيم الجنة باق، لأن الله تعالى خلق الجنة ثوابًا لأهل الأعمال الصالحة التى يراد بها وجه الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨) وكل عمل يراد به وجه الله لا يهلك، يبقى ثوابه لصاحبه وثوابه الجنة، فإن الله تبارك وتعالى يثيب على العمل الباقى بالنعيم الدائم الباقى، ويثبت على العمل الفانى، وهو ما يعمل للدنيا، وزينتها بالعرض الفانى وهو حطام الدنيا، والمؤمن لا يرضى الله عز وجل أن يثيبه على عمله الصالح بعرض من الدنيا، وإن وسع عليه فى الدنيا، فإنما يعطيه ذلك زيادة ومعونة يستعين بها على طاعته، وأجر عمله ادخره له ليوم فقره إذا احتاج إليه، ثم يقال للأسود بن عبد الأسد، اقلب كتابك فاقرأ، فيقلب ظاهره فتستقبله سيئاته مثل الجبال الرواسى، وهى سود بخط أسود، لأنها محبوطة بالكفر غير مقبولة، فأول سيئة يقرؤها يسود وجهه ويَسْمج لونه كلما قرأ سيئة ازداد سماحة وقبحًا، فإذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها: هذه سيئاتك قد أضعفت إنى قد أضعف عليك العذاب بعملك السيئات.

صفة العذاب للكافر:

فيرجع وجهه أشد سواداً من القار ـ وهو الزفت ـ ويعظم جسده للنار حتى يكون ما بين منكبيه مسيرة شهر، وغلظ كل فخذ من فخذيه مسيرة ثلاثة أيام وما بين شفتيه العليا والسفلى أربعون ذراعًا وقد خرجت أنيابه وأضراسه من بين شفتيه بادية وعيناه زرق وحدقتاه قد وقعتا على وجهه من شدة ما هو فيه من العذاب، وكل ضرس من أضراسه أعظم من جبل أحد(١٠٢)، شعره كآجام(١٠٣) القصب، وله سبعة جلود غلظ كل جلد منها أربعون ذراعًا ما بين الجلد إلى الجلد مسيرة ثلاثة أيام فيها ديدان لها جلبة الوحوش فى البرية، فى جسده من الشعر ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى فى أصل كل شعرة من الآلام والوجع والعذاب ما لو قسم على أهل الدنيا من يوم خلقهم الله تعالى إلى يوم يبعثهم لماتوا

---

(١٠٢) روى مسلم (٢٨٥١) فى تعظيم جسد الكافر بلفظ «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع» ورواه أيضًا الترمذى (٢٥٧٧).

(١٠٣) آجام: من الأجمة وهى الشجر الكثيف الملتف.

كلهم فى أسرع من طرفة عين، ثم يؤتى بسلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فتغل بها يداه وعنقه، ويدخل طرفها فى فيه وتخرج من دبره، ثم يلف ما بقى منها على عنقه يتوقد ويشتعل نارًا، ثم يؤتى بصخرة من كبريت أعظم من الجبل العظيم لو وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرها فتعلق فى عنقه وهى تشتعل نارًا، ثم يؤتى بتاج من نار فيوضع على رأسه فيصعد حر الصخرة إلى وجهه، وينزل حر التاج إلى وجهه، ويجتمع مع حر الصخرة ولا يقدر أن يرفع عن وجهه بيديه لأنهما مغلولتان إلى عنقه، قال الله تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (الزمر: ٢٤) وقال عز وجل: ﴿ **وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ** ﴾ (إبراهيم: ٥٠) تغشى وجوه الكفار، ثم يؤتى بسربال من قطران وهو نحاس جهنم قد انتهى من شدة الحر فيلبسه، لو أن ذلك السربال ألقى فى الدنيا لصارت الدنيا من مشرقها إلى مغربها جمرة واحدة أسرع من لمح البصر، ثم يقرن مع شيطان يكون ذلك الشيطان عليه أشد من كل عذاب يعذب به، ثم يقال له: اخرج على الناس وأخبر أصحابك أن لكل واحد منهم مثل هذا العذاب، فيخرج الأسود على أقبح الأحوال وكتابه بشماله ليس فيه حسنة واحدة، وسيئاته ظاهرة للخلق والملك ينادى على الأسود بن عبد الأسد: يا أهل الموقف قد شقى الأسود شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا، العنوه فإن الله تعالى قد لعنه وسخط عليه، فينادى بأعلى صوته نداء يسمعه أهل الجمع: ﴿ **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ** ﴾ (الحاقة: ٢٥) أى يا ليتنى لم أعط كتابى بشمالى ولا يحل بى هذا البلاء الذى أنا فيه: ﴿ **وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ** ﴾ (الحاقة: ٢٦) أى يا ليتنى تبت وآمنت ولم أحاسب بهذا الحساب، ولا نزل بى هذا العذاب: ﴿ **يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ** ﴾ (الحاقة: ٢٧) أى يا ليت الموت عاد إلىَّ حتى يريحنى من هذا العذاب: ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ** ﴾ (الحاقة: ٢٨) يعنى المال الذى كان معه فى الدنيا وكان ينفقه فى غير الله ويبخل به فى ذات الله تبارك وتعالى: ﴿ **هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾ (الحاقة: ٢٩) أى انقطعت عنى حجتى واضمحلت ثم يأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له منبر من جهنم من نار فينصب له ويصعد عليه وتبدو كل قبيحة عملها فى الدنيا ويلعنه كل من فى الموقف ويعيره حتى يود لو أمر به إلى النار، ثم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة: ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ** ﴾ (الحاقة: ٣٠ - ٣٢) فيبتدره سبعون ألف ملك خلقوا من نار السموم مع كل ملك منهم من العذاب خلاف ما مع الآخر فيأخذونه بينهم فيلقونه فى الهاوية من النار الحامية، ويدخلون بسلسلة فى فيه ويخرجون طرفها من دبره كما تصنع الخرزة فى السلك؛ ثم يطعم الغسلين - وهو شيء أسود نتن - لو أن قطرة من الغسلين أخرجت إلى الدنيا لمات جميع أهلها من النتن.

طعام أهل النار:

وإنما يطعم أهل النار الغسلين لأنهم كانوا فى الدنيا لا يرون أن يغتسلوا من الجنابة ولا يتوضئوا للصلاة فيحرق الغسلين مواضع الوضوء والاغتسال وما سقط منه أطعموه إياه جزاء بما ضيعوا فى الدنيا من حقوق الله تعالى، وهذا العذاب كله للأسود بن عبد الأسد، وكذلك لكل من كان فى الشر رأسًا يأمر به ويدعو إليه يُفعل به كما فعل بالأسود بن عبد الأسد، وكل من كان فى الدنيا فى الخير رأسًا يأمر به ويدعو إليه يُفعل به كما فعل بعبد الله بن عبد الأسد يجزى الله تعالى الناس كلهم على هذا المنهاج فى الخير الشر والله يفعل ما يشاء لا إله إلا هو، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فنعوذ بالله من أعمال أصحاب الشمال.

* * *

٨- مجلس في قوله تبارك وتعالى

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ (الكهف: ٤٩، الزمر: ٦٩) الآية

يا أهل الذنوب مثلي، يا أهل العيوب مثلي، يا من يعصي ولا يتوب، يا من الغي والمحال له صحوب، يا من ضيع غاية المنى والمرغوب، يا من سود كتابه بمعصية علام الغيوب، اعلموا عصمنا الله وإياكم أن للعباد غداً صحائف يقرءون فيها الحسنات، والقبائح، فمن كتب له حافظاه خيراً في الدار الفانية فهو خير له في الدار الباقية، ومن كان خائفًا في الدنيا من العذاب، متحفظًا مما يثبت عليه في الكتاب متجنبًا لمعصية رب الأرباب، وفقه الله مولاه للحق والصواب، ويسر عليه برحمته الحساب، ومحيت أوزاره من الكتاب، ورضى عنه الملك الوهاب، وأمر به إلى الجنة وحسن المآب، ومن علم أن عمله يثبت عليه في الديوان، وهو يقرؤه لا محالة بين يدي الرحمن، فكيف يألف العصيان، وكيف يتحرك منه اللسان، وبالزور والبهتان، ومخالفة كتاب الملك الديان.

الفرق بين الحسنة والسيئة:

ذكر في بعض الحكم أن رجلاً كان يسوق دابته فعثرت، فقال الرجل: تعست الدابة - يعني عثرت - فقال ملك اليمين لملك الشمال: ليست بحسنة فأكتبها، فأوحى الله تعالى لملك الشمال: ما ترك صاحب اليمين فاكتبه أنت، فكتب صاحب الشمال قول الرجل: تعست الدابة، وأعظم من هذا أنه ما من عبد ولا أمة يتنفس نفسًا إلا أثبت عليه في الكتاب، فإن خرج النفس في طاعة الله أثبته صاحب اليمين، وإن خرج النفس في غير طاعة الله تعالى أثبته صاحب الشمال حتى يحكم الله تبارك وتعالى يوم الحساب فيه بحكمه، فمن علم هذا يقيناً فلا يحتاج أن تمر عليه ساعة من ساعاته، ولا وقت من أوقاته، ولا لحظة من لحظاته إلا في ذكر الله، وفي الفكرة في عظمة الله.

النجاة في ذكر الله:

روى عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس شيء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله، وأكثر ما يجد المؤمن في صحيفته يوم القيامة الاستغفار في الليل والنهار»[(١٠٤)] فكل من

---

(١٠٤) هذا الذي ذكره المصنف مركب من حديثين: الأول صححه الألباني في صحيح الجامع (١١٠٩) بلفظ «ليس أحب إلى الله ولا أنجى لعبده من ذكر الله تعالى في الدنيا والآخرة =

كان فى الدنيا من قراءة كتابه خائفًا مشفقًا، كان الله تبارك وتعالى به عند قراءته إياه رحيمًا مرفقًا، ومن كان فى الدنيا من الغافلين، كان عند قراءته من النادمين، لو رأيتم يا أهل الذنوب ما قد أثبت عليكم فى الديوان، من الخطايا والعصيان، والزور والبهتان، والزيادة والنقصان، والغفلة والنسيان، لعظمت منكم المصائب، وكثرت منكم النوائب، ولسارعتم إلى الثواب والرغائب، ولثبتم إلى رب المشارق والمغارب، وأنشدوا:

ما بال عينك لا تبكى لما سلفا ... ذكر الذنوب وخوف النار والتلفا
يا أيها المذنب المحصى جرائمه ... لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
من الذنوب التى لم تبل جدتها ... وكيف تبلى وقد أودعتها صحفا
أما تخاف أما تخشى فضائحها ... إذا الغطاء انجلى عنهن وانكشفا

واعلموا معاشر المذنبين لو أن الله تبارك وتعالى أطلع بعضنا على صحائف بعض، وكمف له ما فيها من الذنوب لكان الناس يشتغلون عن معايشهم بتعيير بعضهم لبعض، ولعنة بعضهم لبعض، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

حكاية عن رقة بن واسع:

حكى عن محمد بن واسع رحمه الله أنه ما رآه أحد قط ضاحكًا، وأنه كان ليبكى حتى ترحمه الناس، فذكر له ذلك فقال: يا أحبائى وكيف يضحك من لا يدرى ما أثبت عليه فى كتابه ولا يدرى بما يختم له.

اللهم اختم لنا بخير، وكان رجل يكلم محمد بن واسع فى حاجة فقال له محمد بن واسع: ادن منى فلو كانت للذنوب رائحة لما قدرت أن تدنو منى، فيا معشر المذنبين مثلى ونفسى أعنى وكلنا مذنب لا تغتروا بستر الله تعالى عليكم فإن له يومًا يهتك فيه الأستار، ويحاسب عباده على ما عملوا فى الليل والنهار، فقوم إلى الجنة وقوم إلى النار، فالخير والشر قد حصل عليكم فى الكتاب، الذى يوضع لكم يوم العرض والحساب، بين يدى رب الأرباب، قال الملك الوهاب: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ**﴾ (الكهف: ٤٩)، وضع الكتاب للمؤمنين، ووضع الكتاب للمجرمين، وضع الكتاب لأهل الإيمان، ووضع الكتاب لأهل الضلال والطغيان، وضع الكتاب لأهل الجنان، ووضع الكتاب لأهل النيران، ووضع الكتاب لأهل الثواب، ووضع الكتاب لأهل العقاب، ووضع الكتاب للطائعين، ووضع الكتاب للعاصين، ووضع الكتاب لأهل الإخلاص والوفاق، ووضع الكتاب

= وشواه الثانى صحيح أيضًا رواه ابن ماجه (٣٨١٨) وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٣٠٧٨) بلفظ «طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفاراً كثيراً».

لأهل الرياء والنفاق، ووضع الكتاب لأهل الوفاء، ووضع الكتاب لأهل الجفاء، ووضع الكتاب للعاملين، ووضع الكتاب للباطلين، وضع الكتاب للقائمين، ووضع الكتاب للنائمين، ووضع الكتاب للمستغفرين، ووضع الكتاب للغافلين، ووضع الكتاب للسعداء، ووضع الكتاب للأشقياء، وضع الكتاب لأهل الجنة، ووضع الكتاب لأهل المحنة، وضع الكتاب للأبرار، ووضع الكتاب للفجار، ووضع الكتاب لأهل التوبة، ووضع الكتاب لأهل الحوبة، ووضع الكتاب لأهل الكرامة، ووضع الكتاب لأهل الندامة، وضع الكتاب لأهل الرشاد، ووضع الكتاب لأهل الفساد، ووضع الكتاب لأهل الحسنات، ووضع الكتاب لأهل السيئات، وضع الكتاب لأهل النعيم والسرور، ووضع الكتاب لأهل الويل والثبور، فكتب تبشر بالجنة، وكتب آخرها باللعنة والمحنة، جعلنا الله وإياكم ممن يبشره كتابه بالجنة برحمته.

إحاطة الكتاب بكل شيء:

واعلموا يا معشر المذنبين أن الله تعالى لم يدع شيئًا من القول إلا وقد فسره لعباده وأنزل بذلك كتابه العزيز فقال فيه تبارك وتعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ (الأنعام: ٣٨) وقد أعلمنا إلهنا ومولانا أن: ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ**﴾ (الإسراء: ١٣) وأن كل إنسان لا بد له من السؤال ولا بد له من حساب، ولا بد له من ثواب أو عذاب، ومولانا عز وجل قد أمرنا بالعمل الصالح، ووعدنا عليه بالجنة، ونهانا عن المعاصي وتوعدنا عليها بالنار، وما قدمتم من خير وشر قد أثبت عليكم فى كتاب مكتوب، بالحسنات والذنوب.

حكاية فى كتابة الكتب:

روى عن الحسن رحمه الله أنه قال: ما من عبد ولا أمة يدفن إلا دخل عليه ملك فى قبره معه دواة وقرطاس، فيأخذ الملك برأس الميت ويقعده ويرفع إليه ذلك القرطاس ويناوله قلمًا ويقول له: اكتب جميع ما عملت فى عمرك الذى وجبت عليك فيه الحدود من خير ومن شر[١٠٥]، فيأخذ الميت القلم فيكتب وإن لم يكن فى الدنيا كاتبًا فإن كان العبد من أهل السعادة فأول ما يجرى القلم بيده بإذن الله تبارك وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، لأن بسم الله الرحمن الرحيم لا تكون فى كتاب أهل الشقاوة وإنما تكون فى كتاب أهل الإيمان والسنة والأمان والغفران، لأن بسم الله الرحمن الرحيم هى آية الإيمان، وهى إخبار عن رحمة

---

(١٠٥) هذه رواية باطلة منكرة لا دليل عليها من كتاب أو سنة صحيحة.

الله ولطفه جل جلاله يا أهل السنة من هذه الأمة، فإذا ثبت العبد فى كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فقد أمن فى قبره من العذاب والضيقة.

البسملة وبركتها:

وإذا لم يثبت فى كتابه بسم الله الرحمن الرحيم فقد حل به العذاب فى قبره، فإذا كتب العبد ما عمل من خير وشر شقيًا كان أو سعيداً، يطوى الملك الكتاب ويعلقه فى عنقه فإذا خرج العبد من قبره يوم القيامة جاءه ذلك الملك فأخذ الكتاب وناوله إياه وقال: يا ولى الله أو يا عدو الله أتعرف هذا؟ فيقول: نعم أنا كتبته، وأنا عملته، فيقول له: فاقرأه فيستقبله منه ما سبق له من سعادة أو شقاوة.

فالله الله معشر المذنبين مثلى المؤمنين لا تضيعوا أيامكم بالقبائح، ولا تهملوا أعماركم فى الذنوب والفضائح، فإن جميع أعمالكم قد حصيت عليكم فى الصحائف الصحائح، وستقرءوها بين يدى مولاكم وتشهد عليكم الجوارح بالقبيح والحسن من أعمالكم، وأنشدوا:

سوف ياتى عليك ساعة خوف حين تعطى صحائف الأعمال
وكأنى أرى فضائح قوم قد تجلى لكشفها ذو الجلال
ليت شعرى إذا قرأت كتابى بيمينى أعطاه أم بشمالى

حكاية عن عيسى عليه السلام:

روى عن محمد بن اللباد رحمه الله أنه قال: دخل عيسى ابن مريم ﷺ وعلى نبينا محمد مدينة خربة فدخل قصراً من قصورها فنادى: يا خراب الأخربين أين أهلك وعمارك؟ فأجابه شىء من آخر القصر: يا بن مريم بادوا وسيعودوا[١٠٦]، فاجتهد يا أخى لا تفرط فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالهم فى رقابهم، وأنشدوا:

لا تحقرن من الذنوب صغيرها إن الصغير غداً يعود كبيرًا
كل الذنوب وإن تقادم عهدها عند الإله مسطراً مسطوراً

أيها الرجل المقنع بالمشيب، الملبس حلة المعاصى المريب، قد خسرت أيام الشباب، وبذلت مهجتك للعذاب، بغفلتك عما فى الكتاب، واتباعك اللعين الكذاب، وتهاونك بالحساب وصدودك عن الصواب ومعصيتك لرب الأرباب، ما حيلتك يا مكروب مثلى سودت كتابك بالذنوب، وعصيت مولاك علام الغيوب، وبعت الحظ الجزيل بالكذب

(١٠٦) انظر تعريف الإسرائيليات عند ابن كثير فى التفسير (١/ ٢٢).

المشوب، وضيعت الجنة التى ليس فيها نصب ولا لغوب واعلموا يا معشر المذنبين أن العبد إذا وفقه مولاه وأعطاه الفكرة فى قراءة كتابه كان عند مولاه مستجاب الدعاء.

حكاية فى الاعتماد على الله:

حكى عن مطرف بن الشخير رحمه الله أنه أرسل رسولاً عن عوز ماء وكان فى زمان الحر، فأبطأ عليه الرسول وكان عنده جماعة قد عطشوا وكان معه قليل من الماء، فقام فتوضأ بذلك الماء ثم صلى ركعتين دعا فيهما مولاه سبحانه، فأرسل الله تبارك وتعالى سحابة حتى شرب هو وأصحابه، فقيل له: بم بلغت هذه المنزلة؟! فقال: جعلت كتابى نصب عينى فى ليلى ونهارى حتى كأنى أقرؤه بين يدى ربى جل جلاله.

حكاية عن مالك بن دينار:

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله: كنا عند محمد بن واسع ومعه مالك بن دينار فجاء رجل فكلم مالكًا وأغلظ عليه فى الكلام فى قسمة قسمها وقال: وضعتها فى غير حقها، وفضلت بها أهل مجلسك ليكثروا جمعك، ولتصرف وجوه الناس إليك، قال: فبكى مالك ابن دينار، وقال: ما أردت بهذا هذا الذى تقول، قال: بلى والله لقد أردته، فلما أكثر على مالك الكلام رفع جيب يديه وقال: اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت، فسقط الرجل ميتًا بإذن الله.

دعاء ابن واسع:

وكان محمد بن واسع إذا جن عليه الليل يبكى ويقول فى بكائه: ويلى من ذنوب قد أحصيت، ومن صحيفة قد ملئت وربى قد علم ذلك ولم يخف عليه من ذلك شىء، فأورثه الله تعالى ببكائه على كتابه، وعلى حيائه من ربه الاستجابة فى الدعاء وتنور القلب، وأنشدوا:

أرى المشيب بالعذراء قد ألم ... كأن موتى عن قريب قد هجم
خط المشيب أسطرًا فى مفرقى ... فراعنى ما خطه وما رقم
هل الفتى إذا انقضى شبابه ... إلا كزرع هاج سوف ينحطم
شاب الفؤاد قبل شيب لمتى ... واعتادنى ضعف القوى قبل الهرم
ويحى من التوبيخ من ربى غدا ... من ذلك الأمر الشديد المستهم
ويحى إذا نادى المنادى بى ألا ... قم عبد سوء مسرع للعرض قم
ويحى إذا ما قال لى مقررًا ... وخص شيئًا بعد شىء ثم عم

مـا قــد صنعت في فـروضي والذي قـضيت منها هل صـفـا لي هل سلم
فـجـئت ربي خـاسـراً قـد أثقلت
ظهري ذنوب كالسحاب المرتكم(١٠٧)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ** ﴾ (الكهف: ٤٩) وضع الكتاب لفصل القضاء، ووضع الكتاب للحزن والبكاء، وضع الكتاب لتبدو الفضائح ووضع الكتاب لتظهر القبائح، وضع الكتاب لتصح الصحائح، الله الله يا معشر المذنبين حاسبوا أنفسكم قبل يوم الحساب، وارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب، وبادروا بالتوبة قبل غلق الباب، واجتهدوا في بقية أعماركم قبل وضع الكتاب، وسارعوا إلى المغفرة من ربكم قبل الخجل بين يدى رب الأرباب، وقبل أن تطلبوا برد الجواب، وتحبس الألسنة عن النطق والخطاب، وتشهد الجوارح بما عملت من عصيان أو ثواب، وأنشدوا:

أبكي لذنبك طول الدهر مجتهداً إن البكاء مـعـول الأحـزان
لا تنس ذنبك في الكتاب وعظمه إن الذنوب تحـيط بالإنسـان

مساكين أهل الذنوب، أطاعوا الشيطان، وعصوا الرحمن، مساكين أهل الذنوب جلت كروبهم وعظمت خطوبهم، وكبرت عيوبهم، وأحصيت عليهم في الكتاب ذنوبهم، مساكين أهل الذنوب عصوا الجبار في الليل والنهار، وبذلوا مهجتهم لعذاب النار، وسودوا صحفهم بالخطايا والأوزار، مساكين أهل الذنوب غفلوا عن الطاعة، وخالفوا السنة والجماعة، وخسروا أنفسهم قبل قيام الساعة.

وأنشدوا:

من كـان يخـشى الله جل جـلاله فليكثـر العـبـرات في الخلوات
فلعله بعـد التـذكـر والبكا بُدلت له العـبـرات بالحـسنات
وتخـفف الأوزار عن منشـوره يوم الحساب وموقف الحسرات

عجائب الكتب:

قال الله تعالى: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ** ﴾ (الكهف: ٤٩) عباد الله عند وضع الكتاب عجائب، وأحزان ومصائب، وكروب ونوائب، فواحد يوضع له الكتاب فيبكي، وآخر يوضع له الكتاب فيفرح ويبكي، وآخر يوضع له الكتاب فتجري على وجهه نضرة النعيم، وآخر يوضع له الكتاب فتعلو وجهه ظلمة الجحيم، وآخر يوضع له الكتاب مختوماً بسخط الرب الجواد، وآخر يوضع له الكتاب مختوماً بالتوفيق والسداد.

(١٠٧) أي السحاب مجتمع بعضه فوق بعض.

اللهم وفقنا للطاعة، وأمتنا على السنة والجماعة، ونجنا من أهوال يوم الساعة، وأدخلنا فى جملة أهل الشفاعة، واعلموا معشر المذنبين أن الماء يمحو الكتاب من ألواح الصبيان، والدمع يمحو من كتبكم الأوزار والعصيان، والهموم والغموم والأحزان، فاجتهدوا فى البكاء معشر الإخوان، وأكثروا الندامة فإنها توجب الغفران، وأنشدوا:

دعونى على نفسى أنوح وأندب	بدمع غزير واكف يتصبب
دعونى على نفسى أنوح فإننى	أخاف على نفسى الضعيفة تعطب
وإنى حقيق بالتضرع والبكا	إذا ما هدأ النوام والليل غيهب[(١٠٨)]
وجالت دواعى الحزن من كل جانب	وغارت نجوم الليل وانقض كوكب
كفى أن عينى بالدموع بخيلة	وإنى بآفات الذنوب معذب
فمن لى إذا نادى المنادى بمن عصى	إلى أين إلجائى إلى أين أهرب؟
وقد ظهرت تلك الفضائح كلها	وقد قرب الميزان والنار تلهب
فيا طول حزنى ثم يا طول حسرتى	لئن كنت فى قاع الجحيم أعذب
فقد فاز بالملك العظيم عصابة	تبيت قيامًا فى دجى الليل ترهب
إذا أشرف الجبار من فوق عرشه	وقد زينت حور الجنان الكواعب
فناداهم سهلاً وأهلاً ومرحبًا	أبحت لكم دارى وما شئتم اطلبوا

فبادروا رحمكم الله فى هذه الأيام الشريفة، إلى محو السيئات من الصحيفة.

ضرب مثل فى رقة القلب:

يا أخى الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها الواحد فى النار عرق طرفها الآخر، وكذلك القلب إذا كانت فيه حرقة وندامة الذنوب التى حصلت فى الكتاب المكتوب الموضوع، جادت العينان بواكف الدموع، ولانت الجوارح بالخضوع، والقلب بالإنابة والخشوع، وأنشدوا:

كتبت بأدمعى فى صحن خدى	كتابًا بالتذلل والخضوع
فقالوا: قد عفونا عنك لما	محوت قبيح فعلك بالدموع

حكاية عن التوبة:

ذكر عن بعض الخائفين أنه قال: رأيت رجلاً واقفًا على صبى من الصبيان فى المكتب وهو يمحو لوحًا، وكان اللوح قد كتب بالحبر، وكانت الكتابة قد ثبتت ولا تزول بالماء،

---

(١٠٨) غيهب: مظلم شديد السواد.

فجعل الصبى يحك اللوح بالحبل والتراب، فقال الرجل الواقف عليه: يا بنى مالك تحك اللوح بالحبل؟ فقال: ليزول الحبر الذى ثبت فيه، فقال له الرجل: والحبل يا بنى يزيل الحبر؟ قال: نعم ألا ترى أن الحبل إذا حك فى تنور البئر يؤثر فيه وهو حجر فيصير فيه من أثر الحبل شبه الخنادق! فقال الرجل: ذلك بطول المدة، فقال الصبى: لا يا نعم الرجل إلا بالحزم والاجتهاد وإنك يا نعم الرجل بعيد الذهن، قال الرجل: كيف ذلك يا بنى؟ قال: لأنى قد قلت لك إشارة لو ألقيتها على قلبك لأفاق وامتحى الحبر الذى عليه، فقال الرجل: يا بنى كان على قلبى حبراً؟ قال: يا عم وأى لون هو الحبر؟ قال: هو أسود، قال الصبى: يا عم ألم أقل لك إنك بعيد الذهن، وأى سواد أشد من سواد الذنوب على القلوب! فصاح الرجل صيحة وخر مغشيًا على وجهه ثم أخذنى البكاء، فقال له الصبى: أما الآن فقد وجدت الدواء لذنوبك ومحوها من كتابك وقلبك، فقال الرجل: يا بنى وما الدواء؟ فقال: له: البكاء، فقال: يا بنى والبكاء يمحو الذنوب من الكتاب والقلب؟ قال له: نعم، والدليل على ذلك قول النبى ﷺ: «إن الدموع تطفئ بحار النار يوم القيامة عن الباكى»(١٠٩).

الدموع تمحو الذنوب:

فإذا محت الدموع بحار النار فأحرى أن تمحو من الكتاب القبائح والأوزار، وإذا زالت من الكتاب الفضائح والأوزار، رضى عنك الملك الغفار، وأمر بك إلى دار الراحة والقرار، وخلصت من عذاب البوار، فابكوا يا جماعة المسلمين على ما أذنبتم فى الشهور والأعوام، وفى الساعات والأيام، من الخطايا والإجرام، واكتساب الربا والحرام، وظلم الضعفاء، والأرامل والأيتام، وما فرطتم فيه من أداء حقوق الملك العلام، وأنشدوا:

وددت أن دموعى بحر فاسفحها(١١٠)	من مقلتى على ما فات من زمنى
واهًا على أسف منى على وهل	يجنى التأسف إلا غلة الشجن
والله لو صح تحقيق التأسف ما	ألفيت إلا مع النوام فى الحزن
يا ليت لى عينًا فى كل جارحة	تبكى على بدمع مانع الوسن(١١١)

فضل البكاء:

فالواجب - والله يا أهل الإسلام - على كل مسلم علم من نفسه ذنبًا أن يكثر البكاء عليه عساه يمحوه من كتابه مولاه، ويتفضل عليه ويغفر له ما قد جناه، فهو المنان الكريم،

---

(١٠٩) لم أجده فيما بين يدى من المصادر.

(١١٠) اسفحها: سفح الدمع هو صبه وإرساله.

(١١١) الوسن: بداية النوم.

المتفضل العظيم، اللهم يا أكرم الأكرمين، ويا آخر الغافرين تفضل علينا بتوبة وعلى جميع المذنبين، تنقلنا بها من ذل المعصية إلى عز الطاعة وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذنب ولا تباعة على منهاج أهل السنة والجماعة، الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة، اللهم إن الطاعة والمعاصى بقدرك، وفى يدك القلوب والنواصى، فطهر قلوبنا بماء التوبة واغسلها من دنس الحوبة ومتعنا بالسلامة فى ديننا ودنيانا، وفى أسماعنا وأبصارنا، وجميع جوارحنا ما أبقيتنا ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا فإنك على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

* * *

٩- مجلس فى ذكر الجنة وأوصافها وما أعد الله لأوليائه من النعيم فيها

أيها المريد إنه ينبغى لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه فى جنته، والاشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها، واشتاق إلى نعيمها، لهى عن الرغبة فى الدنيا والحرص عليها والترجح بأمانيها، وترك طلب العلو فيها.

آيات فى الجنة:

وقد قال الله عز وجل: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (القصص: ٨٣) وقال عز من قائل: ﴿ **مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا** ﴾ (الرعد: ٣٥) وقال عز من قائل: ﴿ **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾ (الحج: ٢٣) وقال: ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ الآية إلى: ﴿ **لُغُوبٌ** ﴾ (فاطر: ٣٤، ٣٥) وقال عز من قائل: ﴿ **فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ** ﴾ الآية إلى ﴿ **مَّكْنُونٌ** ﴾ (الصافات: ٤٣ - ٤٩) وقال عز وجل: ﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ** ﴾ الآية، إلى ﴿ **خَالِدُونَ** ﴾ (الزخرف: ٧١).

أحاديث فى الجنة:

روى عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها»(١١٢).

روى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن أشفق من النار لهى عن الشهوات، ومن ترقب الموت هانت عليه المصيبات»(١١٣).

روى عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل:

(١١٢) **حسن**: رواه الترمذى (٢٦٠١) وحسنه الألبانى فى الصحيحة (٩٥٣).

(١١٣) **ضعيف**: رواه البيهقى فى الشعب (٧/ ٣٧٠) وضعفه الألبانى فى الضعيفة (٤٥٥) وضعيف الجامع (٥٤١٩).

اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها ثم رجع فقال: يا رب لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره فقال الله: اذهب فانظر إليها، فذهب إليها فقال: يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال جبريل: يا رب لا يسمع بها أحد فيدخلها، ثم حفها بالشهوات، فقال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال: يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها»(١١٤).

فيا معشر المشتاقين جاهدوا عدوكم اللعين بترك الشهوات، ونافسوا فى أفعال الخيرات، وتحملوا فى طاعة مولاكم المكروهات، يسكنكم مولاكم الجنات، ويبوئكم أعلى الغرفات، ويرفع لكم الدرجات.

شجرة طوبى:

روى عن على بن أبى طالب ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «إن فى الجنة شجرة يقال لها طوبى لو يسير الراكب فى ظلها مائة عام لم يقطعها»(١١٥) بطحاؤها ياقوت وترابها مسك أبيض، ووحلها عنبر أشهب، وكثبانها كافور أصفر، وبسرها زمرد أخضر، وأفناؤها سندس واستبرق، وزهرها رياض أصفر، وورقها برود خضر، وثمرها حلل صفر، وسقيها زنجبيل وعسل، وعبقها زعفران مبهج، والألنجوج(١١٦) يتأجج من غير وقود، يتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والرحيق، وظلها مجالس أهل الجنة يألفونه، ومتحدث يجمعهم.

وصف الجنة:

فبينما هم ذات يوم يتحدثون فى ظلها إذ جاءتهم الملائكة بنجائب مزمومة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسنًا، وبرها خز أحمر، وعبقرى أبيض مختلطان الحمرة بالبياض والبياض بالحمرة، لم ينظر الناظرون إلى مثله حسنًا وبهاء، ذللاً من غير محنة، نجب من غير رياضة، رحالها من الياقوت الأخضر، ملبسة بالعبقرى والأرجوان، ولجمها ذهب وكسوتها سندس وإستبرق، فأناخوا إليهم تلك الرواحل وحيوهم بالسلام من

---

(١١٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٦٠) وأبو داود (٤٧٤٤) والنسائى (٢٧٦٣) وأحمد (٨٦٤٤) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢١٠).

(١١٥) صحيح: رواه البخارى (٣٢٥٣) ومسلم (١٨٨٢) بلفظ «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة» وصحح الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩١٨) حديثًا يتمم هذا المعنى بلفظ «طوبى شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها».

(١١٦) الألنجوج: نوع من العود طيب الرائحة زكيها.

عند الرب السلام وقالوا لهم: أجيبوا ربكم جل جلاله، فإنه يستزيركم فزوروه وليسلم عليكم وتسلموا عليه، وينظر إليكم وتنظروا إليه، ويكلمكم وتكلموه، ويحييكم وتحيوه، ويزيدكم من فضله، فإنه ذو الرحمة الواسعة، وذو فضل عظيم.

رواحل الجنة:

فيتحول كل رجل منهم على راحلته، ثم يسير بهم صفًا واحداً معتدلاً الرجل إلى جنب أخيه عن يمينه لا يفوت ركبة ناقة ركبة صاحبتها ولا تعدو أذن صاحبتها، يمرون بالشجرة من أشجار الجنة فتميل لهم عن طريقهم كراهية أن يفرق بينهم، فإذا وقفوا بالجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم، وتجلى لهم فى عظمته العظيمة، فيسلمون عليه ويرحب بهم وسلامهم وتحيتهم أن يقولوا: ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإجلال، فيقول لهم الرب جل جلاله: عبادى عليكم السلام منى، وعليكم رحمتى ومحبتى، مرحبًا وأهلاً بعبادى الذين أطاعونى بالغيب والذين حفظوا وصيتى، ورعوا عهدى، وكانوا منى على كل حال مشفقين، فيقولون: وعزتك وجلالك وعظمتك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك ولا أدينا إليك كل حقك فأذن لنا بالسجود لك، فيقول لهم ربهم عز وجل: إنى قد رفعت عنكم مؤنة العبادة فهذا حين أرحت لكم أبدانكم، وهذا حين أفضيتم إلى روحى ورحمتى وجنتى وكرامتى، ومبلغ الوعد وعدتكم فاسألونى ما شئتم وتمنوا على أُعطكم أمانيكم، فإنى لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم، ولكن أجزيكم بقدر رحمتى وكرامتى ورأفتى وعزى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى فاسألونى ما شئتم، فما يزالون فى الأمانى حتى إن المقصر فى أمنيته يقول: ربنا تنافس أهل الدنيا فى دنياهم، وفخر بعضهم إلى بعض فاجعل حظى من الجنة كل شىء كان فيه أهل الدنيا من يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها، فإنا رفضناها وزهدنا فيها وصغرت فى أعيننا تشاغلاً بأمرك وإعظامًا لك وإجلالاً وإعزازاً.

إكرام الله تعالى:

فيقول لهم ربهم: لقد قصرتم فى أمنيتكم ورضيتم بدون حظكم وبأقل من حقكم فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم حتى تعرفه أنفسكم، وألحقت بكم ما قصرت عنه أمانيكم فانظروا إلى ما أعددت لكم وإلى ما لا تبلغه أمانيكم ولم يخطر على قلوبكم فيؤتون ذلك، فيقولون: ربنا أنت أحق بالأمن والرحمة ولو وكلتنا إلى أنفسنا وأمانينا لضيعنا حظنا، وإذا بقباب فى الرفيق الأعلى قد نصبت وغرف من الدر والمرجان قد رفعت،

أبوابها من ذهب، ومنابرها من نور وسررها من ياقوت، وفرشها من سندسد وإستبرق يفور من أعراصها وأفواهها ماء، نور شعاع الشمس عنده كنور الكوكب الدرى فإذًا هم بقصور شامخة فى أعلى عليين من الياقوت يزهر نورها فلو أنها متخذة إذًا لامتنعت الأبصار من شدة صفائها وعتق جوهرها فما كان منها أبيض فمن الياقوت الأبيض مفروشًا بالحرير الأبيض، وما كان منها أحمر فمن الياقوت الأحمر مفروشًا بالعبقرى الأحمر، وما كان منها أخضر فمن الياقوت الأخضر مفروشًا بالسندس الأخضر، وما كان منها أصفر فمن الياقوت الأصفر مفروشًا بالأرجوان الأصفر، مبوبة بالذهب الأحمر والفضة البيضاء قواعدها من جوهر وأركانها من ذهب وشفوفها قباب من لؤلو وبروجها غرف من مرجان.

براذين(١١٧) الجنة:

فهم كذلك وإذا براذين مقربة من الياقوت الأحمر مصنوعًا فيها الروح بجنبها الولدان المخلدون وبيد كل وليد حكمة برذون من تلك البراذين، على كل أربعة منها مرتبة من مراتب الجنة كالرحالة، أسفلها سرير من ياقوتة، وعلى كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة، فى كل قبة منها فراش من فرش الجنة ليس فى الجنة لون حسنًا إلا وهو فيها، ولا ريحة طيبة إلا عبق بها، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من ينظر إليها أنها من دون القبة، يتبين مخها فى عظامها كما يتبين السلك الأبيض فى الياقوتة الصافية، ثم يأمر الله عز وجل رجلاً منهم فيتحول فى مركبة مع صاحبته فتعانقه وتقبله وتمنيه بكرامة الله عز وجل، والقبة إما لؤلؤة وإما زمردة، وإما ياقوتة، وإما درة، وإذا فى قبة من تلك القصور منابر من نور عليها ملائكة قعود، ينتظرونهم ليهنئوهم ويحيوهم، فيتحول كل رجل منهم على مركبة تزف تلك البراذين وبجنبها الولدان المخلدون، تشيعهم الملائكة المقربون يقطعون بهم رياض الجنة، فلما رفعوا إلى قصورهم نهضت الملائكة فى أعراضهم فاستزلوهم وصافحوهم، وشبكوا أيديهم فى أيديهم، ثم أجلسوهم بينهم، ثم أقبلوا على الضحك والمداعبة حتى علت أصواتهم.

* * *

مصافحة الملائكة:

تقول الملائكة: أما وعزة ربنا وجلاله ما ضحكنا منذ خلقنا إلا معكم، ولا هزلنا إلا معكم، فهنيئًا لكم هنيئًا بكرامة ربكم، فلما ودعوهم وانصرفوا عنهم دخلوا قصورهم

---

(١١٧) **البرذون**: الدابة، والبراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العرب.

فليس أحد منهم إلا وقد وجد الله عز وجل قد جمع له فى قصره أمنيته التى تمنى، وإذا على كل قصر منها باب يفضى إلى واد أفيح(١١٨) من أودية الجنة محفوفة تلك الأدوية بجبال من الكافور الأبيض، وكذلك جبال الجنة وهى معادن الجوهر والياقوت والفضة فارعة أفواهها فى بطون تلك الأودية، فى بطن كل واحد منها أربع جنان: جنتان ذواتا أفنان(١١٩)، فيهما عينان تجريان، فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان مدهامتان، فيهما عينان نضاختان(١٢٠)، وفيهما فاكهة ونخل ورمان، وحور مقصورات فى الخيام، لم يطمثهن(١٢١) إنس قبلهم ولا جان، كأنهن الياقوت والمرجان، فلما تبوءوا المنازل واستقر قرارهم زارهم ربهم تبارك وتعالى فى ملائكته فيقول لهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ قالوا: نعم، قال: كيف وجدتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا فارض عنا، فيقول لهم الجليل جل جلاله: برضائى عنكم نظرتم إلى وجهى، وسمعتم كلامى، وحللتم دارى، وصافحتكم ملائكتى، فهنيئًا هنيئًا عطائى لكم، ليس فيه نكد ولا تكدير، فقالوا: الحمد لله الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب.

عدد الجنات وأسماؤها:

روى عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال: لما خلق الله تبارك وتعالى الجنات يوم خلقها وفضل بعضها على بعض فهى سبع جنات(١٢٢): دار الخلد، ودار السلام، وجنة عدن، وهى قصبة الجنة وهى مشرفة على الجنان كلها وهى دار الرحمن تبارك وتعالى، ليس كمثله شىء، ولا يشبهه شىء، ولباب جنات عدن مصراعان من زمرد وزبرجد من نور كما بين المشرق والمغرب، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، سبع جنات خلقها الله عز وجل من النور كلها، مدائنها وقصورها، وبيوتها وشرفها، وأبوابها ودرجها، وأعلاها وأسافلها، وآنيتها وحليها، وجميع أصناف ما فيها من الثمار المتدلية، والأنهار المطرزة بألوان الأشربة، والخيام المشرفة والأشجار الناضرة بألوان الفاكهة، والرياحين العبقة، والأزهار الزاهرة، والمنازل البهية، المعجبة.

---

(١١٨) واسع.

(١١٩) **أفنان**: أغصان.

(١٢٠) **نضاختان**: فياضتان.

(١٢١) **لم يطمثهن**: أى لم يمسهن من إنس أو جان، أو لم ينكحن.

(١٢٢) بل الصحيح أنها ثمانية.

الحور العين:

فيها الأزواج المطهرة، والعين الغنجات(١٢٣)، بريط النور(١٢٤) معتجرات، بوشح الكرامة متزينات، بالمسك متزملات، حدق أعينهم كاحلات، وأطرافهن خاشعات، وفروقهن مكللة بالدر، مركبة بالياقوت، ينادين بأصوات غنجة رخيمة لذيذة يقلن: نحن خالدات فلا نموت أبداً، ونحن الغانجات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن الحور الحسان أزواج أقوام كرام، ونحن الأبكار السوام للعباد المؤمنين، طوبى لمن كان لنا وكنا له(١٢٥) فذلك قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا ﴾ (الواقعة: ٣٥ - ٣٧) عاشقات لأزواجهن: ﴿ أَتْرَابًا ﴾ (الواقعة: ٣٧) مستويات في الأسنان: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ (الواقعة: ٢٢) حسان جمال: ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ (الواقعة: ٢٣) كأنهن الياقوت والمرجان مشيها هرولة، ونغمتها شهية، بهية فائقة وامقة لزوجها عاشقة وعليه محبوسة ومن غيره محجوبة، فذلك قوله عز وجل ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ (الرحمن: ٥٦) يقول: قصرت أطرافهن عن الرجال فلا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (الرحمن: ٧٤) وكلما أصابها زوجها وجدها عذراء عليها سبعون حلة مختلفة الوشي والألوان، حملها أهون عليها وأخف من شعرها.

صفة الحور:

في نحرها مكتوب: أنت حبي وأنا حبك لست أبغي بك بدلاً ولا عنك معدلاً، كبدها مرآته وكبده مرآتها، يرى مخ ساقها من وراء لحمها وحليها كما ترى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء وكما يرى السلك الأبيض في جوف الياقوتة الصافية.

دار السلام:

وخلق دار السلام من الياقوت كلها أزواجها وخدمها وآنيتها وأسرتها وحجالها وقصورها وخيامها ومدائنها ودرجها وغرفها وأبوابها، وثمارها من اللؤلؤ والياقوت.

---

(١٢٣) الغنج: هو الدلال من المرأة وقيل: هو ملاحة العينين.

(١٢٤) الريط: الملاءة البيضاء الرقيقة تشف عن الجسد.

(١٢٥) ضعيف: رواه الترمذي (٢٥٦٤) وضعفه الألباني في الضعيفة (١٩٨٢).

جنة عدن:

وخلق جنة عدن من الزبرجد كلها على هذه الصفة وخلق جنة المأوى من الذهب الأحمر بجميع ما فيها على هذه الصفة.

جنة الخلد:

وخلق جنة الخلد من الفضة البيضاء، بجميع ما فيها على هذه الصفة، والجنات كلها مائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام، حيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد، ملاطها المسك، وقصورها الياقوت، وغرفها اللؤلؤ، ومصارعها الذهب، وأرضها الفضة، وحصباؤها المرجان، وترابها المسك، أعدها الله عز وجل لأوليائه، يقول الله تبارك وتعالى: يا أوليائى جوزوا الصراط بعفوى، وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم[١٢٦] فلكم صنعت ثمار الفردوس، ولكم نصبت شجرة الخلد، ولكن بنيت القصور التى أسست بالنعيم، وشرفت بالملك والخلود.

درجات أهل الجنة:

قال ابن عباس ﷺ: فأسفل أهل الجنة درجة من له من الجنة مسيرة خمسمائة عام ويزوج خمسمائة حوراء، وأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف بيت، وإنه ليعانق الزوجة عمر الدنيا فلا يتأخر واحد منهما عن صاحبه، وإنه لتوضع المائدة بين يديه فلا ينقضى شبعه عمر الدنيا، وإنه ليوضع الإناء على فيه فلا ينقضى ريه عمر الدنيا، وإنه ليأتيه ملك بين أصبعيه مائة حلة تحية من ربه تبارك وتعالى فيلقيها على بدنه فيقول العبد: الحمد لله وبارك ربى وتعالى فما عجبت كإعجابى بهذه الهدية فيقول الملك: أعجبتك؟ فيقول: نعم، فيبادر الملك أدنى شجرة من جنة الخلد فيقول: أنا رسول ربك إليك تكونى لولى الله ما أحب فتتلون له على ما يشتهى.

طعام الجنة:

ويبلغ غداؤه سبعين ألف صفحة من ألوان لحوم الطير كأنها البخت لا ريش لها ولا زغب ولا عظم، فلا تطبخ بالنار، ولا تقليها القدور ولذتها لذة الزبد، وحلاوتها حلاوة العسل، ورائحتها رائحة المسك، يأكل من كلها يجد لآخرها من الطعم كما يجد لأولها، وفى عشائه مثل ذلك.

---

(١٢٦) سبق تخريجه.

قال رسـول الله ﷺ: « يأكلون ويشـربون ويتفكهـون يصيـر طعامـهم وشرابهم رشحًا كرشح المسك يخرج من أجسادهم »(١٢٧) ويبعث الله تبارك وتعالى إليهم الملائكة بهدية من لدن العرش.

دلال الحور:

روى عن الحسن ﷺ أنه قال: بينما ولى الله فى الجنة مع زوجته من الحور العين على سرر من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور، إذ قال لها: قد اشتقت إلى مشيتك، قال: فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر، وينشئ الله عز وجل لها فى تلك الروضة طريقين من نور، أحدهما نبت الزعفران، والآخر نبت الكافور، فتمشى فى نبت الزعفران، وترجع فى نبت الكافور، وتمشى بسبعين ألف لون من الغنج.

وروى عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يسطع نور فى الجنة فيرفعون رءوسهم فإذا هو نور حوراء، ضحكت فى وجه زوجها »(١٢٨).

وروى عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ولكنه رشح كرشك المسك، قد ألهموا التسبيح والتكبير والتحميد »(١٢٩).

لباس أهل الجنة:

وروى عن بعض العلماء أنه قال: بلغنى أن ولى الله فى الجنة ذات وجهين يتجاوبان بصوت مليح، تقول التى تلى جسده: أنا أكرم على ولى الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسين بدنه، فتقول التى تلى وجهه: بل أنا أكرم على ولى الله منك أنا أرى وجهه وأنت لا ترين وجهه.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: « يبعث أهل الجنة على صورة آدم عليه السلام فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جردًا مردًا مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيلبسون منها ثيابًا، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم »(١٣٠).

---

(١٢٧) **صحيح موقوفًا**: رواه الدارمى (٢٨٢٥) ورواه ابن أبى شيبة من كلام إبراهيم التيمى.

(١٢٨) **موضوع**: رواه الديلمى فى مسند الفردوس (٢ / ٣٣٨) وأبو نعيم فى الحلية وقال الألبانى فى ضعيف الجامع (٣٢٦٦) موضوع.

(١٢٩) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٣٥) أحمد (١٣٩٩٣).

(١٣٠) الحديث مركب من عدة أحاديث منها ما رواه البخارى (٣٢٤٥، ٣٢٤٦) (٣٣٢٧) ومسلم (٢٨٣٤).

أول من يدخل الجنة:

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأشد كوكب درى فى السماء إضاءة، قلوبهم على قلب واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، يسبحون الله بكرة وعشيًا، ولا يسقمون فيها ولا يموتون، ولا ينزفون، آنيتهم من الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة ورشحهم المسك» (١٣١).

مساكن الجنة:

وقال الحسن رحمه الله فى قوله عز وجل: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ (التوبة: ٧٢) قيل: سأله ابن أخيه فى ذلك، فقال: يا بن أخى على الخبير وقعت، سألت عنها أبا هريرة وعمران بن حصين فقالا: على الخبير وقعت، سألنا عنها رسول الله ﷺ كما سألتنا فقال: «هى قصر فى الجنة من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون داراً من ياقوتة حمراء، وفى كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء، فى كل بيت سبعون سريراً على كل سرير فراش لون على لون، على كل سرير امرأة من الحور العين، فى كل بيت مائة على كل مائدة سبعون قصعة، وعلى كل مائدة سبعون وصيفًا ووصيفة يعطى الله المؤمن فى غداة واحدة ما يأكل ذلك الطعام، ويطوف على تلك الأزواج» (١٣٢).

طيور الجنة:

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه لينظر إلى الطير فى الجنة فيخر بين يديه مشويًا» (١٣٣) والطير أمثال الإبل، فيقول الطير منها: يا ولى الله أما أنا فقد رعيت فى وادى كذا وكذا، وأكلت من ثمار كذا وكذا، وشربت من ماء عين كذا وكذا، وسنى كذا، وريحى كذا، فكل منى، فإذا اشتهى حسن الطير واشتهى صفته فوقع فى نفسه وقع الطائر على ما يريد قبل أن يتكلم، نصفه قديداً ونصفه شواء، كلما شبع ألقى الله عليه ألف باب

---

(١٣١) **صحيح**: رواه البخارى (٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٤) مسلم (٢٨٣٤).

(١٣٢) **حسن**: رواه الطبرانى فى الكبير (١٨/ ١٦٠) والبزار فى مسنده (٩/ ٤٤) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ٣١) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط وفيه جسر بن فرقد وهو ضعيف وقد وثقه سعيد بن عامر وبقية رجال الطبرانى ثقات.

(١٣٣) **ضعيف**: ذكره العقيلى فى الضعفاء (٦/ ٣٢٤) وفيه حميد بن على الأعرج كوفى منكر الحديث كما قال البخارى رحمه الله.

من الشهوة فى الأكل، ثم يؤتى بالشراب على برد الكافور - وليس بهذا الكافور - وطعم الزنجبيل - وليس بهذا الزنجبيل - وعلى ريح المسك - وليس بهذا المسك - فإذا شرب هضم ما أكل من الطعام، ويأكل مقدار أربعين عامًا، ويعطى قوة مائة شاب فى الجماع[١٣٤]، ويجامع مقدار أربعين سنة، له فى كل يوم مائة عذراء، بذكر لا يمل ولا ينثنى، وفرج لا يحثى ولا يمنى.

أنهار الجنة:

قال وهب بن منبه ﷺ: إن فى رياض الجنة نهر من أنهارها فهو أصل أنهار الجنة كلها أظهره الله عز وجل حيث ما أراد، وأن النيل نهر العسل، ودجلة نهر اللبن فى الجنة، والفرات نهر الخمر فى الجنة، وسيحان نهر الماء فى الجنة، وجيحان كذلك، وهما بأرض الهند، وهما نهرا الماء فى الجنة وصفهم الله عز وجل فى الدنيا حتى يصيرهم إلى الجنة.

وذكر وهب عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مكتوب على باب الجنة: إنى أنا الله لا إله إلا أنا لا أعذب من قالها، إنى أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها»[١٣٥].

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لشبر فى الجنة خير من الدنيا وما فيها»[١٣٦].

قال الله عز وجل: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (السجدة: ١٧).

سرر الجنة:

قال ابن عباس ﷺ: وذلك أن ولى الله فى الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام وهو قول الله عز وجل ﴿**وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ**﴾ (الواقعة: ٣٤) قال: والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زمرد أخضر، وعلى السرير سبعون فراشًا حشوها النور، وظواهرها السندس، وبطائنها من إستبرق، ولو دلى أعلاها فراشًا ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عامًا.

---

(١٣٤) **حسن صحيح**: رواه الترمذى (٢٥٣٦) وصححه الألبانى فى المشكاة (٥٦٣٦) بلفظ «يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع، قيل: يا رسول الله أويطيق ذلك، قال: يعطى قوة مائة.

(١٣٥) ذكره الديلمى فى الفردوس (٤/ ١٢٢) بدون إسناد عن أبى سعيد.

(١٣٦) **ضعيف**: رواه ابن ماجه (٤٣٢٩) وضعفه الألبانى فى الضعيفة (٤٣٠٨).

أرائك الجنة:

وعلى السرير أريكة وهى الحجلة وهى من لؤلؤة عليها سبعون سترًا من نور، وذلك قوله عز وجل: ﴿ **هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِى ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ** ﴾ (يس: ٥٦) يعنى ظلال الأشجار ﴿ **عَلَى الأَرَائِكِ** ﴾ يعنى الأسرة فى الحجال، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عامًا فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة تناديه: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتى قال الله فيهن: ﴿ **وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ﴾ (ق: ٣٥) قال: فيطير سريره، أو قال كرسى من ذهب له جناحان فإذا رآها فهى تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عامًا لا تمل منه ولا يمل منها، فإذا رفع رأسه رأى نورًا ساطعًا فى داره، فيعجب فيقول: سبحان الله أملك كريم زارنا؟ أم ربنا أشرف علينا؟ فيقول الملك وهو على الكرسى من نور بينه وبين الملك سبعون عامًا، والملك فى حجبته فى الملائكة: لم يزرك ملك ولم يشرف عليك ربك عز وجل، فيقول: ما هذا النور؟.

زوجة الدنيا:

فيقول الملك: إنها زوجتك الدنيوية وهى معك فى الجنة، وإنها طلعت عليك ورأتك معانقًا لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذى تراه فى دارك هو نور ثناياها، فيرفع رأسه إليها فتقول: يا ولى الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: حبيبتى من أنت؟ فتقول له: يا ولى الله أما أنا فمن اللواتى قال الله عز وجل فيهن: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ (السجدة: ١٧) الآية، قال: فيطير سريره إليها فإذا لقيها فهى تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور، لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل، فهى إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة، لأن أولئك أنبتن نباتًا، فيعانق هذه مقدار أربعين عامًا لا تمل منه ولا يمل منها، ثم إنها تقوم بين يديه وخلاخلها من ياقوت، فإذا وطئت يسمع من خلاخلها صفير كل طير فى الجنة، فإذا مس كفها كان ألين من المخ، ويشم من كفها رائحة طيب الجنة، وعليها سبعون حلة من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب، خلقت من نور، والحلل عليها أسورة من ذهب، وأسورة من فضة، وأسورة من لؤلؤ، وتلك الحلل أرق من نسج العنكبوت، وهو أخف عليها من النقش، وأنه يرى مخ ساقها من صفائها ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد والحلل، مكتوب على ذراعها اليمين بالنور:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ (الزمر: ٧٤) وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ (فاطر: ٣٤).

تبادل الحب:

ومكتوب على كبدها بالنور: حبيبي أنا لك لا أريد بك بدلاً، وكبدها مرآته وهي على صفاء الياقوت، وحسن المرجان، وبياض البيض المكنون: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعة: ٣٧) العرب: العاشقات لأزواجهن، والأتراب: بنات خمس وعشرين سنة، مفلجة لو ضحكت لأضاء نور ثناياها ولو سمع الخلائق منطقها لافتتن كل بر وفاجر، فهي قائمة بين يديه، فساقها يضعف على قدميها بمائة ألف جزء من النور، وفخذها يضعف على ساقها بمائة ألف جزء من النور، وعجزها يضعف على فخذها بمائة ألف جزء من النور، وبطنها يضعف على عجزها بمائة ألف جزء من النور، وصدرها يضعف على بطنها بمائة ألف جزء من النور، ووجهها يضعف على نحرها بمائة ألف جزء من النور، ولو تفلت في بحار الدنيا لعذبت كلها، ولو اطلعت من سقف بيتها إلى الدنيا لأخفى نورها نور الشمس والقمر، عليها تاج من ياقوت أحمر مكلل بالدر والمرجان، وعلى يمينها مائة ألف قرن من قرون شعرها.

ضفائر الجمال:

وتلك القرون: قرن من نور، وقرن من ياقوت، وقرن من لؤلؤ، وقرن من زبرجد، وقرن من مرجان، وقرن من در مكلل بالزمرد الأخضر والأحمر، مفضض بألوان الجوهر، موشح بألوان الرياحين، ليس في الجنة طيب إلا وهو تحت شعرها، الواحدة تضى مسيرة أربعين عاماً، وعلى يسارها مثل ذلك، وعلى مؤخرها مائة ألف ذؤابة من ذوائب شعرها، فتلك القرون والذوائب إلى نحرها ثم تتدلى إلى عجزتها، ثم تتدلى إلى قدميها حتى تجره بالمسك، وعن يمينها مائة ألف وصيفة كل قرن بيد وصيفة، وعن يسارها مثل ذلك ومن ورائها مائة ألف وصيفة كل وصيفة آخذه بذؤابة من ذوائب شعرها.

الوصائف:

ومن بين يديها مائة ألف وصيفة معهن مجامر من در، فيها بخور من غير نار، ويذهب ريحه في الجنة ميسرة مائة عام، حولها ولدان مخلدون، وشباب لا يموتون، كأنهن اللؤلؤ المنثور كثرة، فهي قائمة بين يدى ولي الله ترى إعجابه وسروره بها، وهي مسرورة عاشقة له، فتقول له: يا ولي الله لتزدادن غبطة وسروراً، فتمشي بين يديه بمائة ألف لون من

المشى، فى كل مشية تجلى فى سبعين حلة من النور وأن الماشطة معها فإذا مشت تتمايل وتنعطف، وتتكاسر وتدور، وتبتهج بذلك وتبتسم، فإذا مالت مالت القرون من الشعر معها، ومالت الذوائب معها، ومالت الوصفان معها، فإذا دارت درن معها، فإذا أقبلت أقبلن معها، خلقها الرحمن تبارك وتعالى خلقة إذا أقبلت فهى مقبلة، وإذا ولت فهى مقبلة الوجه لا تفاقر وجهه ولا تغيب عنه، ويرى كل شيء منها، إذا جلست بعد مائة ألف لون من المشى خرجت عجزتها من السرير وتدلى قرونها وذوائبها، فيضطرب ولى الله لولا أن الله سبحانه وتعالى قضى أن لا موت فيها لمات طرباً، فلولا أن الله تبارك وتعالى قدرها له ما استطاع أن ينظر إليها مخافة أن يذهب بصره، فتقول له: يا ولى الله تمتع فلا موت فيها، وأنشدوا:

بحسبك يا عمار من دار بلغة ... جنان بها الخيرات يزلفن فى الحلل
ويمشين هوناً فى الجنان أمامهم ... خيام من الدر المجوف فى الكلل
إذا برزت حوراء حف بها البها ... وأشرقت الفردوس والقوم فى شغل
يعانقن أزواجاً لكل مطهر ... على فرش الديباج والعيش قد كمل
وطاف بها الولدان من كل جانب ... ونودى: ولى الله يجزى بما فعل

وقال غيره:

يا خاطب الحوراء فى خدرها ... وطالبا ذاك على قدرها
انهض بعزم لا تكن دانيا ... وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم ... وحالف الوحدة فى ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه ... وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانتا صدرها
وهى تماشى بين أترابها ... وعقدها يشرق فى نحرها
لهان فى نفسك هذا الذى ... تراه فى دنياك من زهرها

* * *

ضيافة الله:

روى أس بن مالك ﷺ أن الله تبارك وتعالى إذا سكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هبط ربنا الجليل جل جلاله - بلا تكييف ولا تمثيل يتعالى ربنا عن ذلك - إلى مرج أفيح، فمد بينه وبين خلقه حجاباً من لؤلؤ، وحجاباً من نور، ثم وضعت منابر النور، وسرر النور، وكراسى النور، ثم أذن لرجل كريم على الله عز وجل، بين يديه أمثال الجبال من

النور، يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل: من هذا الذى قد أذن له الله عز وجل؟.

فقيل: هذا المجبول بيده، والمعلم الأسماء، والذى أمرت الملائكة فسجدت له، والذى أبيحت له الجنة آدم عليه السلام، أذن له على الله عز وجل، قال: ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل، بين يديه أمثال الجبال من النور، يسمع تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل: من هذا الذى أذن له الله عز وجل؟ فقيل: هذا الذى اتخذه الله خليلاً، وجعل النار عليه برداً وسلاماً إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل، قال: ثم أذن إلى رجل آخر على الله عز وجل، بين يديه أمثال الجبال من النور، يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم.

فقيل: من هذا الذى قد أذن له على الله عز وجل؟ فقيل: هذا الذى اصطفاه الله عز وجل برسالته، وقربه نجيا، وكلمه تكليماً موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل، ثم أذن لرجل آخر معه مثل جميع مواكب النبيين قبله، بين يديه أمثال الجبال من النور ويسمع دوى تسبيح الملائكة وصفق أجنحتهم، فقيل: من هذا الذى قد أذن له على الله عز وجل؟ فقيل: هذا أول شافع وأول مشفع، وسيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وصاحب لواء الحمد أحمد ﷺ قد أذن له على الله عز وجل، قال: فيجلس النبيون على منابر النور، والصديقون على سرر النور، والشهداء على كراسى النور، وجلس سائر الناس على كثبان من المسك الأبيض الأذفر.

وفد الله:

ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحبًا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى، يا ملائكتى انهضوا إلى عبادى فأطعموهم، قال: فتقرب الملائكة إليهم لحم طير كأنها البخت لا ريش معها ولا عظم، فأكلوا ثم ناداهم الرب جلا جلاله من وراء الحجب: مرحبًا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى، أكلوا اسقوهم يا ملائكتى، قال: فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المنثور بأباريق الذهب بأشربة مختلفة تجد لذة آخرها كلذة أولها: ﴿ **لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ** ﴾ (**الواقعة: ١٩**) قال: ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب: مرحبًا بعبادى وزوارى وجيرانى، ووفدى، أكلوا وشربوا فكهوهم فقربت إليهم أطباق مكللة بالياقوت من الرطب الجنى الذى أسماه الله، أشد بياضًا من اللبن، وأطيب من عذوبة الشهد، فطعموا وشربوا وفكهوا ثم ناداهم الرب جلا جلاله من وراء الحجب: مرحبًا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى، أكلوا وشربوا وفكهوا اكسوهم.

كرامة الله لعباده:

قال: ففتحت لهم أشجار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فالبسوا، ثم ناداهم الرب من وراء الحجب مرحبًا بعبادى وزوارى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا، طيبوهم، قال: فهاجت عليهم ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة بأنابيب المسك الأبيض الأذفر، فنضحت على وجوههم من غير غبار ولا قتار ثم يناديهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب: مرحبًا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا، وعزتى وجلالى لأتجلين لهم حتى ينظروا إلىَّ فذلك منتهى العطايا وفضل المزيد، فيتجلى الرب تبارك وتعالى فيقول: السلام عليكم عبادى انظروا إلىَّ فقد رضيت عنكم.

قال: فتداعت قصور الجنة وأشجارها واهتزت تقول: سبحانك أربع مرات وخر القوم سجداً، فناداهم الرب عز وجل: عبادى ارفعوا رءوسكم فإنها ليست بدار عمل، ولا بدار نصب، وإنما هى دار جزاء، ودار ثواب، وعزتى وجلالى ما خلقتها إلا لأجلكم وما من ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا إلا ذكرتكم فوق عرشى.

سوق الجنة(١٣٧):

روى عن سعيد بن المسيب أنه أتى أبا هريرة ﷺ، فقال له أبو هريرة: اسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة، فقال له سعيد: أوفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرنا رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها فنزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل، ويبرز لهم من عرشه تبارك وتعالى فى روضة من رياض الجنة، وتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، يكون أدناهم - وما فيها أدنى - على كثبان المسك والكافور، وما يرون أصحاب المنابر أفضل منهم مجلساً(١٣٨).

رؤية الله تعالى:

قال أبو هريرة ﷺ: فقلت: يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل؟ قال: «نعم هل تضامون فى رؤية القمر ليلة البدر؟» فقلنا: لا، قال: «فكذلك لا تضامون فى رؤية ربكم

---

(١٣٧) روى مسلم فى صحيحه (٢٨٣٣) حديثًا بلفظ «إن فى الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالاً».

(١٣٨) **ضعيف**: رواه الترمذى (٢٥٤٩) وابن ماجه (٤٣٣٦) وضعفه الألبانى فى الضعيفة (١٧٢٢) والمشكاة (٥٦٤٧).

تبارك وتعالى»(١٣٩) ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله عز وجل محاضرة حتى إنه ليقول عز وجل لرجل: يا فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا؟ يذكره سيئاته فى الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لى؟ قال: بلى فبسعة مغفرتى نلت منزلتك هذه، قال: فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط فيقول ربنا عز وجل: قدموا إلىَّ ما أعددت لكم من الكرامة.

قال: فنأتى سوقًا من أسواق الجنة قد حفت به الملائكة لم تسمع به الآذان، ولم تنظر إليه العيون، ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لنا فيها ما اشتهينا ليس يباع فيها شىء ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا، قال: فيلقى الرجل ذو المنزلة المرتفعة من هو دونه فيروعه ما عليه من اللباس فما ينقضى حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها، قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبًا وأهلا بحبيبنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا(١٤٠).

المتحابون فى الله:

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المتحابون فى الله فى الدنيا هم فى الجنة على عمود من ياقوتة حمراء، فى رأس العمود سبعون ألف غرفة، يشرفون على أهل الجنة، إذا اطلع أحدهم ملأ حسنه بيوت أهل الجنة نوراً كما تملأ الشمس بيوت أهل الدنيا، قال: فيقول أهل الجنة: اخرجوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله، فيخرجون فينظرون فى وجوههم مثل القمر ليلة البدر، عليهم ثياب خضر، مكتوب فى جباهم بالنور: هؤلاء المتحابون فى الله»(١٤١).

وقال ﷺ: «إن أهل الجنة إذا رأوا ربهم وأرادوا الانصراف يعطى كل رجل منهم رمانة خضراء، فيها سبعون حلة، لكل حلة سبعون لونًا ليس منهم حلة تشبه الأخرى، فإذا

---

(١٣٩) هذا الجزء من الحديث صحيح رواه البخارى (٥٧٣) مسلم (٦٣٣) وأبو داود (٤٧٢٩) الترمذى (٢٥٥١).

(١٤٠) **صحيح**: دون قوله: فلو أن أحداً رواه الترمذى (٢٥٥٨) وضعف بقيته الألبانى فى الضعيفة (٢٦٦٩).

(١٤١) **ضعيف جدًا**: رواه ابن عدى فى الكامل (٢/ ٢) والطبرانى (١/ ١٩٨/ ٢) وابن حبان فى المجروحين وذكره الحافظ الذهبى فى الميزان (٢/ ٣٢٩) وهذا الحديث من مناكير حميد الأعرج وضعفه الألبانى فى الضعيفة (٦٣٦).

انصرفوا عن ربهم مروا فى أسواق الجنة ليس فيها بيع ولا شراء، وفيها من الحلل والسندس والإستبرق، والحرير والرفرف والعبقرى من در وياقوت، وأكاليل معلقة فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ما شاءوا ولا ينقص من تلك الأسواق شيئًا، وفيها صور كصور الناس من أحسن ما يكون من الصور، مكتوب فى نحر كل صورة منها: من تمنى أن يكون مثل صورتى جعل الله حسنه على صورتى، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه مثل حسن تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة» قال: «ثم ينصرفون إلى منازلهم».

خواتم الجنة:

وقال النبى ﷺ: «إن أهل الجنة يعطيهم الله خواتم من ذهب يلبسونها وهى خواتم الخلد ثم يعطيهم خواتم من در وياقوت ولؤلؤ وذلك إذا رأوا ربهم فى داره دار السلام»(١٤٢).

نوق الجنة:

ورُوى عن بعض العلماء أنه قال: بينما أهل الجنة يتحدثون فى ظل طوبى إذ يأتيهم الملائكة بنوق مزمومة(١٤٣) بسلاسل الذهب كأن وجوهها المصابيح من حسنها، ذلك من غير تهيئة نجب من غير رباية عليها رحائل الذهب وكسوتها سندس وإستبرق حتى ترفع إليهم، ثم يسلموا عليهم فيقولون: إن ربكم بعث إليكم بهذه الرواحل لتركبوها فتزوروه وتسلمون عليه، قال: فيتحول كل واحد منهم على راحلته ثم يسيرون بها صفًا فى الجنة الرجل منهم إلى جنب صاحبه لا يجاوز أذن ناقة منها أذن صاحبتها ولا ركبة ناقة منها ركبة صاحبتها، وإنهم ليمرون بالشجرة من شجر الجنة فتتأخر من مكانها، فإذا وقفوا بين يدى الرحمن تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم فيسلمون عليه ويرحب بهم ويقال: إن سلامهم عليه أن يقولوا: ربنا أنت السلام ومن عندك السلام ولك حق الجلال والإكرام، فيقول لهم الجليل جل جلاله: وعليكم سلام منى وعليكم رحمتى وكرامتى، مرحبًا وأهلاً بعبادى الذين أطاعونى بالغيب وحفظوا وصيتى، فيقولون: لا وعزتك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا إليك كل حقك، ائذن لنا أن نسجد لك، فيقول: إنى قد رفعت عنكم مؤنة العبادة وأفضيتم إلى كرامتى.

---

(١٤٢) لم أقف عليهما.

(١٤٣) مزمومة: أى لها زمام تساق وتقاد به.

أمانى أهل الجنة:

وبلغ الوعد الذى وعدت لكم فتمنوا فإن لكل إنسان منكم ما تمنى، فيتمنون فيعطى كل واحد منهم ما يمنى، ثم يزيدهم تبارك وتعالى من فضله وكرمه ما لم تبلغ إليهم أمانيهم، وأنشدوا:

يا راغب الحـــور الجـــــم ... والدل والشكل وحـــسن الشـيم
الناعـــمـــات الدائمـــات الرضى ... فى جنة الفـــردوس مـــأوى النعم
ارفـــض بـــدار زهـــرهـــا زائـــل ... واغـتنم الصـحـة قـبل السـقم
وابدر إلى الرؤية مـــســتـبـصـــراً ... واعـتنق التـسـهـيـد عند الظلم
واسـتـغـفـر الله لمـا قـد مـضى ... واسـتـشعـر الخـوف وطول الندم
تفـــز بمـــا تـطلب من لذة ... وتأمن البلوى وعـــقـــبى النقم

* * *

١٠ - مجلس فى قوله تبارك وتعالى

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)

قيل: لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: متنا وعزة الله، فعند ذلك أيقن كل ذى عقل وروح أنه هالك، وأنشدوا:

أيضحك من للموت فيه نصيب ... وينعم عيشًا إن ذا لعجيب
ويأكل والأيام تأكل عمره ... وليس له جسم لذاك يذوب
ومن عرف الرحمن لم يهن قلبه ... نعيم ولم ينفك عنه تحيب
بعدت عن الورد الرضى بزلة ... وبى قطعت دون الوصول

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ يموت كل صغير وكبير، يموت كل أمير ذنوب ووزير، يموت كل عزيز وحقير، يموت كل غنى وفقير، يموت كل نبى وولى، يموت كل نجى وتقى، يموت كل زاهد وعابد، يموت كل مقر وجاحد، يموت كل صحيح وسقيم، يموت كل مريض وسليم، كل نفس تموت غير ذى العزة والجبروت، وأنشدوا:

ألا كل مولود فللموت يولد ... ولست أرى حيًا عليها يخلد
تجرد من الدنيا فإنك إنما ... خرجت من الدنيا وأنت مجرد
وأنت وإن خولت مالاً وكثرة ... فإنك فى الدنيا على ذاك أوحد
وأفضل شيء نلت منها فإنه ... متاع قليل يضمحل وينفد
فكم من عزيز أعقب الذل عزه ... فأصبح مذمومًا وقد كان يحمد
فلا تحمد الدنيا ولكن فذمها ... وما بال شيء ذمه الله يحمد

* * *

ذكر الموت:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أكثروا ذكر هاذم اللذات (١٤٤) ومفرق الجماعات،

(١٤٤) هذا الجزء من الحديث صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) النسائى (١٨٢٤) ابن ماجه (٤٢٥٨) أحمد (٧٨٦٥) وصححه الألبانى فى الإرواء (٦٨٢) والمشكاة (١٦١٠) أما باقى الحديث فضعيف.

وتوسدوه إذا نمتم، واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم، واعمروا به مجالسكم فإنه معقود بنواصيكم» يعنى بما وكل به منكم، ويفسد نعيمكم، ويخرب مصانعكم، ويفنيكم كما أفنى من كان قبلكم فلا تنسوه، فإنه لا ينساكم، ولا تغفلوا عنه فإنه ليس بغافل عنكم، وأنشدوا:

يا جار أحبابه شهورا ... وجار أمواته دهورا

ليس سروراً يعود حزنا ... إذا تأملته سرورا

وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: ما من مولود يولد إلا وفى سرته من تراب الأرض التى يموت فيها، وأنشدوا:

أمر على المقابر كل حين ... ولا أدرى بأى الأرض قبرى

وأفرح بالغنى إن زاد مالى ... ولا أبكى على نقصان عمرى

ما أحسن حال من ذكر الموت فعمل لخلاصه قبل الفوت، وأشغل نفسه بخدمة مولاه، وقدم من دنياه لأخراه، ورغب فى دار لا يزول نعيمها ولا يهان كريمها، وأنشدوا:

الموت لا شك آت فاستعد له ... إن اللبيب بذكر الموت مشغول

فكيف يلهو بعيش أو يلذ به ... من التراب على عينيه مجعول

روى عن أبى ذر ﷺ أنه قال: يا رسول الله أى المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم له استعدادًا» (١٤٥).

حكاية عن الربيع:

وقيل للربيع رحمه الله: ألا تجلس معنا نتحدث؟ فقال: إن ذكر الموت إذا فارق قلبى ساعة فسد على قلبى، وأنشدوا:

ما أغفل الناس عن وعيد ... قربه الليل والنهار

والعار ما جرت المعاصى ... وليس فى النائبات عار

ويحك ما تصنع المنايا ... تأتى فتخلى لها الديار

فلا قلوب لها عيون ... ولا عيون لها اعتبار

عباد الله اسعوا فى فكاك رقابكم، واجهدوا أنفسكم فى خلاصها قبل أن تزهق، فوالله ما بين أحدكم وبين الندم، والعلم بأنه قد زلت به القدم، إلا أن يحوم عقاب المنية عليه، ويفرق سهامها إليه، فإذا الندم لا ينفع، وإذا العذر لا يصنع، وإذا النصير لا يدفع، وإذا

---

(١٤٥) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩) والطبرانى (٧١٤١) وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٣٤٣٥) والصحيحة (١٣٨٤).

الشفيع لا يشفع، وإذا الذى فات لا يسترجع، وإذا البائس المحابى به فى النجاة لا يطمع، فكأنى بك يا أخى وقد صرخ عليك النسوان، وبكى عليك الأهل والإخوان، وفقدك الولدان، ونفخ لفرقتك الجيران، ونادى عليك المنادى: قد مات فلان بن فلان، ثم نقلت عن الأحباب، وحملت إلى أرماس(١٤٦) التراب، وأضجعوك فى محل ضنك، قصير السمك، مهول منظره، كثير وعره، مغشى بالوحشة، عرفته مهول الصريح، مطبق الصفيح، على غير مهاد ولا وداد، ولا مقدمة زاد ولا استعداد، وأنشدوا:

المــــرء يخـــــدعــــه منـاه	والدهـر يســــرع فى بلاغــــه
يا ذا الشــــبـــيـــــه لا تـكـن	مـــــمن تعـــــبــــده هـواه
واعلـم بـأن الـمــــرء مـــــر	تـهن بمـــا كـــسـبـت يـداه
والـناس فـى غـــــفــــــلاتهـم	والمــــوت دائـرة رحـــــاه
الـحــــمـــــد لله الـذى	يبــــقى ويهـلك مـــا ســـواه

سكرات الموت:

روى عن النبى ﷺ أنه لما احتضر جعل يقول: «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات»(١٤٧) وروى عنه ﷺ أنه كان يقول وعنده قدح ماء عند موته وكان يدخل يده فيه ويمسح بالماء على وجهه ويقول مرة بعد مرة: «اللهم هون علىَّ سكرات الموت»(١٤٨).

وروى عنه ﷺ أنه قال: «لو أن ألم شعرة من شعر الميت وضع على أهل السموات والأرض لماتوا أجمعين»(١٤٩) لأن فى كل شعرة ألم الموت، ولا يقع الموت ولا يحل فى شىء إلا مات.

وروى أنه قال: «لو أن قطرة وضعت على جبال الدنيا كلها لزالت»(١٥٠).

وأنشدوا:

تيــــــقـظ للـذى لا بـد مـنـه	فـإن المـوت ميـقـات العـبـاد
يســـرك أن تكون رفــيق قــوم	لهـم زاد وأنت بـغــيـــر زاد؟!

---

(١٤٦) **الرمس**: تراب القبر وقيل: القبر.

(١٤٧) **صحيح**: رواه البخارى (٦٥١٠).

(١٤٨) **ضعيف**: رواه الترمذى (٩٧٨) وضعفه الألبانى فى المشكاة (١٥٦٤).

(١٤٩) **لا أصل له**: ذكره الغزالى فى الإحياء (٤٤٤٧) بدون سند.

(١٥٠) **لا أصل له**: ذكره الغزالى فى الإحياء (٤٤٤٧) وقال العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/ ١٢١): لم أجد له أصلاً.

آلام الموت:

روى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لكعب: يا كعب حدثنا عن الموت، فقال: يا أمير المؤمنين هو غصن كثير الشوك، أدخل فى جوف رجل حتى إذا أخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى(١٥١)، وأنشدوا:

ألا أيها المغرور والموت نحوه ... خلقت له تحدو إليه الركائب
أغرك حلم الله أم لست موقنا ... بأنك مبعوث غداً ومحاسب
بأيسر من مثقال حبة خردل ... وإنك مجزى بما أنت كاسب

روى عن الحسن رحمه الله تعالى أنه قال: لما مات خليل الرحمن اجتمعت إليه أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقالوا: إن الله تعالى اتخذك خليلاً من بين سائر الأنبياء والرسل، فإن كان الموت خفف عن واحد فأنت هو، فأخبرنا كيف وجدت طعم الموت؟.

طعم الموت:

فقال: أواه، وجدته والله شديداً، والذى لا إله غيره هو أشد من الطبخ فى القدور، والقطع بالمناشير، أقبل ملك الموت نحوى بكلوب من حديد، فأدخله فى كل عضو منى، ثم استل الروح من كل عضو حتى جعله فى القلب، ثم طعن فى القلب طعنة بحربته المسمومة بسم الموت، فلو أنى طبخت فى القدور سبعين مرة لكان أهون علىَّ، فقالوا: يا إبراهيم لقد هون الله عليك الموت، فإذا كان هذا حال الأنبياء فما يصنع بالمخطئين!! كفى بالموت هامة، وإذا بجبريل ﷺ عندهم يسمعهم فقال لهم: يا أرواح الطيبين ما بعد الموت أشد وأطم وأعظم من الموت، وأنشدوا:

وما الناس إلا هالك وابن هالك ... وذو نسب فى الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

داود والذرة:

ذكر فى بعض الأخبار أن داود عليه الصلاة والسلام كان فى محرابه فإذا بدودة كالذرة، فقال داود فى نفسه: ما يعبأ الله بهذه الدودة، فأنطقها سبحانه وقالت: والله يا داود إنى أعبد الله سبحانه وتعالى وأخافه وأسأله أن يهون على الموت، وأنشدوا:

---

(١٥١) رواه ابن أبى شيبة (٧/ ٢٣٦) وأبو نعيم فى الحلية (٥/ ٣٦٥).

يحب الفتى طول البقاء وإنه | على ثقة أن البقاء فناء
زيادته فى الجسم نقص حياته | وليس على نقص الحياة نماء
إذا ما طوى يومًا طوى اليوم بعضه | ويطويه من بعد الصباح مساء
جديدان لا يبقى الجميع عليهما | ولا لهما بعد الجميع بقاء

ذكر فى بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى قال لإبراهيم ﷺ لما مات: يا خليلى مت؟ قال: يا إلهى مت! قالها ورددها عليه ثلاثًا، قال: يا خليلى كيف وجدت طعم الموت؟ قال كسفود محمى جعل فى صوف رطب ثم جذب، قال: أما إنا قد هونا عليك الموت، وأنشدوا:

أرى المرء يبكى للذى مات قبله | وموت الذى يبكى عليه قريب
وما الموت إلا فى كتاب مؤجل | إلى ساعة يدعى لها فيجيب

موسى وموعظته:

وروى أن موسى صلوات الله وسلامه عليه لما صارت روحه إلى الله سبحانه قال يا موسى: كيف وجدت الموت؟ قال: وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلاة، لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير، وفى رواية أخرى قال: وجدت نفسى كشاة حياة تسلخ بيد القصاب، وأنشدوا:

الموت لا والدًا يبقى ولا ولدًا | هو السبيل إلى أن لا ترى أحدا
مات النبى فلم يخلد لأمته | لو خلد الله حيا قبله خلدا
للموت فينا سهام غير مخطئة | من فاته اليوم سهم لم يفته غدًا
ما ضر من عرف الدنيا وغدرتها | ألا ينافس فيها أهلها أبدًا

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لو علمت الطير والبهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينًا»(١٥٢).

نوح وخوفه:

وروى عن وهب بن منبه أنه قال: قام نوح عليه السلام خمسمائة عام لا يقرب النساء وجلا من الموت وهول المطلع.

وروى أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال للحواريين: ادعوا الله أن يخفف عنى سكرات الموت، وأنشدوا:

---

(١٥٢) **ضعيف جدًا**: رواه البيهقى فى الشعب (١٠٥٥٧) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٤٨١٣) وقال: ضعيف جدًا.

قد سقاك الهوى شراب الأماني ... فاستطبت المقام تحت التداني
وتصاممت عن نداء الأماني ... لاهيًا عن وقائع الحدثان
وإذا عارضتك خطرة ذكر ... بادأتك الطباع بالنسيان

سكرات الموت:

وفى بعض الأخبار: للموت ثلاثة آلاف سكرة، كل سكرة منها أشد من ألف ضربة بالسيف، وفى بعض الأخبار: أن الدنيا كلها بين يدى ملك الموت كالمائدة بين يدى الرجل يمد يده إلى ما شاء منها فيتناوله ويأكله، بل الدنيا كلها مشارقها ومغاربها برها وبحرها وكل ناحية منها أقرب إلى ملك الموت من الرجل على مائدته وإن معه أعوانًا الله أعلم بعدتهم ليس منهم ملك إلا لو أذن الله له أن يلتقم السموات السبع والأرضين السبع فى لقمة واحدة لفعل، وما تقرب ملك الموت من حملة العرش إلا ازدادوا فزعًا منه حتى يرعدوا، وإن غصة من غصص الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، وفى كل ما خلق الله عز وجل البركة إلا فى الأجل فإنه مؤقت لوفاء العدة ونقضاء المدة، وأنشدوا:

للمنايا رحى عليك تدور ... كلنا جاهل بها مغرور
رحم الله من بكى للخطايا ... كل باك فذنبه مغفور

يا بن آدم ما أغفلك، وعن الصواب أبعدك، كأنك بالموت قد فاجاك، وملك الموت قد وافاك، فيئس منك الطبيب، وفارقك الحبيب، وتفجع لفقدك كل قريب، فوقعت فى الحسرة، وجفتك العبرة، وبطل منك اللسان، بعد الفصاحة والبيان، وأدرجت فى الأكفان، وأزعجت عن الأوطان، وصار القبر مأواك، وإلى يوم القيامة مثواك، وفارقك الأهل والإخوان، ووقع بهم عنك السلو والنسيان، فإن كان لك منزل سكنوه، أو كنت ذا مال اقتسموه، وأنشدوا:

يا عجبًا للأرض ما تشبع ... وكل حى فوقها يفجع
ابتلعت عادًا فأفنتهم ... وبعد عاد أهلكت تبع
وقوم نوح أدخلت بطنها ... فظهرها من جمعهم بلقع
يا أيها الراضى بما قد مضى ... هل لك فيما قد مضى مطمع

اذكر الموت:

يا هذا اذكر ما وصفته، واحفظ ما حكيته، وعليك بالصوم والاجتهاد، والطاعة لرب العباد، ومراقبته فى الليل والنهار، والتضرع إليه فى ظلمات الأسحار، يا هذا عمرك أنفاس

معدودة، وعليك رقيب يحصيها، لا تنس الموت، فإنه لا ينساك، المبادرة المبادرة، إنما هي أنفاس لو حبست عنك لانقطع عنك عملك آخر الأبد، وخروج نفسك آخر الأمد، وفراق أهلك آخر العدد، وأنشدوا:

إذا ما الموت جر على أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

فاذكر حالك أيها الغافل، يوم تقلبك على المغتسل يد الغاسل، قد زال عزك عنك، وسلب مالك منك، وأخرجت من بين أحبابك، وجهزت لترابك، وأسلمت إلى الدود، وصرت رهنًا بين اللحود، وبكى عليك الباكون قليلاً، ثم نسوك دهرًا طويلاً، فتغيرت منك المحاسن والمحلى، وتحكم فى أعضائك البلى، وقطعت الأكفان، وسعى إليك الديدان، فبلى منك اللسان، وسالت الحدق كأنك لم تكن قط ممن رأى ولا نطق، وأنشدوا:

فلو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حى
ولكنا إذا متنا بعثنا ... ونسأل بعدها عن كل شىء

ابن آدم كأنك بالموت قد حل بساحتك، وحال بينك وبين ما تريد، وأنت فى النزع والكرب الشديد، لا والد يدفع عنك ولا وليد، ولا عدة تنجيك ولا عديد، ولا عشيرة تحميك ولا قصر مشيد، أليس ذلك نازل بك على كل حال، إى وعزة الكبير المتعال، فإنك الآن حين ينفعك البكاء والاستكانة، قبل حلول الحسرة والندامة،وأنشدوا:

يا من يموت ويسأل ... عما يقول ويفعل
إن الموكل بالنفو ... س إذا أتى لا يهمل
والنار منزل من عصى ... والنار بئس المنزل

موعظة حسنة:

يا بن آدم بادر إلى حسن العمل، بينما أنت فى فسحة ومهل، وتب إلى مولاك من قبيح الخطايا والزلل، قبل أن يقال: فلان عليل، أو مدنف(١٥٣) ثقيل، فهل إلى دوائه سبيل، أو على طبيب دليل، فتدعى لك الأطباء، ويجمع لك الدواء، فلا يزيدك ذلك إلا بلاء، وقد اجتمع عندك الإخوان والأحباء، والأهل والأقرباء وكثر حولك البكاء، ثم يقال: حشرج ونفسه توشك أن تخرج، وأنت تعاين الأمر العظيم، بعد اللذة والنعيم، وعدلت ببصرك عن القريب والحميم، وحل بك القضاء، وخرجت الروح من الأعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فيا لها من سعادة أو شقاء، وأنشدوا:

(١٥٣) **مدنف**: أى أصابه المرض وثقل به حتى أشرف على الموت.

فلو يكن شيء سوى الموت والبلى ... وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقًا يا بن آدم بالبكا ... على نائبات الدهر مع كل مسعد

فاستعذ من ذنوبك يا مسكين، قبل عرق الجبين، وانتشار العرقين، وقبل مد الشمال وقبض اليمين، وتضعيف قوتك بالأنين، ويكثر حواليك البكا والحنين، وجرت دموعك لمفارقة الأهل والبنين، ولا ينفعك ما جمعت من الأموال فى الشهور والسنين، ثم أنت فى قبرك لملك رهين، إلى يوم عرضك على أسرع الحاسبين، قد تغير جسمك فى الجنادل والتراب، بعد تنعمك بدقائق الشباب، وأنشدوا:

من لم يطأ منا التراب برجله ... وطئ التراب بنضرة الخد
لو كشفت للناس أغطية البلى ... لم يعرفوا المولى من العبد
من كان بينك فى التراب وبينه ... شبران كان بموضع البعد

أسماء العباد:

ذكر فى بعض الأخبار أن لله سبحانه وتعالى شجرة فرعها تحت العرش مكتوب على كل ورقة من أوراقها اسم عبد من عبيده، فإذا جاء أجل العبد سقطت تلك الورقة التى فيها اسمه فى حجر ملك الموت فأخذ روحه فى الوقت، وأنشدوا:

إنى لعبت وحادى الموت فى طلبى ... وإن فى الموت شغل لى عن اللعب
لو شمرت مهجتى فيما خلقت له ... ما اشتد حرصى على الدنيا ولا كلبى
سبحان من لا شيء يعدله ... إن الحريض على الدنيا لفى تعب
لا تغترر بديار لا مقام بها ... واقصد لدارك إن الموت فى الطلب

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من يوم إلا وملكان يناديان: يا أهل الدنيا ولدتم للموت، وتبنون للخراب، وأنتم محاسبون ومعذبون عند ربكم»[١٥٤] وأنشدوا:

عجبت لجازع باك مصاب ... بأهل أو حميم ذى اكتئاب
شقيق الجيب داعى الويل جهلاً ... كأن الموت كالشيء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبى الله فيه لم يحابى
له ملك ينادى كل يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب
لمن نبنى ونحن إلى التراب ... نعود كما خلقنا من تراب

---

(١٥٤) **ضعيف**: ذكره العجلونى فى كشف الخفاء (٢/ ١٨٢) وضعفه الشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة (١/ ٥٢٩) وضعيف الألبانى فى ضعيف الجامع (٥١٨٩).

ألا يا مــــوت لـم أر منـك بـدًا ... أتيت فـلا تحـيف ولا تحـابى

كـأنك قـد هجـمت على مـشـيبى ... كما هجم المشيب على الشباب

قيل: مر رجل على خراب فسمع إنسانًا ينشد هذه الأبيات:

قل للذين بنوا ديارًا عـاليـه ... وتنافسوا والموت منهم دانيه

شـيـدتمـوها راغـبـين وأنتم ... تردوا القبـور وتتركـوها خـاليـه

أين الملوك وأين مـا قـد جـمعـوا ... وجيـوشـهم وعبـيدهم وزبانيه

تحت التـراب تقطعت أوصـالهم ... وأكـفـهم بعـد الأعنة باليـه

ثم قرأ: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ (سورة ص: ٦٧، ٦٨).

نـــوح وزهـــــده

ذكر فى بعض الأخبار أن جبريل عليه السلام هبط على نوح عليه السلام، قال: فوجده قد عمل خصا على البحر، فقال: إيش هذا يا نوح؟ فقال: يا جبريل هذا لمن يموت كثير، فقال له جبريل عليه السلام: لتأتين أمة أعمارهم من الستين إلى السبعين يبنون بالحصى والآجر والحجر، فقال نوح عليه السلام: ما كان على هؤلاء إنهم يستفون الرماد حتى يموتوا، وأنشدوا:

لو كنت تعقل يا مغرور ما برقت ... عـيناك من خـوف ومن حـذر

ما بال قوم سهام الموت تخطفهم ... يفـاخـرون برفع الطين والمـدر

عيسى والجمجمة(١٥٥):

روى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فقذفها برجله وقال: تكلمى بإذن الله تعالى: قالت: يا روح الله أنا مالك زمام كذا وكذا، بينما أنا جالس فى ملكى، وعلى رأسى تاجى، وحول جنودى وحشمى إذ بدا لى ملك الموت فأزال عنى كل عضو على حياله، ثم خرجت نفسى، فيا ليت ما كان من ذلك الجمع كان فرقة، وما كان من ذلك الأنس كان وحشة... فما ظنك يا عاصى بصفحة ملك الموت إذ بدت وعاينتها عند كشف الغطاء، فتنظر إليها بطرف كليل وقلب وجل، ثم تسل الروح للخروج فلا تخرج حتى تسمع نغمة ملك الموت، فإحدى البشارتين: أبشر يا عدو الله بالنار، أو: أبشر يا ولى الله بالجنة، وأنشدوا:

يخـيل لى بكاء القـوم حـولى ... وقـولهم: ألا أزف الرحـيل

ومـا يغنى البكاء إذا تقـضى ... لدى عـمـرى وإن كـثـر العـويل

فـخـذ للمـوت أهبـتـه فـإمـا ... نجـاة بعـد أو هول طويل

(١٥٥) هذا الجزء من أحاديث بنى إسرائيل وهو مما لم يرد فى شريعتنا.

عمرو بن العاص عند موته:

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه قال لابنه عند الموت: ليتنى ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت يخبرنى بما يجد، فقال له ابنه: قد نزل بك الموت فصف لى الذى تجد؟ فقال لى: يا بنى كأن جنبى فى تخت، وكأن غصن شوك يخرج من قدمى إلى هامتى، وكأنى أتنفس من سم(١٥٦) إبرة ثم مد يده وقال: اللهم لا قوى فأنتصر، ولا برىء فأعتذر، اللهم إنى مقر مذنب مستغفر ثم مات ﷺ، وأنشدوا:

للموت فاعمل بجد أيها الرجل ... واعلم بأنك من دنياك مرتحلُ
إلى متى أنت فى لهو وفى لعب ... تمسى وتصبح فى اللذات مشتغل
كأننى بك يا ذا الشيب فى كرب ... بين الأحبة قد أدى بك الأجل
لما رأوك صريعًا بينهم جزعوا ... وودعوك وقالوا قد مضى الرجل
فاعمل لنفسك يا مسكين فى مهل ... ما دام ينفعك التذكار والعمل
إن التقى جنان الخلد مسكنه ... ينال حورا عليها التاج والحلل
والمجرمين بنار لا خمود لها ... فى كل وقت من الأوقات تشتعل

سليمان وملك الموت

روى أنه ملك الموت كان صديقًا لسليمان عليه السلام، وكان يزوره أبدًا، فدخل يومًا وعنده رجل يكلمه سليمان، فجعل ملك الموت ينظر إلى الرجل الذى مع سليمان نظرًا منكرًا، فقال الرجل لسليمان بعد خروج ملك الموت: يا نبى الله من هذا الداخل عليك آنفًا؟ فقال: ملك الموت، فقال له: لقد رأيته يحد النظر إلىَّ، ولكن لى إليك حاجة، قال: وما هى؟ قال: تأمر الرحى أن تحملنى إلى الهند، فأمر سليمان الريح فحملته إلى الهند، ثم قال سليمان بعد أيام لملك الموت: وجدت عندى مذ أيام رجلاً فنظرت إليه نظرًا منكرًا؟ فقال ملك الموت: كنت أعجب منه، أُمرت بقبض روحه فى ذلك اليوم بجزائر الهند وهو عندك بالشام، فقبض روحه فى ذلك اليوم بالهند(١٥٧)، وأنشدوا:

الموت بحر يهاب المرء مورده ... وكل يوم له من كأسه جرعُ
لا صحة المرء فى الدنيا تؤخره ... ولا يقدم يومًا موته الوجع
وكل يوم علينا فى فجائعه ... طير يحوم فلا ندرى بمن يقع

---

(١٥٦) **سم**: ثقب الإبرة.

(١٥٧) روى هذه القصة أبو الشيخ فى العظمة (٣/ ٩١٨) وأبو نعيم فى الحلية بإسناد ينتهى إلى شهر ابن حوشب وهو ضعيف.

سعيد بن المسيب والجني:

روى أن سعيد بن المسيب دخل يومًا مسجد رسول الله ﷺ فجعل يلتفت في أركان المسجد يتفكر فيمن أدرك من أصحاب النبي ﷺ ثم بكى وجعل يقول:

ألا ذهب الحماة وأسلموني ... فوا أسفا على فقد الحماة

تولوا للقبور فأسقموني ... فوا أسفا على فقد الثقاة

فأجابه هاتف من ركن المسجد بصوت محزون، من كبد مشجون، وهو يقول:

فدع عنك الثقاة فقد تولوا ... ونفسك فابكها حين الممات

فكل جماعة لا بد يومًا ... يفرق بينهم وقع الشتات

فقال سعيد: من أنت فقد زدتني حزنًا؟ فقال: أنا من مؤمني الجن، كنا في هذا المسجد سبعين رجلاً فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتك، ولم يبق منهم غيري كما لم يبق من الإنس غيرك، وإنا بهم لاحقون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأنشدوا:

جرت الرياح على جميع ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد

فأرى النعيم وكل ما يلهى به ... يومًا يصير إلى بلى ونفاد

صلحاء الجن:

وذكر عن بعض العباد أنه كان يصلي فقرأ هذه الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ﴾ (آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧) وجعل يتدبرها ويرددها، فسمع قائلاً يقول: يا هذا كم تردد هذه الآية؟ فوالله لقد قتلت بها أربعة من الجن ما رفعوا رءوسهم إلى السماء قط حياء من الله تعالى، ولقد ماتوا من ترديدك هذه الآية، وأنشدوا:

ليس ينجو المقصوص من ملك المو ... ت إذا جاءه ولا الطيار

للمنايا وإنما للمنايا ... خلق الطفل والشيوخ الكبار

كم رأينا من سادة وملوك ... ما على الأرض منهم ديار

العبد وربه:

حكي عن بعض العارفين أنه قال: إن الله سبحانه وتعالى يسر إلى عبده سرين يخبره ذلك بإلهام يلهمه: أحدهما إذا ولد وخرج من ظلمة بطن أمه يقول له: عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرًا نقيًا نظيفًا، وسر عند خروج روحه يقول له: عبدي ما صنعت في أمانتي عندك؟ هل حفظتها حتى تلقاني على الوفاء والعهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء، أو ضيعتها فألقاك بالمطالبة والعذاب؟ وأنشدوا:

يا من تقـــــدم جـــــده وأبـوه | وصــديقــه سكن الثـرى وأخــوه
وغـــــــدا إلى دار البـلـى أتـرابـه | ومــضى إلى حــفـر القــبـور بنوه
ورأى مـــصــــارع إخـــوة وقـــرابة | بيـن الثـــــرى فى برزخ سكـنـوه
ألا أتيت قـبـــورهم فـســألتــهـا | عنهم وعن مـا فى القـبـور لقـوه
فلتـــخـــبـــرنك أن أحكام البلى | تجـــرى عليـــهـم همـــو وطنوه
وليـخـبـرنك أنهم وجـدوا الذى | عـملوه مكتـوبًا كـمـا عـملوه
مـا زادت الحـفظاء فى أعـمـالهم | مـثـقـال خـردلة ولا نقـصـوه
يا معـشـر الإخـوان إن سـبـيلكم | كـسـبـيلهم فى كل مـا سلكوه
ولكم نصيب فى البلى كنصيبهم | وكـــأنه قـــد حل فـــانتظروه
ومـحـجب قـد غـرهم بحجـابه | لمـا أتاه المـوت مـا حـجـبـوه
لكنهم سـجــوه فـوق سـريره | وتـكـفـلـوه بـأربـع حـــــملوه
ســاروا به حـــتى إلى دار البلى | بيت له تحت الثـرى قـبــروه
حـتى إذا مـا غـيـبـتـه أكـفـهم | بين الجنادل فى الثـرى تركـوه
وتفــرقـــوا عن بابه وتبـــدلوا | بابا ســواه وغـــيـــروا ونســـوه

عمر بن الخطاب وعظته:

روى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: أكثروا من ذكر هاذم اللذات فإنكم لا تذكرونه فى قليل إلا كفى وأجزى، ولا فى كثير إلا قلله.

فالله الله عباد الله اجتهدوا واستعدوا للموت، وبادروا آجالكم قبل الفوت، تفوزوا بالجنان فى دار الرحمن، وأنشدوا:

لملك المـوت فى الدنيـا ديون | تحل فليس يمطلهـا المطول
وكل العـالمـين بهـا ملىٌّ | فليس له على أحـد جـمـيل
ســواء إذ يحل على غـريم | عليـه ذوو التـعـزز والذليل

فالله الله معاشر المسرفين لا تغتروا بالعز والمال، فإن الموت لا يهاب الكبير الجليل، ولا يرحم الحقير الذليل، فكونوا منه على حذر وأعدوا له صالح الأعمال، من قبل أن يأتى يوم لا حيلة فيه لمحتال، يا إخوانى إلى كم هذه الغفلة؟ إلى كم هذا التمادى فى البطالة والاغترار بالمهلة؟ وأنشدوا:

يا أيهـا الناس كـان لى أمل | قـصـر عن بلوغـه الأجل
مـا أنا وحـدى نقلت حيث تروا | كـل إلى مـثـله ينتـقـل
فـليـتـق الله ربـه رجـل | أمكنه فى حـيـاته العـمـل

حث النبى أصحابه على ذكر الموت:

روى أن النبى ﷺ كان فى بيت بعض نسائه إذ سمع صوتًا فى مجلس من مجالس أصحابه وقد استعلى على حديثهم الضحك، فخرج عليهم ﷺ حتى قام على رءوسهم فقال: «أرى الضحك قد غلب على مجلسكم هذا، أفلا تذكرون مكدر اللذات فى أثناء حديثكم؟» قالوا: وما مكدر اللذات يا نبى الله؟ قال: «ذكر الموت» فبكى أصحاب رسول الله ﷺ بأجمعهم(١٥٨).

فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مصابيح الإسلام، وقادة الأنام، السادة الكرام، رجع ضحكهم بكاء من هول يوم الحمام، وقد أفنوا أعمارهم فى طاعة ذى الجلال والإكرام، وقطعوا أيامهم فى العمل بالسنة والأحكام، فكيف بمن تمادى فى المعاصى والإجرام، والطغيان والآثام، وأكلوا الربا والحرام، وأموال الضعفاء والأيتام؟ وأنشدوا:

الموت فى كل حين ينشر الكفنا ... ونحن فى غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا وزهرتها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين همو كانوا لنا سكنا
سقاهم الدهر كأسًا غير صافية ... فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

فالله الله يا معاشر المذنبين لا تشغلوا عمن يطلبكم، ولا تنسوا من لا ينساكم، وقد خلقكم الله تعالى وخلق آجالكم، من قبل أن تأتى ساعة السكرات، والندم على ما فات، فهيهات هيهات ثم هيهات هيهات، وأنشدوا:

اسمع فقد أسمعك الصوت ... إن لم تبادر فهو الفوت
بل كل ما شئت وعش سالمًا ... آخر هذا كله الموت

يا أخى إذا جاءك الموت لا ينفعك ما جمعته، ولا ينجيك ما اكتسبته، فامهد لنفسك قبل مفارقة الأحباب والجيران والأصحاب، والخروج من الديار إلى منازل الدود والتراب، وبيوت الوحشة والعذاب، إلا أن يعفو الملك الوهاب، فتفكروا يا أولى الألباب، يا معشر الشيب والشباب، وأنشدوا:

مضى أمسك الماضى شهيداً معدلا ... وأعقبه يوم عليك شهيد
فإن تك بالأمس اجترحت إساءة ... فبادر بإحسان وأنت حميد

---

(١٥٨) ذكره الغزالى فى الإحياء (٤٤٣٥) وذكره الحافظ العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/ ١٢٢) وقال: رواه ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا مرسلاً ورويناه فى آمال الخلال من حديث أنس ولا يصح.

ولا تبق فعل الصالحات إلى غد لعل غداً يأتى وأنت فقيد
إذا المنايا أخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعود

ذكر الموت والعمل:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما أكثر رجل ذكر الموت إلا زاد ذلك فى عمله»(١٥٩) فيا إخوانى! أكثروا لعل الله أن يهونه عليكم، ويرحمكم عند نزوله بكم، واجعلوا الموت عند منامكم (مهاداً) وعند قيامكم (سهاداً) واستعدوا بكثير الحسنات، واجتناب الأوزار والسيئات، فرحم الله امرأ رحم نفسه، ونظر إليها وذكر رمسه، وأنشدوا:

نغص الموت ويحكم كل طيب ودهانى بفقد كل حبيب
كم وكم قد رأيت من حدث السن عزيز كغصن بان رطيب
حسم بالموت فانثنى بانكسار واضعًا خده بذل عجيب
قائلاً إخوتى سلام عليكم إذ دنت شمس مدتى بالمغيب

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أكثر رجل ذكر الموت إلا ترك الفرح والحسد والرغبة»(١٦٠) يا أخى لو كان عندنا علم أنه لا يموت منا إلا رجل واحد لا يعلم من هو فينا، لكان الواجب علينا أن لا ترقأ لنا دمعة خوفًا من الموت، فكيف ونحن على يقين أنه لا يبقى منا أحد، وأنشدوا:

يلقى الفتى حذر المنية كارها منها وقد حدقت به لو يشعر
نصبت حبائلها له من حوله فإذا أتاه يومه لا ينذر
إن امرأ أمسى أبوه وأمه تحت التراب لواجب يتفكر
تعطى صحيفتك التى أمليتها فترى الذى فيها إذا ما تنشر
حسناتها محشوة قد أحصيت والسيئات فأى ذلك أكثر

فابكوا معاشر المذنبين على ساعة لا بد منها، أما ترون الموت قد أفنى الأمم الماضية، وقتل القرون الخالية، وهدم القصور العالية، عطل عشارهم، وخرب ديارهم، وهدم منازلهم، وقطع آثارهم، وقطف أعمارهم، ولم ينفعهم ما جمعوا، ولم يحصنهم ما بنوا وصنعوا قد صاروا فى القبور رميمًا، ولقوا من الموت والأحوال أمرًا عظيمًا، فهذا دليل على أن الموت لا يترك أحداً من المخلوقين، حتى يتوفاهم وينقلهم إلى التراب أجمعين.

---

(١٥٩) **ضعيف جدًا**: ذكره الحافظ العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/ ١٢١) وعزاه لابن أبى الدنيا وقال: بإسناد ضعيف جدًا.

(١٦٠) انظر التخريج السابق.

حكاية في الزهد:

روى عن عمرو بن مرة أنه قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأثنوا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «كيف زهده فى الدنيا وتركه لما يشتهى منها؟» قالوا: إنه ليصيب منها، قال: «فكيف ذكره للموت؟» قالوا: ما سمعناه يكثر ذكره، قال: «ليس صاحبكم هناك»(١٦١) فمن لا يكثر ذكر الموت، ولا يترك الرغبة فى حطام الدنيا، فلا خير فيه والله أعلم، وأنشدوا:

إنما الدنيا بلاغ	ليس فى الدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت	نسجته العنكبوت
ليس للطالب فيها	كل يوم غير قوت
كل من كان عليها	عن قليل سيموت

فالله الله بادروا العمر اليسير، والأجل القصير، قبل نزول ملك الموت بالهول العظيم الكبير فالموت يقصم الأصلاب، ويذب الرقاب، ويرد كل مخلوق إلى التراب، ويقرب المؤمن الطائع إلى الجنة المآب، ويسوق الفاجر العاصى إلى أليم العذاب، فتفكروا فى الموت يا أهل الفناء والذهاب، وأنشدوا:

هل للفتى من عثار الدهر من واق	أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلونى، ما بالشعر من شعث	ولبسونى ثيابًا غير أخلاق
وكفنونى وقالوا أيما رجل	وأدرجونى كأنى طى مخراق
هون عليك ولا تولع بإشفاق	فإنما مالنا للوارث الباقى

عظة ابن مسعود:

روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ليس بغافل ولا ذاكر للموت من عد غداً من أجله، فرب مستقبل يومًا لا يستكمله، ومؤمل غداً لا يبلغه، لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم الأمل وغروره، فيا عجبًا للفروع ذهبت أصولها، وللنجوم قد آن أفولها

الداء والدواء:

روى أن رجلاً جاء إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقال: يا أم المؤمنين إن بى داء فهل عندك دواء؟ قالت: وما داؤك؟ قال: القسوة، قالت: بئس الداء داؤك، عد المرضى واشهد

---

(١٦١) **ضعيف**: رواه ابن المبارك فى الزهد (١/ ٩٠) وابن أبى عاصم فى الزهد (١/ ٣٩٥) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٩): رواه البزار وفيه يوسف بن عطية وهو متروك.

الجنائز وتوقع الموت، فالله الله يا أعراض المنية، ويا أبواب الرزية، لا تنسوا الموت الذى كتبه الله على العباد، مخرب الأقطار والبلاد، وكونوا منه على حذر واستعداد، يا أبدان الأسقام، ويا أعراض الحمام، وأنشدوا:

من كان يعلم أن الموت مدرجه والقبر منزله والبعث مخرجه
وأنه بين حيات ستنهشه يوم القيامة أو نار تنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج وما أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنًا لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

* * *

عظة عمر بن عبد العزيز:

روى عن عمر بن عبد العزيز ﷺ أنه كان يقول: أيها الناس ما الجزع مما لا بد منه، وما الطمع فيما لا يرجى فيه، وما الحيلة فيما لا يزول، وإنما الشيء من أصله، وقد مضت من قبلنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفروع بعد الأصل، فكل ما هو آت قريب، أيها الناس إنما أنتم فى الدنيا أغراض، تتنصل فيكم المنايا، ونهب للمصائب، ومعدن للنوائب، مع كل أكلة غصص، ومع كل شربة شرق، ألا تنالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يعمر فيكم معمر لا يهدم آخر من أجله، وأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم، فأين المهرب مما هو كائن؟ فالله الله يا إخوانى لا تركنوا إلى طول الأمل، ولا تنسوا اقتراب الأجل، فالموت لا بد منه، وأنشدوا:

آه على سفرة بغير إياب آه من حسرة على الأحباب
آه من سكرة بغير شراب آه من ركبة بغير ركاب
آه من مضجعي وحيداً فريداً بين فرش من الحصى والتراب

يا إخوانى هل رأيتم أحداً خلد فى الدنيا حتى تكونوا مخلدين؟ أم أنتم من الرحيل إلى الآخرة على شك فتكونوا بالقرآن كافرين؟ فوالله لو كان الأمر كذلك لخلد خاتم النبيين، لقد رانت على قلوبكم سترة الغافلين، واستحوذ على نفوسكم كيد الشيطان اللعين، حتى نسيتم الموت المفرق لجمع الجامعين، وأنشدوا:

ليس دوام البقاء للخلق لكن دوام البقاء للخلاق
غلب الموت حيلة كل محتا ل واعى بدائه كل راق
عطفت شدة الزمان فأدته إلى فاقة وضيق خناق
لا يغرنك الغرور من الدنيا فمنها شدائد بسياق

القرآن والموت واعظان:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تركت فيكم واعظين: ناطقًا وصامتًا، فالناطق القرآن والصامت الموت» مساكين فلا بالقرآن عملتم، ولا فى الموت تفكرتم، تمسون وتصبحون وقلوبكم معلقة بعلائق الدنيا ما عندكم من الموت خبر، ولا أنتم منه على حذر، قلوبكم خالية من خوف الرحمن، عامرة بخدوع الشيطان، كأنكم قد أمنتم الموت وطوارق الحدثان، وأنشدوا:

ركبت جموح الغى فى سبل الصبا ... لم تدر أن النائبات تنوب
وجررت أذيال البطالة لاهيًا ... كأنك لم يكتب عليك ذنوب
أمليت كتاب الشمال صحائفا ... بكثرة ما تأتى ولست تتوب
ومهما يغب عنك الحمام لمدة ... ستبلغها حتمًا وأنت كئيب
فقل لى إذا وافى على غير أهبة ... بأى جواب إن دعيت تجيب

فالله الله عباد الله عظوا أنفسكم بآبائكم وأحبابكم، وجيرانكم وإخوانكم، فإن فى ذلك بلاغًا لمن تذكر، وعبرة لمن تفكر، إخوانكم كانوا بالأمس معكم يأكلون ما تأكلون، ويلبسون مما تلبسون فأصبحوا اليوم وقد صارت القبور لهم بيوتًا، وصاروا بين أطباق الثرى خفوتًا، قد قسم الوارث أموالهم، ونكح العدو والصديق عيالهم، وأهان العدو أطفالهم، قد هتكت منهم الأستار، واستوحشت منهم الديار، وتحدثت عنهم الأخبار، وأنشدوا:

رأيت الموت لا يبقى خليلاً ... على خل وإن عاشا زمانا
فكن منه على حذر فإنى ... رأيت الموت لا يعطى أمانا
أنسنا غرة منه كأنا ... بما نعنى به يعنى سوانا
وكم للموت من دار ودار ... أبان عميرها عنها فبانا
فكم ذى نخوة وعزيز قوم ... أذل الموت عزته فهانا
كأنا قد نظرنا عن قريب ... إلى ما قد وعدناه عيانا

شدة الموت:

روى عن رسول الله ﷺ أنه ذكر الموت وغمه وكربه فقال: «هو أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف»[١٦٢] فيا معشر الموقنين بنزوله ما هذه الفترة، وما هذه السكرة؟ من ذكر الموت قل فرحه وحسده ورغبته.

---

(١٦٢) لم أعثر عليه.

روى عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا رأى فترة أو غفلة من الناس وقف بباب المسجد فأخذ بأعضاد الباب ثم صاح بأعلى صوته: «يا أيها الناس الموت الموت جاءكم الموت بالوحية سعادة أو شقوة، جاءكم الموت بما جاء به الروح والراحة، والكرامة الرابحة، فى جنة عالية، لأولياء الله من أهل دار الخلود الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت، جاءكم الموت بما جاء به بالخزى والندامة، والمكرمة الخاسرة فى نار حامية لأولياء الشيطان من أهل دار الغرور الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت، فسابق ومسبوق»(١٦٣).

فالله الله يا إخوانى كونوا من السابقين ولا تكونوا من الخاسرين، وكونوا من الموت على تحقيق ويقين، وأنشدوا:

أراك بما ترضى به النفوس والهوى ... ويغضب منه الله صرت تدين
وقلبك لا يزداد إلا قساوة ... فداركه بالذكرى عساه يلين
فإن كنت فى شك من الموت فاعتبر ... بمن قضى يزداد منك يقين
كأنى بك استغرقت فى غمراته ... وجاءك من بعد الحراك سكون
وقد حشرجت فى الصدر منك وأسبلت ... بأدمعها تجرى عليك عيون
فقل لى إذا وسدت ويحك فى البلى ... وهيل عليك الترب كيف تكون

تمنى الموت:

عباد الله تذاكروا أعماركم قبل الفوت، وتأهبوا لأهوال غُصَصِ الموت.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا تتمنوا الموت، فإن هول المطلع شديد، وإن من سعادة المرء أن يرزقه الله تعالى الإنابة إليه ويطيل عمره»(١٦٤) فإنا لله وإنا إليه راجعون على من طال عمره، وساء عمله ولا تنفعه الموعظة، فمن كان منا كذلك فقد عظمت خسارته، وما ربحت تجارته، وأنشدوا:

نودى بصوت أيما صوت ... ما أقرب الحى من الموت
كأن أهل الحى فى غيهم ... قد أخذوا أمنًا من الموت
كم من صحيح عامر بيته ... لم يمس إلا خارب البيت
كم وكم حى بكى ميتًا ... فأصبح الحى مع الميت

---

(١٦٣) لم أعثر عليه.

(١٦٤) **ضعيف**: رواه أحمد (١٤١٥٤) وضعفه الألبانى فى الضعيفة (٨٨٥).

دعاء مجرب:

اللهم يا أكرم الأكرمين، تفضل علينا وعلى جميع المذنبين، بتوبة تنقلنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذل ولا تباعة، على منهاج أهل السنة والجماعة الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة، اللهم إن الطاعة بقدرك والمعاصى، وفى قبضتك القلوب والنواصى، فطهر قلوبنا بماء التوبة، واغسلها من دنس الحوبة ومتعنا بالسلامة فى ديننا ودنيانا ما أبقيتنا، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذا هديتنا، وصلى الله على محمد خاتم النبين، وخير المرسلين، واحشرنا تحت لوائه أجمعين، على منهاجه وسنته غير مبدلين ولا مغيرين موفقين معصومين غير مغضوب علينا ولا ضالين، يا أرحم الراحمين، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، والله أعلم.

* * *

المجلس الحادى عشر: فى موت الأنبيــــاء والأولياء الصالحين:

وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (آل عمران: ١٨٥)

معاشر الموتى وأبناء الموتى أنتم موتى بلا محالة وإنما سبقكم إخوانكم إلى مناخ القبور، فإذا استكمل ولد آدم من أولهم وآخرهم قام الكل للعرض والنشور، على الملك الغفور، فاستعدوا لذلك المقام، واجتنبوا الأوزار والآثام وبادروا بالتوبة قبل نزول الحِمَام.

صــــفة المــــوت:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «الموت غضن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل أخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ، وأبقى ما أبقى» وأنشدوا:

يا من ســـينأى مـــســـرعًـــا ... كـــمـــا نأى عنه أبوه
مـــثل بقلبك قـــولهم ... جـــاء اليـــقـــين فلقنوه
وتحللوا من ظلمـــه ... قـــبل الفـــراق وودعـــوه

فالله الله عباد الله لا تضيعوا أعماركم فى الباطلات، ولا تفنوا أيامكم فى الجهالات، واذكروا الموت مفرق الأحباب، وقاطع الأنساب، ومذب الرقاب، وقاصم الجبابرة والأرباب، مهلك الآباء والأمهات، وقاتل الإخوة والأخوات، ومبيد الجيران والقرابات، الموت يقطع أموالكم، ويغير أحوالكم، ويرمل نساءكم، وييتم أطفالكم، فلا يبقى منكم خليلاً، ولا حبيبًا، ولا جاهلاً، ولا أديبًا، وأنشدوا:

المـــوت أفنى من مـــضى ... والمـــــوت يفنى من بقى
والمـــوت يجـــمع فى الثـــرى ... بين المنعم والشـــــقى

يا مسكين أنفقت مالك فى بنيان الدور، وتشييد القصور، ونسيت الموت والتحول إلى ظلمة القبور، ثاويًا فيها إلى يوم النشور، وأنشدوا:

ألا للخـــراب بنى العـــامـــرونا ... وللمـــوت مـــا ولد الوالدونا
وعـــمـــا قليل يرى الآخـــرون ... عـــجـــائب مـــا قـــد رأى الأولونا
ويشـــقى أناس بمـــا جـــمـــعـــوا ... ويســـعـــد بالقلة الزاهدونا
ولا يرحـــمـــون إذا مـــا بكوا ... ولا يرتجى الرحـــمـــة الظالمـــونا
ويســـأل قـــوم هناك الرجـــوع ... فـــلا يرجـــعـــون ولا يكرمـــونا

اعلم أن المنية خير من الحياة الدنية، يا بن آدم الرقاد والله تحت التراب، خير لمعصيتك لرب الأرباب.

عظـــة المـــوت:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «كفى بالموت واعظًا، وكفى بالعبادة شغلاً، وكفى باليقين غنى»(١٦٥) واعلموا عباد الله أنه لا أمة بعد أمتكم، ولا نبى بعد نبيكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم، ثم يجمعون فى عرصة القيامة، لوقوع الحسرة والندامة، عند ذلك لا ينفعكم مال ولا بنون، ويحال بينكم وبين ما تشتهون، ويحيق بكم ما كنتم به تستهزئن، وأنشدوا:

كـــل حـــى وإن بـــقـــى ... فـــمن المـــوت يســـتـــقى
فـــاعـــمل اليـــوم واجـــتـــهـــد ... بـــادر اليـــوم يـــا شـــقـــى

أبو العتاهية الشاعر:

ذكر عن أبى العتاهية رحمه الله أنه دخل يومًا على الرشيد فقال له الرشيد: أنشدنى، فقال: اجعل لى الأمان، قال: أنت آمن، فأنشأ وأنشد:

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس ... وإن تسترت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة ... لكل مـــدرع منا ومـــتـــرس
مـــا بال دينك ترضى أن تدنســـه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس

فاعلموا يا معشر بنى آدم أن الموت لا يؤاخذ منكم أحداً، ولا يرحم والداً ولا ولداً، فاجعلوه بين أعينكم منصوبًا، فإنه لا يترك الفرح كئيبًا مكروبًا، فيقيننا يقين من يموت، وأعمالنا أعمال من لا يموت، كأن يقيننا بالموت مشوب بالشك، وكأن إيماننا بالبعث ممزوج بالإفك، ما هذه حال من أيقن بالحمام، يعصى مولاه فى الليالى والأيام، وأنشدوا:

نحن من العـــمـــر فى ظنون ... وفى يقـــيـــن من المنون
ثمت لا نذكـــر المنايا ... أليس ذا غـــايـــة الجنون

مثل الدنيا والموت:

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال: رأيت فى المنام رجلاً وهو فى برية وأمامه غزالة يجرى خلفها وهى تفر منه، وأسد كأعظم ما يكون خلفه وقد هم أن يلحقه، والرجل يرد

(١٦٥) **ضعيف جدًا**: رواه البيهقى فى الشعب (٧/ ٣٥٣) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٤١٨٥).

رأسه وينظر إلى الأسد فلا يجزع منه، ثم يجرى خلف الغزالة حق لحق به الأسد فقتله، فوقفت الغزالة تنتظر إليه وهو مقتول، إذ جاء رجل آخر قد فعل ما فعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزالة، فخرج آخر ففعل كذلك، قال: فما زلت أعد واحداً بعد واحد حتى عددت مائة رجل صرعى والغزالى واقفة، فقلت: إن هذا لعجب!، فقال الأسد: مم تعجب؟ وما تدرى من أنا؟ ومن هذه الغزالة؟ فقلت: لا، فقال: أنا ملك الموت وهذه الغزالة الدنيا، وهؤلاء أهلها يجدُّون فى طلبها وأنا أقتلهم واحداً بعد واحد حتى آتى على آخرهم، فاستيقظ فزعًا مرعوبًا، وأنشدوا:

حتى متى وإلى متى نتواني؟	وأظن هذا كله نسيانًا
والموت يطلبنا حثيثًا مسرعًا	إن لم يزرنا بكرة مسانا
إنا لنوعظ بكرة وعشية	وكأنما يعنى بذاك سوانا
غلب اليقين على التشكك فى الردى	حتى كأنى قد أراه عيانًا
يا من يصير غداً إلى دار البلى	ويفارق الإخوان والخلانا
إن الأماكن فى المعاد عزيزة	فاختر لنفسك إن عقلت مكانا
وانظر لنفسك إن أردت تعزها	قبل الممات ولا تكن مهوانًا

واعلموا عباد الله أن ما من جماعة وإن كثرت إلا والموت يقللها حتى يفنيها عن آخرها، وإنما أعمارها عوارٍ والعارية لا تبقى، يرجع الكل إلى الله تعالى يفصل بينهم بالحق وهو خير الفاصلين، فشقى وسعيد، ومنعم ومعذب، وأنشدوا:

وما أهل الحياة لنا بأهل	ولا دار الفناء لنا بدار
وما أموالنا إلا عوار	سيأخذها المعير من المعار

ملاقاة الأرواح:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا عرج بروح المؤمن تلقته أرواح المؤمنين بالرحمة والبشرى كما يتلقى الغائب فى الدنيا، ثم يقبلون عليه فيسألونه فيقولون: ما فعل فلان وما حاله؟ فيقول: بخير تركته والله على طريقة حسنة.

فيقولون: يا ربنا أنت هديته لذلك فثبته عليه حتى تقبضه، وإن سألوه عن إنسان قد مات فيقول: قد هلك.

فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، عمل والله بغير عملنا فسلك به غير طريقنا، ذهب والله به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية»(١٦٦).

(١٦٦) ضعيف جدًا: انظر السلسلة الضعيفة للألبانى (٨٦٤).

أعمال الأحياء والأموات:

قال رسول الله ﷺ: «تعرض على الموتى أعمالكم، فإن رأوا خيراً استبشروا به وقالوا: اللهم هذه نعمتك فاتمها على عبدك، وإن رأوا سيئة اغتموا لها وقالوا: اللهم راجع بعبدك» قال رسول الله ﷺ: «فلا تحزنوا أمواتكم بأعمالكم السيئة فإن أعمالكم تعرض عليهم»(١٦٧) فالله الله عباد الله اجتهدوا فى اكتساب الحسنات، واجتنبوا فى ليلكم ونهاركم السيئات، فإن ذلك محزن الأهل والأقربين من الأموات، واعملوا فى صحتكم قبل السقم، وقدموا فى شبابكم قبل الهرم، فإن الموت إذا جاء لا يرجع وسهامه إذا فَرّقَهَا لا تدفع، وكأسه إذا أدارها لا تنزع، حياضه موروده، وساعاته معدودة، وأهواله مشهودة والحيلة عند نزوله مفقودة غير موجودة، وأنشدوا:

الموت حتم حوضه مورود	والموت يفنى جمعنا ويبيد
والموت يحكم فى النفوس بحتفها	وله على تنفيذ ذاك جنود
والموت يفسد مهجة الملك الذى	قد عززته عساكر وجنود
وقلوبنا فى كل ذا مشغوفة	حبا لدار زهرها معقود
وإلى متى تهوى الذى هو هلكها	وإلى متى لا تنثنى وتعود

الله الله يا أعراض المنية، ويا أبواب البلية، ويا معادن الرزية، أفيقوا من هذا الوسن، قبل أن تزودوا من أموالكم بحنوط وكفن، إذا تبرأ منكم الحبيب، وأنكر معرفتكم القريب، وصار كل واحد منكم كأنه أجنبى وغريب، وأنشدوا:

الموت باب وكل الناس داخله	فليت شعرى بعد الباب ما الدار؟
الدار دار نعيم إن عملت بما	يرضى الإله وإن خالفت فالنار

المثابرة:

يا أخى بالله عليك لو أتاك الحمام ولك ملك الدنيا أما كنت تختار عيش يوم بالجميع؟ فبادر ما دمت فى فسحة من العمر، قبل أن يضيق عليك الأمر، لو صيح بك الليلة أجب الداعى أما كنت نادماً على ما قدمت؟ وباكياً على ما فرطت؟، وأنشدوا:

الموت بحر طامح موجه	تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إنى قائل فاسمعى	مقالة من مشفق ناصح
ما يعجب الإنسان فى قبره	مثل التقى والعمل الصالح

(١٦٧) ضعيف: قال ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٩١١): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وسلام وهو الطويل وقد أجمعوا على تضعيفه، وقال النسائى والدارقطنى: متروك وقال ابن الجوزى: وقد روى عن أيوب موقوفاً.

فالله الله عباد الله استعدوا للموت، فكأنه نزل بكم فأرمل النسوان، وأيتم الولدان، وفرق الإخوان، فوالله يا أيها الإنسان وإنما أنا وأنتم ذلك الإنسان، لو لم يكن ماء ولا ظلال، ولا جواب ولا سؤال، ولا نعيم ولا ثواب، ولا جحيم ولا عقاب، لكان في الموت وسكرته، والقبر وظلمته، واللحد وضغطته، ما يمنع العاقل اللبيب، عن كسب الخطايا والذنوب، فكيف ومن وراء ذلك هول مهول، وشرح يطول، من الصور ونفخته، والنشور وروعته، والصراط ورقته، ومساءلة الله تعالى للعبد وتوبيخه، فمت يكون جوابك أيها المغرور، إذا وقفت بين يدى العالم الغفور، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؟ فأظهر لك قبائحك، ونشر لك فضائحك واستشهد عليك جوارحك، فإن عفا عنك فأنت من الفائزين، وإن طالبك بما قدمت يداك فأنت من الخاسرين، عفا الله عنا أجمعين، وغفر لنا ذنوبنا فهو خير الغافرين آمين رب العالمين، وأنشدوا:

من كان يرجو أن يعيش فإننى   أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا
في الموت ألف فضيلة لو أنها   عرضت لكان سبيله أن يعشقا

قبض أرواح الصالحين:

ذكر في بعض الأخبار عن بعض السلف الأخيار عن النبى المصطفى المختار أن الله عز وجل إذا أراد قبض روح عبده الكريم عليه ـ وهو التقى لأنه بالتقوى كرم عليه ـ دعا بملك الموت فقال: اذهب يا ملك الموت إلى عبدى فلان فأتنى بروحه ليرتاح عندى، فحسبى من عمله أنى قد بلوته فى السراء والضراء فوجدته حيث أحب، فيذهب ملك الموت فيأخذ من مسك الجنة الأذفر وحريرها الأبيض فيهبط به، ويهبط فى أثره خمسمائة ملك ليس منهم ملك إلا ومعه بشارة من الله تعالى إلى ذلك الولى، وليس منهم ملك يدرى ما مع صاحبه من البشارة، وليس منهم ملك إلا ومعه ضبائر من الريحان ـ يعنى جِزَمًا من الريحان ـ من ريحان الجنة، فإذا هبطوا أحدقوا بولى الله، وجلس ملك الموت عند رأسه، ونفث فى وجهه سم الموت فصرعه ويقول له: يا ولى الله ارتحل من الدنيا فليست لك دار، وليست لك بوطن، ولا بد لك يا ولى الله أن تذوق كما ذاق إخوانك من قبلك، قال: فملك الموت ألطف باستخراج نفسه من الوالدة بولدها، فإذا أذنت نفسه بالخروج، وكانت عند ذقنه أكب عليه الذين جاءوا مع ملك الموت وهم خمسمائة ملك يخبرونه بالبشارة التى أرسلهم الله بها إليه، وليس منهم ملك إلا وهو يضع على كل طائفة من جسده من ضبائر الريحان الذى جاءوا به، فإذا خرجت نفسه لفها ملك الموت فى ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر، ثم يعرج بها إلى السماء وتثبت الملائكة الذين بشروه عند جسده عند أهله.

ملائكة الرحمة:

فإذا دنا من السماء تلقاه جبريل عليه السلام فى سبعين ألف موكب من الملائكة فأخذ الروح منه جبريل عليه السلام فعرج به حتى يضعه بين يدى الجبار تبارك وتعالى، فيقول جل جلاله وتعالى - ليس كمثله شيء - لجبريل عليه السلام: اذهب فدع ولى الله فى سدر مخضود وطلح منضود، فإذا حمل الرجل إلى سريره هبط خمسمائة ملك آخرون سوى الذين جاءوا مع ملك الموت فيجلسوا صفين ما بين منزله إلى قبره يستقبلون جنازته بالاستغفار، وإذا أدلى فى قبره وحثى عليه التراب وولى القوم جاءته الصلاة فكانت عن يمينه، وجاءه الصوم فكان عن شماله وجاءه ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فكانا عند رأسه، وجاءه مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلم وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقة فكانوا عند رجليه، وجاءه الصبر على ما يكره وعلى ما يحب فلم يجد مجلسًا فيجلس فى ناحية من نواحى قبره، فيخرج له من قبره عنق من العذاب فيأتى عن يمينه، فتقول له الصلاة: إليك عنى لا سبيل لك عليه، إنما استراح ولى الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة، ثم يأتى عن شماله فيقول الصيام: إليك عنى لا سبيل لك إليه إنما استراح ولى الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة، ثم يأتى عند رجليه فيقول له مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلماء وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقة: إليك عنا لا سبيل لك عليه إنما استراح ولى الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة، قال: فلما لم ير شيئًا انقمع ودخل فى الموضع الذى خرج منه فيقول الصبر لهؤلاء: أما إذا كفيتمونى عذاب القبر فسأكفيكموه عند الميزان إذا نصب.

سؤال الملكين:

قال: ثم يخرج الله إليه منكرًا ونكيرًا وهما ملكا القبر أسودان أزرقان يبحثان القبور بأنيابهما، ويطآن فى أشعارهما، كلامهما مثل الرعد القاصف، وأبصارهما مثل البرق الخاطف، وأنفاسهما مثل لهب النار، وألوانهما مثل الليل المظلم، فيقولون: من ربك، وما دينك؟، ومن نبيك؟ فيقول: الله ربى، ودينى الإسلام، ونبيى محمد ﷺ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان له: قد علمنا أنك ستكون مؤمنًا، فيفتحان له بابًا إلى النار فينظر إلى ما أعد الله فيها لأهل المعصية من النقمة والعذاب، قال: فيرفعان ذلك الباب دونه، ثم يقولان له: لا تخف يا ولى الله من هذا الباب أبدًا، ثم يفتحان له بابًا إلى الجنة، فينظر ما أعد الله لأهل طاعته من الخير الدائم المقيم، الذى لا زوال له ولا انقطاع، فيقولان له: يا ولى الله هذا دارك وقرارك ومنزلك.

نعيم القبر:

قال: فذلك الباب مفتوح إلى قبره إلى يوم القيامة يخرج من ذلك الباب إلى قبره ريح الجنة وروحها وبردها ويوسعان له قبره مد بصره، ثم يقولان له: يا ولى الله نم، فينام نوم العروس فى حجالها حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة إلى أزواجه وحرمه، ألا ترى أيها الغافل عن طاعة ربه المصر على ذنبه إلى هذا الولى الذى صار إلى قبره وخرج عليه نوع من عذاب ربه، وأن أعماله الصالحة كانت جنوداً حوله فلم يجد العذاب دونها مدخلاً إليه؟ ولولا قيامها حواليه لكان عذاب الله واصلاً إليه، فلو لم يكن بطاعة الله عاملاً، ولم يجعل المولى بينه وبين عذابه حائلاً، ومن لم يكن بينه وبين النار حائل، فالهلاك والحرق له حاصل، والعذاب والذل إليه واصل، فكل من زعم أنه مؤمن بالله عز وجل ورسوله وكتابه، ولم يجعل العمل الصالح وقاية بينه وبين عذابه، فقد تعرض لهلاكه وعقابه، لأنه لم يجعل حائلاً بينه وبين جسده وكل موضع أمر الله سبحانه وتعالى باتقائه فى كتابه، فإنما هو تحذير من عذابه، وأنشدوا:

المـــوت أهنأ للمطيع وأصلح	والمـوت أطيب للتـقى وأنجح
والمـوت أقـرب للجنان طريقـة	والعـبـد يكرمـه الإله ويمنح

سليمان وملك الموت:

ذكر فى بعض الأخبار أن سليمان عليه الصلاة والسلام دعا الله تعالى وسأله أن يريه ملك الموت وأن يلبسه من القوة حتى يكلمه، فبينما هو قاعد ذات يوم على سريره إذ خرج رجل من جنب السرير ليس يراه أحد إلا سليمان، لم ير سليمان قط أتم خلقًا منه، فقال: يا عبد الله ما أدخلك دارى؟ قال: أدخلنيها ربها، أدخلنى من هو أملك لها منك ومنى، فعلم عند ذلك أنه من ملائكة الله، فقال له: من أنت من ملائكة ربى؟ قال: أنا ملك الموت، قال: فسمعوا من كلامه جلبة فصعق سليمان من خوفه ومن كان معه فى البيت، فقال ملك الموت: يا رب إن عبدك سليمان ونبيك سألك أن تأذن لى بالدخول عليه، وقد بلغ من خوفه ومن معه ما ترى، فألبسه من القوة ما يطيق النظر إلى، فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت: أن ضع يدك فى صدر سليمان ففعل، فأفاق سليمان ومن معه بإذن الله تعالى قال سليمان: يا ملك الموت أترى خلق الله فى السموات والأرض مثلك؟ فقال ملك الموت: يا نبى الله والذى بعثك بالحق إن رجلى الساعة على منكبى ملك، وذلك الملك هو الموت، قد خرق قرناه السموات السبع، وارتفع فوق ذلك مسيرة ألف عام ورجلاه قد جاوزا الثرى بخمسمائة عام فاتحًا فاه رافعًا صوته بالتهليل والتقديس والتسبيح باسطًا يديه،

لو أذن الله له أن يقبضهما إلى صدره لضم السموات وما فيهن وما عليهن ما خلا العرش، وأن فوقه ملكًا قائمًا قد أدخل رجليه تحت منكبى هذا الملك، وهذا من فوقه مسيرة ألف عام فاتحًا فاه، وأن شفتيه العليا ملتصقة بالعرش، والسفلى تحت الثرى، لو أذن الله تعالى له أن يضع شفته العليا على السفلى لأطبق ما بينهما فى جوفه وأن لله ملكًا عنقه مثنى تحت العرش ورجلاه قد جاوزتا رجلى هذين الملكين مسيرة ألف عام يخرج الريح من أنفه، لو أذن الله أن يتنفس لأدخل جميع ما خلق الله فى السموات والأرضين فى نفسه سوى العرش، وأن هؤلاء الملائكة الذين وصفت لك يكون خلقهم عند خلق غيرهم من الملائكة الذين فوقهم كجناح ذبابة عند الفيل، وأن لله ملكًا باسطًا كفه اليمنى منذ خلقه الله تعالى رافعًا صوته بالتهليل والتسبيح والتقديس والتحميد لو أذن الله له أن يقبض كفه لقبض جميع الخلائق ما خلا العرش، فقال سليمان صلى الله عليه وسلم: يا ملك الموت اكفف عنى فلقد وصفت أمرًا أتخوف أن تطير روحى، ولا تثبت نفسى، ولا أطيق سماعه، فكف ملك الموت، فعندها قال سليمان عليه السلام: يا رب متى ألتقى مع الأجة، يا رب قد أحببت لقاءك والراحة من الدنيا، فهذا كان سبب موت سليمان عليه السلام: وأنشدوا:

الموت مر والعيش هم	فأى هذين لزم
وقد تعجبت إذ هنا لى	عيش وعندى بالموت علم
أنقل رجلى من كل دار	خوف المنايا والأرض سم
والروح مستوفز بجسمى	له على الانتقال عزم

فكأنكم والله بالموت قد فاجأكم وأزعجكم عن لذاتكم، ونغص عليكم شهواتكم، ونقلكم إلى بيوت الوحشة والضيق، حيث لا ينفعكم حميم ولا صديق، ولا أخ شقيق، ولا والد شفيق.

نداء الموت:

روى عن سلمان الفارسى ﷺ أنه قال: ما من يوم إلا وملك الموت ينادى يا أهل الدنيا عجلوا لأن أهل القبور محبوسون من أجلكم، اتركوا ما جمعتم، وخربوا ما بنيتم، الويل لكم إن أدرككم الموت على هذه الحالة، زينتم الدور ونسيتم القبور، اذكروا القبر ووحشته، والموت وسكرته، والصراط ودقته، الموت سكرة فى سكرة، وحيرة فى حيرة، وجذبة يا لها من جذبة، فالمسكين يكابد غصص المنون، داهش العقل كالمحزون، فالله الله عباد الله أفيقوا من سكراتكم، وانتبهوا من نوماتكم، واستيقظوا من غفلاتكم، قبل نزول المنية، وحلول الرزية، ووقوع البلية، حيث لا مال نافع، ولا حميم شافع، ولا فرح واقع،

ولا رجاء طامع، ولا حسنة تزاد، ولا حياة تعاد، ويزودك أحبابك بالصراخ، ويكثرون عليك البكاء والنواح، فلا عثرة تقال، ولا رجعة تنال، وأنشدوا:

ألا إن أيام الحـــيـــاة مـــراحل ... طريق الفتى منها إلى الموت سائل
يسـر بمـا يمـضى لمـا هو آمل ... ويأتي الردى دون مـــا هو آمل
ومـــا يومـــه إلا غـــريم مـــحكم ... إذا ما اقتضاه نفسه لا يماطل
عجبت لمن يبغى السلامة جاهداً ... ومـر الليـالى كلهن غـوائل
ونحن بنو الأيام نظلم نفـوسنا ... ونرجع وهى القـاتلات الثـواكل
ومن لحظ الدنيـا بعـين بصـيـرة ... رأى عينها فى نفسه وهو شائل

عظة من الغفلة:

أيها الإنسان ـ وكلنا ذلك الإنسان ـ استيقظ من غفلتك، وهب من رقدتك قد آن أن يدعى إليك الطبيب بجميع الدواء، فلا يرجى لك مما نزل بك الشفاء، ثم يقال: فلان قد أوصى وجميع ماله قد أحصى، قد تبرأ من الدنيا وعلائقها، وأقبل إلى الآخرة وحقائقها، ثم ضعف جنابك، وثقل لسانك، وانقطع عنك كلامك فلا تكلم إخوانك، وكثرت خطوبك، وعظمت كروبك، إذا عرضت عليك عند كشف الغطاء ذنوبك، واشتدت الأحزان، وعلا صراخ النسوان، وحزن الصديق الودود، وفرح العدو الحسود، ثم يقال لك: هذا ولدك الصغير وهذا الكبير، وهذه بنتك الكبرى، وهذه شقيقتها الصغرى، فلا ترد عليهم جوابًا، ولا يستطيع لسانك خطابًا، ثم اشتد بك النزع والسياق، إذا التفت الساق بالساق، وانتزع ملك الموت روحك الضعيف، وعرج به إلى مولاك الرب اللطيف، يجازيك على ما قدمت فى سالف الأيام، ويسالك عما اكتسبت من الحلال والحرام، وأمر بك إما إلى جنة عالية ذات نعيم وخلود، وإما إلى نار حامية ذات جحيم ووقود، وزودت من مالك حنوطًا وكفنًا، ونزلت فى رمسك بعملك مرتهنًا، وانصرف أهلك لقسمة ما خلفت من الأموال، وما سعيت فيه من الحرام والحلال، وأنشدوا:

أبقـيت مـالك مـيـراثًا لوارثه ... فليت شعرى ما أبقى لك المال؟
القـوم بعـدك فى حـال يسـرهم ... فكيف بعدهم صارت بك الحال؟
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد ... مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم
واستحكم القيل فى الميراث والقال ... وأدبرت عنك والأيام أحـــوال

قال رجل من الصالحين: رأيت رجلاً قد مات وورائه يختصمون فى ميراثه قبل أن تخرج جنازته، فقلت هذه الأبيات المتقدمة.

نــــــداء الملك:

ذكر فى بعض الأخبار أن تحت العرش ملكًا ينادى كل يوم وليلة: الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير، وقدم على الله بشر، فالله الله ارحموا أنفسكم قبل أن لا ترحموا، وأكرموها قبل أن لا تكرموا، واذكروا الموت وما بعده من عظيم الأهوال، واستعدوا له بذخائر الأعمال، وأنشدوا:

أرى الدهر لا يصفى إلى من لا يعاتبه ... وأعتب دنياه على من يثالبه
ونحن نرجى الخلد فى غير دارنا ... وأين خلود المرء إن مات صاحبه
كأنا عطاشى والمنية منهل ... نسير إليه والليالى ركائبه
كفى سالبًا للمرء يوم وليلة ... ومن يلبس الأيام فهى سوالبه
فلا تأمن الدهر الخئون فإنما ... هو اليوم سلم ثم حرب عواقبه

أيها الناس استعدوا لما خلقتم له فإن الله لم يخلقكم عبثًا، وإنما خلقكم لتعبدوه وتوحدوه، وليميتكم ويبعثكم بعد الموت، وما رزقكم رزقه إلا لتستعينوا به على طاعته، وما خلق الدنيا إلا للزوال، وجعلها دار ابتلاء واختبار، وسجنًا لأوليائه، وجنة لأعدائه، فراحة الأولياء الموت، وعذاب أعدائه الموت، لأن الأولياء إذا ماتوا صاروا إلى جنة النعيم، والعيش المقيم، والأعداء إذا ماتوا صاروا إلى العذاب الأليم، فالله الله عباد الله لا يغرنكم بالله الغرور، وأنشدوا:

ومنتظر للموت فى كل ساعة ... يشيد ويبنى دائمًا ويحصن
له حين تبلوه حقيقة موقن ... وأفعاله أفعال من ليس يوقن
عيان كإنكار وكالجهل علمه ... بمذهبه فى كل ما يتيقن

حكاية واعــــظ:

ذكر أن شيخًا من تيماء كان يجلس إليه أصحابه، فإذا كان عند قيامهم عنه قال: قوموا قيام من قد يئسوا من المعاودة حذراً من القاطف للنفس ملك الموت، ثم يبكى ويبكوا حوله، وأنشدوا:

وكن مستعدًا لداعى المنون ... فكل الذى هو آت قريب
وقبلك داوى المريض الطبيب ... فعاش المريض ومات الطبيب
يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف ترى حال من لا يتوب؟

إن من الشعر لحكمة!!

خشية عيسى من الموت

روى أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر عنده الموت أو ذكره تقطر جسده ماءً من خوف هوله!، يا أخى يا غافل مثلى يا مسكين فعيسى صلوات الله عليه يخاف الموت وهو على ما كان عليه من الطاعة لربه فكيف بك يا مسكين على ما أنت عليه من المعصية لمولاك؟! فالله الله يا إخوانى لا تغتروا بصحة الأجسام، ومداومة الأيام، فإن الموت يأتى فى ألهى ما أنت عليه فى الدنيا وألذ ما كنت فيه، فلا الصحيح يدعه لصحته، ولا الصغير يرحمه لصغره، ولا الكبير يهابه لكبره، وأنشدوا:

وكم من صحيح بات للموت آمنًا ... أتتـه المنايا بغـتـة بعـدمـا هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة ... فـراراً ولا منه بحـيلتـه امـتنع
وقـرب من قـبـر فـصـار مـقـيله ... وفارق من قد كان بالأمس قد جمع
فـلا يتـرك المـوت الغنى لمـاله ... ولا معدما فى المال ذا حاجة يدع

حديث فى ملك الموت

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن ملك الموت ينظر لوجه العباد فى كل يوم سبعين مرة، فإذا ضحك العبد الذى بعث لقبض روحه يقول له: يا عجبًا لك يا فلان أمرت بقبض روحك وأنت تضحك»(١٦٨) فالعجب كل العجب بمن الموت يطلبه، والمنية تعاجله، وهو من ذلك على يقين، وهو يضحك ويلهو، وأنشدوا:

ضـحك الفتى من عـجيب جـهـاله ... والمـوت يطلبـه حـثـيـثـا مسـرعًا
والموت لا يدع الجهول لضحكه ... إلا رمـاه بسـهـمـه فـتـفـجـعـا
فـتـفـلقت أوصـاله لنزوله ... وتفـتت العظم الصليب توجـعـا
وبكي لفـرقـة مـاله وعـيـاله ... ومـضـى إلى دار البلى مـتـضـرعًا

فالله الله عباد الله لا يغرنكم طول الأمل، وجدوا واجتهدوا وكونوا من الموت على وجل، فإن للموت غاد ورائح، وماس وصابح، وأنت يا أخى منه على يقين وتحقيق، فلم تحد عن منهاج الطريق؟.

* * *

نداء المـــــوت:

ذكر فى بعض الأخبار أن الميت ينادى إذا وضع على المغتسل: أين لسانك الفصيح ما أسكتك؟ أين صوتك الشجى ما أخرسك؟ أين ريحك العطر ما أنتنك؟ أين حركاتك ما

(١٦٨) ضعيف: انظر تنزيه الشريعة (٢/ ٣٧٥).

أسكنك؟ أين أموالك الكثيرة ما أفقرك؟ الويل لك إن كنت عاصيًا، والبشرى لك إن كنت طائعًا، وتناديه الملائكة إذا وضع فى القبر: يا عبد الله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك؟ أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك؟ أنت استعددت للمنية أم المنية عافصتك، خلقت من التراب، وأعدت للتراب، وأنشدوا:

خلقت من التـراب بغـيـر ذنب	وعـدت إلى التـراب ولى ذنوب
فـمـا لى لا أجـاهد فى خـلاصى	بعـزم للمـعـاصى لا أتوب؟
ومـا لى أثقلت ظهـرى ذنوب	زمنهـا لا أمل ولا أنيب؟
ومـا لى لا أرق لسـوء حـالى	ومن نفـسى علىَّ غـداً رقـيب؟
ومـا لى مـبـعـد مـقـصى طريد	وفى كل القـبـائح لى ضـروب؟
وكم بالبـر تسـويفى ومطلى	ولا أدرى مـتى تأتى شـعـوب؟
فـيـا من ليس لى رب سـواه	عليم بالذى أدعـو يجـيب
تجـاوز يا إلهى عن ضـعـيف	بغـفـران لعلى عـسى أتوب
وهب لى ذلتى وعظيم جـرمى	فـأنت الواحـد الفـرد القـريب

عباد الله لا تغفلوا عن ذكر الموت، وتفكروا فيه قبل الفوت، فوالله ما بين أحدكم وبين طول الأسف، والندامة على ما قد سلف، إلا أن تنزل به المنية، غدوة أو عشية، فعظ نفسك قبل حلول الرزية، وقيل فى قول الله تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ** ﴾ (المنافقون: ١٠) قيل: الأجل القريب عند كشف الغطاء، يقول العبد عند الموت: يا ملك الموت أخرنى يومًا أعمل فيه صالحًا لنفسى، فيقول ملك الموت: فنيت الأيام فلا يوم، فيقول: أخرنى ساعة، فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة، فيقول: اتركنى أتكل، فيقول: فرغ كلامك فلا كلام، فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه فتقطع الأوقات والأعمال، ويبقى عدد الأنفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره، فإذا كان فى آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبقت له من شقاوة أو سعادة.

سؤال الرجوع للدنيا:

وقيل: أول من يسأل الرجعة من لم يكن أدى زكاة ماله، كقوله عز وجل: ﴿ **فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (المنافقون: ١٠)، فالله الله بادروا قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل من صالح العمل، وفراغ الأنفاس، وورود الأرماس ولا ينفعك حبيب ولا حميم، ولا ولد ولا والد

رحيم، قد أحاطت بك الخطوب، وكثرت عليك الكروب وأخذ الوارث مالك، ونكح العدو أو الصديق عيالك، وأنشدوا:

أرى الأزواج تنكح إن هلكت ... ويقسم وارثى ما قد تركت
ولا يبقى الوداد بقلب خل ... إذا انقطع الرجا منى ومت
وينسانى الصديق فما يبالى ... أمر به ويعرض إن ذكرت
ويشمت بى رجال من سفاه ... وما قد كنت قط بهم شمت
ولست بحاصل إلا على ما ... من الأعمال فى الدنيا عملت
فيا ذا العرش عفواً عن ذنوبى ... وعن زللى وما كنت اجترمت
وشفع فى نبيك حين أدعى ... غداة العرض إن تفعل نجوت

روى عن رسول الله ﷺ أنه عرض عليه ما يصيب أمته من بعده فما رئى ضاحكًا مستبشراً حتى قبضه الله تعالى.

٤٨٠٠٠ قبيلة:

ذكر فى بعض الأخبار أن الله تعالى خلق فى الأرض مما برأ وذرأ ثمانية وأربعين ألف قبيلة، فجعل فى البحر ثمانية آلاف قبيلة، وجعل بين السموات والأرض أربعين ألف قبيلة تحملها الريح، ليس منها دابة صغرت أو كبرت فى الأرض أو بين السماء والأرض إلا ومعها ملكان من قبل الله تعالى، فملك يهيئ لها رزقها بإذن ويسوقها إليها، وملك آخر يقودها بإذن ربها إلى مستقرها ومنقلبها حتى الذرة والقملة والدودة والبعوضة والذبابة، فإذا استوفت أثرها ورزقها وبلغت أجلها قبض ملك الموت روحها، فسبحان من له الملك والتدبير.

عباد الله: فالله الله لا تغفلوا عن طاعة مولاكم، فإن الموت يطلبكم بالليل والنهار، والعشى والإبكار، فاجتهدوا فى الحسنات، واجتنبوا فى ليلكم ونهاركم السيئات، قبل نزول الموت والندم، فالموت لا يترك ملكًا ولا أميرًا، ولا حاجبًا ولا وزيرًا، وأنشدوا:

وقهرمان الدار والكاتب ... قد صرف البواب والحاجب
وأصبح الصاحب من بينهم ... بحيث لا جار ولا صاحب
واعتاضت الناهد من بعده ... إلفا سواه وكذا الكاعب
وجد فى تفريق ما لم يزل ... يجمعه وارثه اللاعب
فكن من الدنيا على أهبة ... يا زاهدا فيها ويا راغب
فإنها أم لأبنائها ... منها عدو قاتل سالب

رحمة الله بالمسرفين:

ذكر في بعض الأخبار أنه مات رجل من أهل المدينة وكان مسرفًا على نفسه فدعى لجنازته محمد بن المنكدر رحمه الله فأبى أن يحضر جنازته، ثم حضرها فعوتب في ذلك فقال: لقد استحييت من الله أن أرى أن رحمته تضيق عليه ولا تسعه فصليت عليه، يا مسكين مثلي اعلم إذا نزل ملك الموت بالعبد المذنب فيرجع إلى مولاه بالذل والصغار، فنرجو إن شاء الله تعالى أن يعفو عنه ويرحمه ويجعل الموت كفارة لذنوبه، وأنشدوا:

أفي كل يوم للمنيـــة أقـــرب ... زكل الذى آتيه يحصى ويكتب
فيا سوأتا قد آن وقت ترحلي ... وها أنا في الميدان ألهو وألعب
فإن لم تجد بالعفو منك عن الذى ... جنته يدى إني إذًا لمخيب

ذكر أنه كان بالبصرة فتى وكان مسرفًا على نفسه ما ترك ذنبًا إلا ارتكبه، ولا شرًا إلا اكتسبه، فلما مرض لم يعده أحد من جيرانه فدعا بعضهم وقال: إنه قد نزل بي ما ترى فإذا مت فادفني في زاوية من زوايا بيتي، فقد أذيت جيراني في حياتي، وما أحب أن أضر بالموتى بعد وفاتي، فرئي بعد موته في المنام في حالة حسنة، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا عبدي هجروك جيرانك حنقًا عليك، وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك، فوعزتي وجلالي وجودي ومجدي وارتفاعي فوق علو مكاني ما ضاقت رحمتي عنك، عبدي هذه خلع مغفرتي، ومنازل جنتي، وخاتم أماني، وسجل إحساني، وأنا الغفور الرحيم.

حكاية عن الحسن:

قال الحسن رحمه الله: قد علم الله منا قبل أن يخلقنا أننا نذنب ونعصيه ولم يمنعه ذلك منا أن جعلنا مسلمين، فالله الله يا أهل الذنوب مثلي بادروا قبل نزول السكرات، ووقوع الحسرات، واجتهدوا فإن الموت آت، وكل آت فهو قريب، قد آن وكلما آن فقد حان، وأنشدوا:

آمل أن أخلد والمنايا ... يثبن إليَّ من كل النواحي
ولا أدرى إذا أمسيت حيا ... لعلى لا أعيش إلى الصباح

عباد الله أيامكم مراحل تقطعونها، وساعاتكم مناهل تردونها، والموت يطوف عليكم بالليل والنهار ولا يؤخر من فقدت ساعاته، وفرغت أيامه وأوقاته.

حكاية عن بعض الصالحين:

يحكى عن بعض السادة الأخيار أنه قال: خرجت يومًا لزيارة القبور فإذا بقوم يحملون جنازة، فتقدمت إليها وصليت بهم، ثم شهدت دفنها فنعست نعسة فأتاني آت فقال لي: قد غفر الله لهذا الميت على ظلمة ذنوبه، فانتبهت مرغوبًا فأخبرت بذلك أم الميت، فقالت: الحمد لله رب العالمين، والله لقد كان مسرفًا على نفسه، فلما نزل به الموت بكى وقال لي: يا أماه ضعي خدى في الأرض والتراب، ففعلت ذلك، فقال: ضعي قدمك على خدى، وادعى الله واستوهبيني منه فلعله يرحمني، واقلعي فص خاتمي وتصدقي بثمنه فعسى الله يرحمني، فقلت لها: قد غفر الله له ورحمه، ثم أخبرتها بالذى رأيت، فالله الله معشر المخلصين تضرعوا إلى ربكم قبل يوم موتكم، فعساه أن يرحمكم ويتجاوز عن سيئاتكم، فذلك عليه يسير، وهو على كل شيء قدير.

وأنشدوا:

رأيت المـــرء تأكله الليـــالى ... كـأكل الأرض سـاقطة الحـديد

ولا تجـد المنيـة حـين تأتى ... علـى نفس ابن آدم مـن مـــزيد

فـلا تغـفل - فـديتك - عن منون ... تدور رحـاه بالهـول الشـديد

فكأنكم بالأعمال قد انقضت، وبالدنيا قد مضت، فاستعدوا بذخائر الأعمال لما تلقوا من عظيم الأهوال، وقد نودى فيكم بالتحويل، وقد قرب منكم الرحيل.

شاب عاص غفر له:

حكى عن بعض الخائفين أنه قال: كان فى جوارى شاب وكان يتشاغل بالبطالة والجهالة، ما رأيته صاحيًا من السكر قط، وعهدى به البارحة وقد رفع صوته على أمه فى ساعتى هذه، فأخبرتنى أنه أصبح ميتًا من غير علة ولا مرض، وسألتنى فى كفنه، فزجرتها وقلت: الحمد لله الذى أراحنا منه، فمضت مدحورة فرق لها قلبى وقلت: إن الرحمة لا تضيق على المذنبين من أمة محمد ﷺ، فبعثت من ساعتى فى طلبها، وعزيتها وصبرتها، واشتريت لها كفنًا، وحضرت جنازته، فعرفنى بعض أصحابنا أنه رآه فى المنام وأنه سأله ما فعل الله به، فقال: قدمت على الله تعالى وكنت قد دخلت قبل وفاتى الحمام، فرأيت شخصًا ميتًا مقعدًا، فتوليت غسله ونظافته وحمله إلى بيته فقال: غفر الله لك ذنوبك كلها فصادفت دعوته إجابة فغفر الله تعالى لى وأنا فى الجنة مع التعلق بالسنة، غفر الله لنا أجمعين، وأماتنا مسلمين وختم لنا بخواتم الصالحين، إنه على ذلك قدير، وأنشدوا:

لا تأسفن على الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار يكن رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن عاليها
أرض لها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن محض ومن عسل ... والخمر يجرى رحيقًا فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفة ... تسبح الله جهرًا فى مغانيها
أحمد دلالها والرب بائعها ... وجبريل ينادى فى نواحيها
من يشترى الدار فى الفردوس يغمرها ... بركعة فى ظلام الليل يحييها
أين الملوك التى عن حظها غفلت ... حتى سقاهم بكأس الموت ساقيها
أفنى القرون وأفنى كل ذى عمر ... كذلك الموت يفنى كل من فيها
والموت أحدق بالدنيا وزخرفها ... والناس فى غفلة عن ترك ما فيها
لو أنها عقلت ماذا يراد بها ... ما طاب عيش لها يومًا ويلهيها
تلهو وتأمل آمالاً تسر بها ... شريعة الموت تطوينا وتطويها
والله لو قنعت نفس بما رزقت ... من المعيشة إلا كان يكفيها
والله والله أيمانًا مكررة ... ثلاثة من يمين بعد ثانيها
لو أن فى صخرة صما ململمة ... فى البحر راسية ملس نواحيها
رزقًا لعبد يراه الله لانفلقت ... حتى تؤدى إليه كل ما فيها
أو كان تحت طباق السبع مسلكها ... لسهل الله فى المرقى مراقيها
حتى ينال الذى فى اللوح خط له ... فإن أتته وإلا سوف يأتيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها
تلك المنازل فى الآفاق خاوية ... أضحت خرابًا وذاق الموت بانيها

عظة للاستعداد للموت:

عباد الله قد آن وقت التحويل، إلى الوقوف بين يدى الملك الجليل، فأنفاسكم معدودة عليكم، وملك الموت قاصد إليكم، يركبكم بكلكله، ولا بد لكم من منهله، يقطع آثاركم، ويخرب دياركم، فرحم الله عبدًا نظر لنفسه، وقدم لغده من أمسه، قبل حلوله فى رمسه، وعمل فى العمر اليسير، لليوم العبوس القمطرير، وسأل المغفرة من السميع البصير، الذى هو على كل شىء قدير، وهو مولانا ومولاكم ونعم المولى ونعم النصير.

الموت ينتقى الخيار:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتى كما ينتقى أحدكم خيار الرطب من الطبق»(١٦٩) فإنا لله وإنا إليه راجعون الذى ذهب عنا الأخيار وبقينا فى غمار مع الأشرار فلا للموت نعمل قبل إتيانه، ولا أحد منا يقطع عن عصيانه، ما هذه أفعال المؤمنين، ولا هذه سيرة الموقنين، قد أضلنا عدونا الشيطان اللعين، وخدعنا بمكره وأغوانا أجمعين.

عمل الملكين:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا: ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته إليك فأذن لنا أن نصعد إلى السماء، فيقول الله عز وجل: سمائى مملوءة بملائكتى يسبحوننى، فيقولان: فأذن لنا أن نسكن الأرض، فيقول عز وجل: أرضى مملوءة من خلقى، فيقولان: يا ربنا أين نكون؟ فيقول عز وجل: قوما عند قبر عبدى فسبحانى واحمدانى وهللانى واكتبا ثواب ذلك لعبدى إلى يوم القيامة»(١٧٠) فالحمد لله الذى جعلنا من أمة محمد المصطفى وحسبنا بهذا فضلاً، وكفى بكتاب مولانا لأمواتنا الحسنات، ويجعل الموت لهم كفارة لما سلف من السيئات، وأنشدوا:

على كل حال وشر يكون ... فقد مات مثلك فى مثلها
فما لك تلعب بالترهات ... وتخدع نفسك من عقلها
من الرشد فى برها بالعقوق ... وترضى بذلك من جهلها
وأنت تخالف فيها العذول ... وتطوى لسانك من عذلها
ودولة ذى العز مقطوعة ... وأنت تغفل عن عذلها

إلى متى هذا الصدود، عن طاعة الملك المعبود، والغفلة عن بحر الموت المورود، فارحموا أنفسكم قبل التلف، وابكوا عليها قبل الأسف، فإن السفر بعيد، وهول المطلع فظيع شديد، والزاد قليل، والهم والحزن طويل، وبعد ذلك اليوم العبوس الثقيل، يا أخى لكل حى قوت، وأنت يا مسكين قوت الموت، فاعمل للموت قبل الفوت، وأنشدوا:

---

(١٦٩) موضوع: رواه أبو عبد الله القضاعى فى مسند الشهاب (٢/ ٢٩٩) والديلمى فى الفردوس (١/ ٣٢٣) وفى إسناده يحيى بن عبيد الله بن موهب وهو متروك ومتهم بالوضع.

(١٧٠) موضوع: رواه البيهقى فى الشعب (٧/ ١٨٤) وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ٢٥٣) وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/ ٤٠٣) وقال: وهذا حديث لا يصح وقد اتفقوا على تضعيف عثمان بن مفر، وقال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الأثبات لا يحل الاحتجاج به.

أرانى فى انتـــقـــاص كل يوم ... ولا يبـقى على النقـصـان شىء
طوى العـصـران ما نشـراه منى ... فـأتلف جـثـتى نشـر وطى
فإن أك قـد فنيت ومات بعضى ... فـإن الحـرص باق فى حى
وطيـر المـوت حـائمـة لقـتلى ... مـدلاة علـى وفـى عـى

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أكثر الفكرة فى الموت هون الله عليه سكراته، وجعله منه على حـذر، ومن غـفل عن ذكـره يوشك أن يأتيـه فـجـأة على غـيـر أهبـة ولا استعداد» (١٧١) فالله قد انصرمت عنكم أعماركم وأنتم لا تشعرون، فإن اتبعتم هموم الدنيا حتى تفرغ فإنها لا تفرغ أبداً ولو عشتم إلى أن تنقرض الدنيا، فتفرغ يا مسكين فى اليسير من الأيام، ودارك أمرك مع مولاك قبل نزول الحمام.

المبادرة بالتوبة:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أيها الناس بادروا بالتوبة قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه».

السنى والزنديق:

ذكر فى بعض الحكايات أن رجلاً من أهل السنة لقى رجلاً زنديقًا قد نحل جسمه وتغير لونه وأذابه الخوف، وكان السنى قويًا سمينًا، فقال له الزنديق: يا هذا صف لى بعض ما تعتقده؟ فقال: أعتقد الموت وغصصه، وسكراته وأهواله، فلما سمع الزنديق مقالته صاح صيحة عظيمة ثم وقع على وجهه مغشيًا عليه، فمكث ما شاء الله، ثم أفاق فقال له: زدنى، فقال: ثم من بعد الموت القبر وظلمته، واللحد وضجعته، ومنكرًا ونكيرًا؟ قال: وما منكر ونكير؟ فقال: ملكان أسودان أزرقان يطآن فى شعورهما، ويحفران الأرض بأنيابهما، وبيد كل ملك منهما عمود من حديد جهنم لو ضرب به جبال الدنيا لقلعها من أصولها يسألان العبد فى قبره، قال: وثم ما بعد ذلك؟ قال: هول البعث والنشور والحساب والميزان والصراط، قال: وما الصراط؟ قال: هو جسر منصوب على جهنم أرق من الشعرة، وأحد من السيف، وأحر من الجمر، عليه حسك وكلاليب (١٧٢) قد تعلق بكل كلوب عدد نجوم السماء من الزبانية، ولو أذن الله لواحد منهم أن يخرج إلى الدنيا لأحرق بحارها

---

(١٧١) **ضعيف**: لم أجده بهذا اللفظ ولكن ضعف الألبانى فى ضعيف الجامع (١١١١) حديثًا بنحوه بلفظ «أكثروا ذكر الموت فما من عبد أكثر ذكره إلا أحيا الله تعالى قلبه وهون عليه الموت» وهو موضوع.

(١٧٢) سبق تخريجه.

وجبالها وإنسها وجنها وهوامها ودوابها من حر نفسه، قال له: وما الزبانية؟ وما جهنم؟ قال: الزبانية خلقوا من النار هم ملائكة العذاب، وجهنم دار العذاب أوقد عليها النار أربعة آلاف سنة، السنة أربعة آلاف شهر، الشهر أربعة آلاف يوم، اليوم أربعة آلاف ساعة، الساعة أربعة آلاف نظرة، النظرة الواحدة مقدار سبعمائة ألف سنة من سنين الدنيا، هي سوداء مظلمة من دخلها طال بلاؤه وحزنه، قال له الزنديق: لقد عجبت من قلة عقلك، هذا كله تعتقده وأنت سمين!! فوالله ما أصدق أنا بشيء من هذا الذي ذكرته إلا بالموت وحده وقد طال حزني وذاب جسمي، وإنما أنت من عدد الأنعام التي لا تعقل، فالله الله إخواني اشكروا الله على ما به أنعم عليكم من جزيل نعمه إذ بعث إلى جميع خلقه محمداً ﷺ، وأخرجكم به من الضلالة، وأيقظكم به من سكرة الجهالة، ثم أتحفكم بطيبات رزقه، وفضلكم على كثير من خلقه، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه، فإن الموت لا بد منه، وقد وعظكم الله.

وقال رسول الله ﷺ: «كفى بالموت واعظًا»[١٧٣] فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليجعل الموت نصب عينيه، فإنه لا يدري متى يقدم عليه.

وأنشدوا:

وللموت سلطان عليك مسلط	إذا حم لم يصرف بنهي ولا أمر
ودارك إما شقوة أو سعادة	ومالك من باب إليها سوى القبر
كفى عظة بالموت إن ركابه	على سفر يهوى إلى حيث لا يدري

رفق ملك الموت بالمؤمنين:

روى أن النبي ﷺ كان جالسًا عند مريض فرأى ملك الموت عند رأسه فقال له: «يا ملك الموت ارفق بصاحبي» فقال له: يا محمد أنا بكل مؤمن رفيق[١٧٤]، فالله الله لا تغفلوا عمن ليس يغفل عنكم، ولا تنسوا الموت، فإنه لا ينساكم، وفقنا الله وإياكم لحسن العمل والفعال، وهدانا وإياكم لصالح الأعمال، إنه الجواد الكريم المفضال.

* * *

(١٧٣) سبق تخريجه.

(١٧٤) **ضعيف جدًا**: رواه الطبراني في الكبير (٤/ ٢٢٠) وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٣٩) وفيه عمرو ابن شمر متروك الحديث ذكره النسائي في الضعفاء والمتروكين (١/ ٨٠) وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٢٦).

المجلس الثانى عشر: فى ذكر القبور

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ (التكاثر: ١، ٢) السورة مكية، التكاثر: يعنى فى الدنيا.

روت زينب بنت جحش عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا قرأ قارئ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يدعى فى ملكوت السموات والأرض بمؤدى الشكر لله».

حكاية فى الخوف من الله:

روى عن عكرمة عن ابن عباس ﵄ أنه قال: كان رجل باليمن يقال له يعلى، وكان مشركًا ليس له من الدنيا إلا قطيفة توارى عورته، ويأوى بالنهار إلى ظل شجرة، وبالليل إلى جحر كجحر الكلب، فسمع بخروج النبى ﷺ فاقبل إلى النبى ﷺ وكان شابًا ترفعه أرض وتضعه أخرى، حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وقعد مع أهل الصفة يطعم القبضة من العجوة والكسرة من خبز الشعير، وكان لا يفارق مجلس النبى ﷺ حتى تعلم أربع سور من القرآن فسمع النبى ﷺ يقول: «لا فاقة بعد القرآن، ولا غنى بعد النار»[١٧٥] فقال: يا رسول الله زوجنى، قال: «أعندك مال؟!» قال: عندى أربع سور من القرآن، ومن كان عنده الوحى وكلام الله فهو غنى، قال النبى ﷺ: «صدقت، فانطلق إلى بنى سلمة» - حى من الأنصار - «واستخر الله فأول جارية تستقبلك فهى زوجتك» فانطلق الشاب لا يدرى إلى أين يتوجه فاستقبلته جارية جميلة، فقال: يا جارية أى حى هذا؟ قالت: بنو سلمة، قال الشاب: الله أكبر! أنت امرأتى تعالى، قالت: ما أسفهك! قال: لست بسفيه، ولكن أمرنى بذلك رسول الله ﷺ، قالت الجارية: إن كان أمرك بذلك رسول الله ﷺ فسمعًا وطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ولكن حتى أسمع منه، فانطلق الشاب والجارية ليأتيا النبى ﷺ فإذا أبوها وأخوها، فقالا: أين تذهبين؟ فقالت: إن الشاب تعلق بى، وزعم أنى امرأته، فانكرت ذلك عليه، فقال: كذا أمرنى رسول الله ﷺ فأنا معه إلى رسول الله ﷺ حتى أسمع منه، فقالا: سمعًا وطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ فانطلقوا جميعًا حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فتكلم والدها فقال: يا رسول الله زعم هذا الشاب الغريب أنك أمرته بما صنع بابنتى، فقال النبى ﷺ: «نعم فزوجه ابنتك على اسم الله وبركته» قال: قد فعلت، فزوجه الشيخ ابنته وأشهد النبى ﷺ وأصحابه، فقال النبى ﷺ: «لك أوقيتان ولزوجتك أوقيتان» فقال:

---

(١٧٥) **ضعيف**: رواه الديلمى فى الفردوس (١/ ٤٢٠٠) وضعفه الألبانى.

يا رسول الله قد جعلت أوقيتى لها أيضًا، فقال النبى ﷺ للشيخ والدها: «جهزوا هذه الجارية للشاب من يومه هذا» قال الشيخ: سمعًا وطاعة لله عز وجل ولرسوله، فجاء الشاب إلى رسول الله ﷺ فأمره أن ينصرف إلى أهله، فجاء إلى منزله فدخل إلى فراش مفروش، وإلى بساط ممدود، وإلى زوجة جالسة، وإلى سراج يزهر، وإلى طعام قد هيئ له، فلما نظر إلى ذلك بادر إلى مكان فى مجلسه فصلى فيه ركعتين شكرًا لله عز وجل لما رأى، ثم قام وصلى ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فحمد الله وأثنى عليه وشكر نعمته، ثم جعل يقوم خلال ذلك فيصلى ركعتين، ثم يقوم إلى مثل حاله من الثناء والشكر لله عز وجل لما رأى، فلم يزل كذلك حتى أصبح، ثم غدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ الغداة والظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم رجع إلى منزله، فلما عاين أهله وما هيئ له بادر إلى مسجدة فصلى مثل صلاته فى الليلة الأولى، وجعل يحمد الله عز وجل ويشكره بين كل ركعتين، حتى أصبح فغدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ ففعل مثل ذلك، حتى تمت له ثلاث ليال فجاء الشيخ فى اليوم الرابع فدخل على ابنته فسألها عن زوجها وحالها معه!، فقالت: لا أدرى ما زوجى ما يعرف غير الصلاة، وهو الليل كله يحمد الله ويثنى عليه ويصلى، فجاء الشيخ إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فقال له رسول الله ﷺ: «ما منعك من أهلك!» فقال: يا رسول الله تذكرت شأنى وكنت مشركًا باليمن لم يكن لى مأوى إلا جحرًا كجحر الكلب آوى إليه الليل، والنهار أتبع ظلال الشجر والحيطان حين أخرج من جحرى، فهدانى الله للإسلام وعلمنى أربع سور من القرآن، فشرح الله صدرى بها، ونور بها قلبى، فلما زوجتنى هذه الجارية نظرت إلى فراشها وإلى حسنها وجمالها ولم أر فراشًا قط منذ كنت، ونظرت إلى سراج يزهر ولم يكن لى سراج قط، ونظرت إلى هذه الحالة فتدبرت إحدى سورى الأربع فزهدنى الله فيها وما عندها، فقال النبى ﷺ: «وأى سورة هى؟» قال: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ﴾ (التكاثر: ١ - ٣) ثم بكى وبكى رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما هدوا قال الشاب: يا رسول الله خصنى منك بدعوة، فقال: «اللهم اغفر له الكثير، واشكره على اليسير، وأغنه برحمتك» فلم تأت عليه جمعة حتى قيل للنبى ﷺ: إن الشاب قد مات، فقال النبى ﷺ: «لا إله إلا الله، إذا فرغتم من غسله أخبرونى» فأخبروه ﷺ فقال: «هنيئًا لك بالجنة» ثم سأل زوجته هل نال منها شيئًا، قالت: لا والذى بعثك بالحق نبيًا ما نال منى شيئًا (١٧٦).

---

(١٧٦) ضعيف: رواه الترمذى (٣٣٥٥) وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى.

حكايات عن الصالحين فى الخشية من الله:

قال ميمون بن مهران: دخلت على عمر بن عبد العزيز ﷺ وهو يقرأ: ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** ﴾ (التكاثر: ١، ٢) فقال: إنما يزورون المقابر بالموت، ولا بد لكل زائر أن يعود لوطنه من جنة أو نار.

وقال زر بن حبيش عن على ﷺ قال: كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ﴾ (التكاثر: ١) يقول: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عن ذكر الله وطاعته، واللهو: ما شغل، وأكثر ما يقال فى البطالة ﴿ **حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** ﴾ (التكاثر: ٢) بيوتكم، ويقال: إن حيين من قريش تفاخرا وتعاددا بالأموات كان منا فلان وكان منا فلان ﴿ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ (التكاثر: ٣) يقول: سوف تعلمون إذا متم ﴿ **ثُمَّ كَلَّا** ﴾ يقول: ﴿ **ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ (التكاثر: ٤) فى قبوركم، وهو وعيد مع وعيد، فمعنى الأول غير معنى الثانى، وليس ذلك بتكرير، قال الفراء: والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف، فهذا من ذلك، ثم قال: ﴿ **كَلَّا** ﴾ أى كلا لا يؤمنون بالوعيد، ثم استأنف وقال: ﴿ **لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** ﴾ (التكاثر: ٥) يقول: محض اليقين، وهو الذى لا شك أعلمكم أنكم سترون الجحيم فى الآخرة كقوله ﴿ **وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ** ﴾ (النازعات: ٣٦) فالتكرار فى قوله تعالى: ﴿ **لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ** ﴾ (التكاثر: ٦) فى القيامة إذا برزت ﴿ **ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** ﴾ (التكاثر: ٧) إذا دخلتموها، قال الفراء: هذا تكرار التغليظ ويقال ﴿ **لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ** ﴾ أى لترونها رؤية علم ﴿ **ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** ﴾ بالمشاهدة ﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ﴾ (التكاثر: ٨) يسألون عن شكر ما كانوا فيه من النعم والحياة والنعيم، فزعم قوم أن الآية فى الكفار، وقال آخرون: بل هى على العموم فى المؤمنين.

عن ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ»(١٧٧).

روى أبو هريرة عن النبى ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد»(١٧٨).

وعن محمود بن لبيد قال: لما نزلت ﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ: أى نعيم!! وإنما هما الأسودان التمر والماء وسيوفنا على عواتقنا، قال: «أما إنه

---

(١٧٧) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) الترمذى (٢٣١١) أحمد (٢٢٣٦).

(١٧٨) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٥٨) وصححه الألبانى فى الصحيحة (٥٣٩) وصحيح الترمذى (٢٦٧٤) والمشكاة (٥١٩٦).

سيكون»(١٧٩) ابن مسعود وقتادة وسعيد قالوا: الأمن والصحة، مجاهد قال: الخبز والماء والملح، إبراهيم النخعي: من سمى الله تعالى على الطعام حين يأكل، ويحمد الله حين يفرغ فقد أدى شكره، الحسن قال: كانوا يعدون من النعيم في الدنيا أن يتغدى الرجل ويتعشى، على ﷺ: النعيم الرطب والماء البارد، أبو أمامة قال: النعيم خبز البر والماء العذب... وقال النبي ﷺ: «طيب النفس من النعيم»... أبو الدرداء ﷺ قال: النعيم الشعير والماء العذب، محمد بن على قال: النعيم العافية، وقال أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ: مر بنا رسول الله ﷺ ليلاً فدعاني فخرجت إليه، ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه، ثم مر بعمر ﷺ فدعاه فخرج إليه ثم انطلق بنا رسول الله ﷺ حتى دخل حائطًا لبعض الأنصار فقال لصاحبه أطعمنا بسراً فجاء بعذق(١٨٠) فوضعه فأكل رسول الله، وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب وشربوا ثم قال: «لتسألن عن هذا يوم القيامة» فأخذ عمر العذق وضرب به الأرض حتى تناثر البسر، وقال له: يا رسول الله، إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «نعم إلا كسرة تسد بها جوعتك، وخرقة تلف بها عورتك وجحر تدخل فيه من القر(١٨١) والحر»(١٨٢) على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (الإسراء: ٣٦) قال الله تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾ قيل: معناها ألهاكم التكاثر في الدنيا بجمع الحطام، واكتساب الآثام، والتمادى في الإجرام، وأنشدوا:

أرضيت داراً لا بقاء لها	تعد الشرور وتنصب الفتنا
ما يستقيم سرور صاحبها	حتى يعود سروره حزنا
عجباً لها لا بل لموطنها	المغرور حين يعدها وطنا
فالحمد لله اللطيف بنا	ستر القبيح وأظهر الحسنا
ما تنقضى عنا له منن	حتى يجدد بعدها مننا

يا أخي اشتغلت باللذات، وأفنيت عمرك بالترهات، وعصيت إله الأرض والسموات، ونسيت بيوت الوحشة والحسرات، فيا له من بيت ما أظلمه، ومن صندوق ما أغمه، منزل الوحشة، وبيت الغمة والوحدة، وأنشدوا:

---

(١٧٩) **حسن**: رواه الترمذى (٣٣٥٦، ٣٣٥٧) وابن ماجه (٤١٥٨) أحمد (١٤٠٨) وحسنه الألبانى في صحيح الترمذى (٢٦٧٢) وصحيح ابن ماجه (٣٣٥٤).

(١٨٠) **العذق**: النخلة أو الغصن من النخل فيه الثمر.

(١٨١) القر: البرد.

(١٨٢) رواه أحمد (٥/ ٨١) والبيهقى في الشعب (٤/ ١٤٣) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٨).

وربما عوقص ذو صحة أصح ما كان ولم يسقم

يا واضعًا للميت في قبره خاطبك القبر ولم تفهم

حتى زرتم المقابر بيوت الوحشة، ومنازل الضيق والغمة في ضيق وكربات، وغم وحسرات، وأهوال مقطعات، من ظلمات القبور، وسؤال منكر ونكير، والخلود في البرزخ إلى يوم النشور، فانظر لنفسك أيها المغرور، فإن القبر له شأن يتلوه شئون، وأنشدوا:

لا تغرنك الحياة الدنيا وقدم واحذر القبر إن للقبر شانا

إن فيه لما يحاذر ذو اللب إذا كان ذا تقى ومعانا

إنني موقن بما في كتابي عاجلاً تكسوني الأكفانا

فإذا ما وضعت في ظلمة اللحد وبدلت من مكان مكانا

وإذا لم يدركني ربي بعفو ألق في القبر ذلة وهوانا

صفة القبر:

روى عن النبي ﷺ أنه قال: «القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ألا وإنه ليتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود»(١٨٣) الله الله يا إخواني اعملوا لهذا الضيق، وجدوا في العمل باجتهاد وتحقيق، وأنشدوا:

كأني بإخواني على حافة القبر يهيلونه فوقي وأدمعهم تجري

عفى الله عني حين أترك ثاويًا أزار فلا أدري وأجفى فلا أدري

فانتبهوا عباد الله من نومة الغفلة، واعملوا ليوم النقلة، واستعدوا لظلمة القبر ما دمتم في فسحة ومهلة، ولا تقطعوا أيامكم بالمحال، وجنبوا أعماركم سوء الفعال، فإن الموت نازل بكم، والقبر أمامكم، وأنشدوا:

إني أبثك من حديثي والحديث له شجون

ضيعت موضع مضجعي وقتًا ففارقني السكون

قل لي فأول ليلة في القبر كيف ترى أكون؟!

أشد ما على الميت:

قيل: إنه لا يأتي على الميت في قبره أشد وأصعب من أول ليلة يبيت فيه، فمن تفقد ميته في أول ليلة بشيء من الصدقة، وإلا فليصل ركعتين وليهد ثوابهما لميته يرفع الله

(١٨٣) ضعيف: رواه الترمذي (٢٤٦٠) وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٧) والضعيفة (٤٩٩٠) وضعيف الجامع (١٢٣١).

تعالى عن ميته ما يجد من الغم والوحشة، ويكتب الله للمصلين عبادة ستين سنة بقيامها وصيامها، وأنشدوا:

بالله يا عين بوحى وابكى على ونوحى
غداً أوسد قبرى غداً أزور ضريحى
غداً نزوح الأحبة وتمنعى أن تروحى

ذكر أن الميت إذا وضع فى قبره وقال المشيعون: انصرفوا آجركم الله، يقول الميت - إن كان من أهل الشقاء -: يا ليتنى مع من انصرف، لعظم ما يعاين من هول المطلع، يا أحبابى فإذا كان لأحدكم بيت ولم يبسط فيه على ما يجلس جلس على التراب والأرض، كذلك من لم يقدم لقبره عملاً صالحًا لنفسه بقى مستوحشًا وحيداً فريداً فى رمسه، وأنشدوا:

أنا فى القبر رهين قد تبرأ الأهل منى
أسلمونى بذنوبى حيث إن لم يعفوا عنى
فارحم اليوم مشيبى وارحم اللهم سنى
وارحم اللهم ضعفى لا تخيب اليوم ظنى

عظة للنبى ﷺ:

روى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: كان النبى ﷺ يعظنا أحيانًا فيقول: «تجهزوا لقبوركم فإن القبر ينادى كل يوم سبع مرات فيقول: يا بن آدم الضعيف ارحم نفسك فى حياتك قبل أن تلقانى، فإنك إذا لقيتنى وكنت عاملاً بطاعة مولاك رحمتك ورأيت منى السرور، وإن لم ترحم نفسك لم أرحمك، أنا بيت الدودو مع الندامة الطويلة، وأنا بيت الضيق مع العقارب، يا بن آدم إياك أن تغرك الحياة الدنيا، فإن ممرك علىَّ وأنا أول منازلك إلى الآخرة، فإن نجوت منى نجوت من كل شدة تتخوف منها، يا بن آدم أنا بيت الغضب لا أرحم شابًا لشبابه، ولا صغيرًا لصغره، ولا كهلاً ولا شيخًا لكبره، ولا أرحم إلا من رحم نفسه»(١٨٤) وأنشدوا:

عجبت لمن يتم له السرور بدار كل ما فيها غرور
وكيف يلذ ساكنها بعيش ويعلم أن مسكنه القبور

يا بن آدم لقد خلقت لأمر عظيم لو كنت تعقل لظهر قنوعك، ولبان خشوعك، وثارت دموعك، خوفًا من القبر ووحشته، ومن اللحد وضغطته، ومن هول المطلع وروعته، فمهد

(١٨٤) انظر ما سبق تخريجه قريبًا.

لنفسك يا مسكين بينما أنت حى وبينما يقبل منك كل شىء، قبل طى الكتاب، وغلق الباب، ونزول الحجاب، والرحيل إلى التراب، وأنشدوا:

لا تأمن وإن أمسيت فى حرم	إن المنايا تفاجئ كل إنسان
واسلك طريقك واثبت غير منحرف	حتى تلاقى الجزا من عند رحمن
فكل خل وإن أشفقت تتركه	وكل مال وإن أكثرته فان
والخير والشر مقرونان فى قرن	بكل ذلك يأتيك الجديدان

ففكروا رحمكم الله فى أحبابكم وجيرانكم وأصحابكم وإخوانكم وآبائكم وأمهاتكم وأخواتكم والأباعد والأقارب، وذوى المودة والأجانب، قد استوحشت من أنفسكم الديار، وانقطعت بينهم الآثار، وبقوا رهنًا فى الأجداث بالأوزار، قد هجرهم الحبيب وسلا عنهم القريب، وقد ضيقت عليهم اللحود، وسالت عيونهم على الخدود، وتمزقت عنهم الجلود، ودبت فى أجسادهم الهوات والدود، وبقيت أرواحهم فى البرزخ إلى اليوم الهائل الموعود، لم ينفعهم ما جمعوا، ولا حصنهم ما بنوا وشيدذوا، ولا منعهم كل ما صنعوا، صارت القبور لهم قراراً وفرت الأحباب عنهم فراراً، فانتبهوا يا معشر الإخوان، واجتهدوا فى طاعة الرحمن من قبل مفارقة الأحباب والأوطان، وأنشدوا:

هى الأحداث تطرق أو تعاد	وكل للمنية فى مهاد
وما يبقى الحمام إذا يوافى	شديد البطش جبار القياد
فكم أسرى إلى ليث هصور	وجبار من الأجناد عاد
فقل لأخى السلامة عش مليّا	فإن الكون داعية الفساد
وكن فى العمر لقمان بن عاد	وهاك حمام لقمان بن عاد
فإن المرء فى أيدى المنايا	أسير ما له منهن فاد

العبرة بالقبور:

يا أخى إذا أردت أن تدرى كيف حالك من بعدك فاخرج إلى القبور وانظرها وقد عفت، ومثل قبرك بين القبور، ثم انظر ماذا تحتاج إليه فى قبرك فأكثر منه لطول مدتك فيه وهو العمل الصالح، فأما ما سوى ذلك فما لك حاجة فى شىء من أمور الدنيا فإنه يصير عليك وبالاً فى قبرك وحسرة، وانظر حالك الذى أنت عليه، إن كان يصلح للموت والقبر فتمادى عليه، وإن كان لا يصلح لهذين فتب إلى الله تعالى منها وارجع إلى ما يصلح، وأنشدوا:

كم تناسى القبور يا مغرور ... حفر ما بها لعاص سرور
وتعامى عنها وأنت تراها ... ورحاها على الأنام تدور
فاتق الله حق تقواه واحذر ... كل هول يخافه المقبور
ودع اللهو والبطالة واعمل ... للتى عاجلاً إليها تصير
تلك دار البقاء فكل تقى ... فى رباها مكرم محبور
ولعاص مُصرًا إن لم تنله ... رحمة الله مبعد مثبور

دعاء لأهل القبور:

كان بعض الخائفين إذا خرج إلى القبور لا ترقأ دمعته ولا يأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ويقول: ترى يا أحبائى ما لقيتم فى بيوت الحسرات، آنس الله غربتكم، ورحم الله وحشتكم وبرد الله مضاجعكم، وهون ما قدر عليكم مولاكم إنه سميع قريب نعم المولى ونعم النصير، ثم يأخذ فى البكاء والنحيب، فالله الله ابكوا قبل أيام البكاء، واندبوا قبل يوم الأسى، وأنشدوا:

لاه بدنياه والأيام تنعاه ... والقبر غايته واللحد مأواه
يلهو ولو كان يدرى ما أعد له ... إذًا لأحزنه ما كان ألهاه
أو ما جنت يده لو قد تعرفه ... ويلاه مما جنت كفاه ويلاه

واعلموا عباد الله أن القبور على الأموات توابيت مقفولة، والأعمال فى أعناقهم قلائد مجعولة وأروحهم بالغداة والعشى إلى الجنة أو النار محمولة، وأنشدوا:

يا أيها الرجل المزخرف قبره ... ولعله فى جوفه مغلول
يا أيها الرجل المقيم بمنزل ... فيه للحوات ما أقام نزول
ألا يغرك ملكه ونعيمه ... فما لك يفنى والنعيم يزول
وإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول

يا إخواننا مضى الإخوان ونحن على آثارهم فإنا لله وإنا إليه راجعون، قد عميت أبصارنا عن حقائق الأمور، وغفلنا عن الحمام ونسينا القبور.

* * *

حكاية عن الأصمعى:

يحكى عن الأصمعى ﷺ أنه قال: مررت بأعرابى وهو واقف على مقبرة فقلت له: يا أخا العرب ما هذا الموضع الذى أنت فيه؟ فقال:

هذى منازل أقــوام عــهــدتهم | فى رغـد عـيش نفـيس مـا له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا | إلى القــبــور فــلا عــين ولا أثر

عباد الله من كان مصيره إلى القبر ما للفرح إليه سبيل، والقبر يناديه كل يوم يقول له: لا بد لك منى فماذا قدمت لى من عمل صالح؟، وأنشدوا:

أجــار الدهر ليس له جــوار | وحــسن الظن بالدنيــا اغــتــرار
إذا مــا رمت يومًــا كــان يومًــا | ونقص البــدر غــايتــه الســرار
ودع حــرص الجبــان على الحيــاة | وأجــمل إن عــمــرك مــســتــعــار
وذو الآمــال منهــا فى غــمــار | وعند المــوت ينكشف الغــمــار
ويرجــو المــرء أن يبــقى سليــمًــا | ويــأبى الــليــل ذلـك والـنهــــار
وهل تخطى المنيــــة نفس حى | وهــاديــهــــا رواح وابتــكــار

حكاية عن الحسين:

قيل: كان الحسين ﷺ إذا رأى القبور قال: ما أحسن ظواهرها وإنما الدواهى فى بطونها، فالله الله عباد الله لا تشتغلوا بالدنيا فإن القبر بيت العمل، فاعملوا ولا تغفلوا، وأنشدوا:

يا مـن بدنيــــاه اشـــتــــغل | وغـــــــــــره طــول الأمــل
المــــوت يــأتى بغـــتـــــة | والقــــبــــر صندوق العـــمل

أخى: لو رأيت الميت فى قبره بعد ثلاثة أيام لاستوحشت من فقده بعد طول الأنس بناحيته، ولو رأيت كيف تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلاء الأكفان بعد حسن الهيأة وطيب الريح ونقاء الثوب، وأنشدوا:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم | غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالى عز معقلهم | وأسكنوا حفرًا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا | أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة | من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم | تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهرًا وما نعموا | فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فيا معشر الشباب، تأهبوا للغدو إلى التراب، فإن الشيخ يكفيه مصيبة الشيب فإنه يمهد للقبر، وأنشدوا:

مـــا للشـــيـــوخ وللغـــد | وإلى المــــــلاهى والبــكور

وهم غداً أو قبله ... أو بعده حشو القبور

نداء القبر لساكنيه:

عباد الله، ما من أحد لا مؤمن ولا فاجر إلا وقبره يناديه بكرة وعشية إما بالبشرى والسرور وإما بالويل والثبور فمن فكر فيه وفى وحشته، وضيقه وغمته، كان عليه أوسع من الدنيا وأفرج منها، وأبدله الله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله، وجعل القبر خيراً من داره، فأكثروا ذكره فى الآناء والأوقات، وأطيعوا جبار الأرضين والسموات، عساه يجعله لكم روضة من رياض الجنات، ويقيكم فيه الذل والحسرات، وأنشدوا:

قف بالمقابر واذكر إن وقفت بها ... لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يا مغرور موعظة ... وفيهم لك يا مغرور معتبر
كانوا ملوكًا تواريهم قصورهم ... دهراً فوارتهم من بعدها الحفر
الدود يأكل أقوامًا منعمة ... نعم ومن دونها الألواح والمدر
أعن رضاه ذاك عنهم أم على سخط ... هيهات ضلت وحارت فيهم الفكر

بكر بن حماد:

يحكى عن بكر بن حماد رحمه الله أنه خرج يومًا إلى القبور وجعل ينظر إلى امتداد القبور ويفكر فى الأحباب والإخوان، والأصحاب والجيران، ثم بكى حتى طال بكاؤه وبلت دموعه لحيته، ثم جعل يقول:

زرنا منازل قوم لا يزورونا ... إنا لفى غفلة عما يقاسونا
لو ينطقون لقالوا الجد ويحكم ... جدوا الرحيل فقد آوى المقيمونا
الموت أحدق بالدنيا وعزتها ... وفعلنا فعل قوم لا يموتونا
فابكوا كثيراً فقد حق البكاء لكم ... فالحاملون لعرش الله باكونا

فالله الله جدوا فى العمل فإن القبر أمامكم، والموت يطلبكم يفرق ما جمعتم، ويخرب ما قد بنيتم، بقطع الأنفاس، وينقلكم إلى ضيق اللحود والأرماس، فمن قدم إلى القبر عملاً صالحًا وجده روضة من رياض الجنان، ومن لم يكن له عمل وجده حفرة من حفر النيران فاستعدوا له يا معشر الأصحاب والإخوان.

روى عن محمد بن السماك رحمه الله أنه قال: مررت بالمقابر فإذا مكتوب على قبر:

تمر أقاربى جنبات قبرى ... كأن أقاربى لم يعرفونى
وذو الميراث يقتسمون مالى ... وما يألون إن جحدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهم وراحوا ... فيا لله أسرع ما نسونى!

عباد الله أفيقوا من سكرتكم من دار الغرور، وطاعة الشيطان المثبور، واعملوا لضيق اللحود والقبور.

حكاية عن أحمد بن أبى الحوارى:

حكى عن أحمد بن أبى الحوارى رحمه الله أنه قال: خرجت يومًا للقبور فذكرت الموت فى نفسى والبلاء فرأيت شابًا بين القبور قد استفرغه الخوف والبكاء وهو بين القبور منصرف فقلت له: من أين أقبلت أيها الفتى؟ فقال: من هذا المبرز قلت: وأى شىء قلت لهم؟ قال: قلت لهم: متى ترحلون؟ فقالوا: حين تقدمون! ثم ولى عنى وهو يبكى فتبعته فقلت له: أين تريد؟ فقال: ألتمس العيش، فقلت له: كيف تلتمس العيش بين القبور! فقال: وأى شىء هو العيش عندكم؟ قال: المال والبنون وأشباه ذلك من اللذات بالنساء والصبيان، فولى عنى وهو يقول: أف لعيش يعقب أحزانًا، وندامة وأشجانًا، فقلت: وأى شىء هو العيش عندكم؟ قال: إنما العيش عندنا هو الإقرار بتوحيد الله، والوقوف بفناء الله، والخضوع بين يدى الله، والتلذذ بحلاوة مناجاة الله، فهناك تزدحم عليك أعلام الفوائد من الله تعالى وجميل العوائد، قلت له: أخبرنى عن الصادق لله فى حبه متى يشتاق إلى لقائه؟ قال: إذا نزع الله حب الدنيا من قلبه، وتبرم ببقائه بين خلقه، حينئذ يشتاق إلى لقائه، قال: قلت له: أخبرنى عن غاية الرضا بالله تعالى؟ قال: إذا كنت راضيًا بكل ما قدر الله تعالى وقضاه، وأحكمه وأمضاه، وأنه هو المتفضل، على المتقين بفضله، والخاذل لمن شاء بعدله، قلت له: أخبرنى عن غاية العبادة؟ قال: تجمع الهموم فتجعلها همًا واحداً حتى يستوى عندك العمران والخراب، وتكون خائفًا من الله تعالى كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك، قلت له: كيف النجاة من مخالفة الناس؟ قال: إنما الناس رجلان: عاقل وجاهل، فالعاقل اشتغل بعيوب نفسه من عيوب غيره، وقام مجتهداً بطاعة ربه فهو لا يلتفت إليك ولا إلى غيرك، وأما الجاهل فلا يبالى كيف ما كان عليه، فعليك بالبرارى والقفار، والاستئناس بالواحد القهار، قلت: فمن أين القوت؟ قال: تهرب إلى الله تعالى وقد فتح لك باب التوكل عليه؟ ويضيعك حتى تتهمه فى رزقك إنه رءوف رحيم لا يسلمك؟!! ثم تصافحنا وتفرقنا ودعا لى فما رأيت أنور قلبًا منه، ووجد على قبر مكتوب:

تناجيك أجداث وهن سكوت ... وسكانها تحت التراب خفوت

فيا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

عباد الله ارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب فإن القبر لا يرحم من ليس له عمل، ولا يشفق على من غره الأمل، ولا يحن على من ضيع أيام المهل، وأنشدوا:

ما حال من سكن الثرى ما حاله؟ أمسى وقد صرمت هناك حباله
أمسى ولا روح الحياة تصيبه يومًا ولا لطف الحبيب يناله
أضحى وقد درست محاسن وجهه وتفرقت فى قبره أوصاله
واستبدلت منه المحاسن غبرة وتقسمت من بعده أمواله
ما زالت الأيام تلعب بالفتى والمال يذهب صفوه وحلاله

* * *

عيسى والمدينة الخربة:

روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام دخل مدينة خربة فدخل قصراً من قصورها فنادى: يا خراب الأخربين أين أهلك؟ فأجابه شيء من آخر القصر: يا ابن مريم بادوا، فاحتهد ولا تفرط، فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالهم فى رقابهم، وأنشدوا:

قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغموم فى ظلماتها
ومن المكرم منكم فى قفرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لدى العيون فواحد لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة يفضى إلى ما شاء من راحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب فى حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحة فى شدة التعذيب من لدغاتها

عباد الله ما لكم لا تفيقون من غفلاتكم وتنتهون من نوماتكم، وتصحون من سكراتكم، وتملون من شهواتكم، وتدعون الكثير من لذاتكم، وتذكرون هول المقابر، والمصير إلى ضيق الحفائر، فإن ملك الموت لا يأتيكم إلا على ألذ ما تكونوا من طيب عيشكم ولذة دنياكم، فبادروا قبل مبادرته بكم، وأنشدوا:

بناء الفتى فى لهوه وعنائه متبختر يختال فى لذاته
قد غره الأمل الكذوب فهمه فى كل ما يدنيه من شهواته
إذ جاءه ملك النفوس بسكرة تركمته ملقى الجسم بين ثقاته
فتقطعت أسبابه وتخرمت وتنكر المعروف فى حالاته
لا يستجيب لمن دعاه ولا يرى شق الجيوب عليه حين وفاته

* * *

ابن عباس وابن الخطاب:

ذكر فى بعض الأخبار أن عبد الله بن عباس ﷺ دخل على عمر بن الخطاب ﷺ يوم قتل فقال: أبشر يا أمير المؤمنين، قال: بماذا؟ قال: آمنت برسول الله ﷺ حين كفر به الناس، وجاهدت مع رسول الله وهو عنك راض، ولم يختلف فى خلافتك اثنان، وقتلت شهيداً، فقال له عمر ﷺ: أعد على ما قلت، فأعاد عليه، فقال: والذى لا إله غيره لو أن لى ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع(١٨٥)، فإذا كان هذا هو قول عمر ﷺ إمام السنة وحبيب الأمة، وسراج أهل الجنة فى الجنة(١٨٦)، قال هذا عند الفراق والانقطاع وأشفق من هول المطلع، فكيف بأهل اللهو واللعب، والبهتان والكذب، أمثالنا الذين قطعوا أعمارهم فى الذنوب، وأفنوا أيامهم فى معصية علام الغيوب، وغفلوا عن القبور، ولم يفكروا فى هول يوم النشور؟ والله أعلم، وأنشدوا:

أرانى كل يوم فى انتقاص ... وبعد لا يزول وطول هجر
وأيامى تمر بغير شىء ... وعمر المرء فى الأيام يسرى
ألا خطوا على قبرى كتابًا ... وقولوا قبر ذى ظلم وغدر
أتى الدنيا وفارقها فقيرًا ... وكل فتى على ذا النهج يجرى
وقولوا حين أدفن أى عبد ... أتى مولاه فى ذل وفقر

حكى عن داود الطائى رحمه الله أنه مر على امرأة تبكى على قبر وهى تقول:

عدمت الحياة ولا نلتها ... إذا أنت فى القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لذيذ الكرى ... وأنت بيمناك قد وسدوكا

قال داود: فلما سمعت تذكرت فى الأحباب والأخدان، والأصحاب والخلان، لا يرى لهم آثار، ولا على الأرض منهم ديار:

أمر على القبور وأرتقيها ... كأنى ليس لى فيها حبيب
وأكره أن أسائلها فإنى ... أراها حين تسأل لا تجيب

---

(١٨٥) صحيح: رواه ابن حبان فى صحيحه (١٥/ ٣٣٣) والحاكم فى المستدرك (٣/ ٩٨) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٧٧): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(١٨٦) موضوع: انظر تنزيه الشريعة (١/ ٣٣٧) وضعيف الجامع للألبانى (٣٨٠٦) حيث قال: موضوع.

عظة نفيسة:

عباد الله ما مضى من مضى إلى القبور الحالية من الأمم الخالية لتبقوا بعدهم إلا النذر اليسير الذى بقى من أعماركم، ثم تنتبهون إلى القبور، وتخرجون من سعة القصور والدور، والحمد لله يا معشر المؤمنين وجماعة إخوانى المسلمين جدوا واجتهدوا، بالعمل الصالح فاستعدوا، وقدموا لأنفسكم ما تجدوه فى المقابر، وابكوا عليها قبل حلولها فى الحفائر، وأنشدوا:

لكل أناس مقبر بفنائهم ... فهم فى انتقاص والقبور تزيد
وفى محشر الموتى أمام قبورهم ... فما منهم من للحياة يعود

وأنشدوا:

المرء رهن مصائب لا تنتهى ... حتى يوارى جسمه فى رمسه
فمؤخر يلقى الردى فى أهله ... ومقدم يلقى الردى فى نفسه

تذكر أيها المغرور أباك وإخوانك، وتذكر أهلك وجيرانك، وتذكر أحبابك وأخدانك، أين الذين كانوا لك فى الدنيا أحبابًا، وفى أيام حياتك أصحابًا؟ صحبتهم وصحبوك، وذهبوا عنك وتركوك، وأوحشوا الأهل والأحباب، وفارقوا القرابة والأصحاب، قد ضمت أجسادهم المقابر، وغيرت أبشارهم الحفائر وبقيت أرواحهم تنتظر يومًا تبلى فيه السرائر، فمنهم من يجازى بنعيم وخلود، ومنهم من يرد النار وبئس الورد المورود، أين لقمان بن عاد؟ أين ثمود وشداد، أين فرعون ذوى الأوتاد؟ وأين من طغى فى البلاد وأظهر فيها الفساد؟ ذهبت والله تلك الأجناد، وصاروا إلى ظلم القبور على غير مهاد ولا وساد، تذكر أيها الغافل أين الملوك والأكابر، وأين الطغاة الجبابر، وأين الذين جمعوا الأموال والذخائر وقادوا الجيوش والعساكر، وكانت الخطباء تذكرهم على المنابر، وحولتهم والله النوائب إلى الحفائر، وبقوا مرتهنين بأعمالهم فى ظلمات المقابر، ونزلوا على ما قدموا من ذخائر الأعمال قد قطعت الديدان أوصالهم، وغير البلاء أحوالهم، قد سالت العيون منهم على الخدود، وصارت لحومهم قوتًا للهوام والدود، وقسمت من بعد دفنهم فى التراب أموالهم، ونكحت من عدوهم عيالهم، وأنشدوا:

هل كان قبلك للذات مرتاحًا ... لو شفه ذكر ذنب قد مضى ناحا
لله عبد جنى ذنبًا فأحزنه ... فظل حيرانًا يذرى الدمع سفاحًا
فاسفح دموعك عن ذنب أصبت به ... فرب دمع جرى للخير مفتاحًا
ورب عين رآها الله باكية ... خوف القبور ستلقى الروح والراحا

مـسـتـعـبـر قلق مـسـتـيـقظ فطن كـان في قلبـه للنور مـصـبـاحًـا

يا صاحبي دعا التسويف ويحكما واسـتـبـدلا بـفـسـاد الدين إصلاحًا

لا تأمنن وقـوع المـوت إن له لانفسًا من جـميع الخلق مجتاحًا

إن لم يبـيـتـهـم ناداهم سـحـرًا وإن تـأخـر عـن تبكيـرهـم راحـا

لا يترك المـوت بيـتًا حشـوه فـرح إلا أعـاضـهـم ذلاً وأتراحًـا

أهل القـبـور أبينوا عن قـبـوركم هل تستطيعون لي بالرد إفصاحًا

مـاذا لقـيتم ومـاذا بعـد قـيل لكم لمـا فقـدتم من الأجسـاد أرواحًا؟

يعـزز علـيَّ بأبدان منعـمـة أمـسـى بهـا الـدود جـوالاً وسـواحًا

الناس في غـفلة عـمـا يراد بهـم من كـان ذا بصـر فالصبح قـد لاحا

حكاية عن ابن السماك:

حكى عن ابن السـماك رحمه الله أنه حضر يومًا جنازة فلما نظر إلى القبور بكى وقال لأصحابه: معشر الإخوان ألا متأهب لموت يوصف له ويراه أمامه؟ ألا مستعد ليوم فقره ونزوله إلى حفرته وقبره؟ ألا شاب عازم قد بارز لمنيته؟ ألا من ليس يغيره شباب متنه ولا شدة قوته؟ ألا شيخ قد بادر لانقضاء مدته فشمر السير فيما بقى من رمقه؟ ماذا ينتظر من دفن أباه، وقبر أمه وأخاه؟ ما فرح من القبر مأواه، والتراب فراشه وغطاه، وأنشدوا:

ألا إنمـا الدنيـا بلاء وفـتـنة وبينا الفتى فيـهـا مـهـاب مـسـود

إذا انقلبت عنه وزال نعـيـمـهـا فـأصبح من ترب القـبـور يمـهـد

فكن خـائفًا للمـوت والقبـر بعـده ولا تك مـمـن غـره اليـوم أو غـد

حكى عن بعض الصـالحين رحـمـه الله أنه قـال: دخلت على مـريض وهو في شـدة السكرات فقلت له: كيف تجدك؟ فبكى، ثم قال:

رحلت عن الدنيا وقـامت قـيامتي غـداة أقل الحـاملون جنازتي

وعـجل أهلي حـفر قـبري وصيـروا خروجي وتعـجيلي إليـه كـرامتي

كـأنهم لـم يعـرفـوا قط صـورتي غـداة أتي يومي على وسـاعـتي

إخواني ما هذا لمن مضى، بل والله لمن مضى ولمن بقي، لا بد من القبر ووحشته، ومن الموت وسكرته، فانظروا لأنفسكم ما دام النظر ينفعكم، وتفكروا في وحشة القبر ما دام التفكر يباح لكم، من قبل وقوع السكرة ونزول الحسرة، وحيث لا تقال العثرة، فإن الأيام غرور، وهي طريق إلى القبور، وأنشدوا:

مـــا للمـــقـــابر لا تجــــيب إذا دعــــــاهن الــلـبــــــيب
حــفــر يســـتــر فــوقـــهن من الـجـنـادل والـكـثـــــيب
فـــيـــهن أطـفـــال وولدان وشـــــبــــان وشـــــيب
كـم مـن حـــمـــيـم لـم يـكـن نـفـــسى بـفــرقــتـــه تطيب
غـــادرتـه فى بـعـــضـــهـن مـــجـندلاً وهو الـحـــبـــيب

حكاية عن بعض الصالحين:

حكى أن رجلاً من الصالحين رحمه الله حضر جنازة، فلما وضعوها فى قبرها وانصرف أهلها، وقف على قبر صديق له فناداه: يا حبيب، يا فلان الصديق، فلم يجبه أحد، فأنشأ يقول:

أحـبـيب مـا لك لا تجـيب مناديًا أنسـيت بـعـدى جـملة الأحـبـاب

فأجابه مجيب يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم وأنـا رهـين جـنـادل وتـراب
أكل التراب محاسنى ونسيتكم وحجبت عن أهلى وعن أحبابى
فـعليكم منى الســلام تقطعت منى ومنكم عــقــدة الأنســاب

يا مسكين فهذه صفتكم وصفة إخوانكم وأحبابكم وجيرانكم وأصحابكم فاعتبروا بهم وعظوا أنفسكم، وابكوا طول حياتكم أيام وحشتكم، وبعد رقدتكم، وطول غربتكم وانفرادكم فى قبوركم ووحدتكم، فعسى الله مولاكم أن يرحمكم فيؤنسكم فيها بأنس كرامته، وينورها بنور مغفرته، ويجعلها لكم أول منزلة من منازل الجنة، وينجيكم فيها من كل عذاب ومحنة، إنه المنان الكريم، المتفضل الرحيم.

موعظة ابن عباس

روى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: أرحم ما يكون المولى جل جلاله بعبده إذا دخل قبره وتفرق الناس وأهله، فمن أكثر من ذكره وجده روضة من رياض الجنة، وما من يوم إلا والأرض تنادى بخمس كلمات: يا بن آدم تمشى على ظهرى ومصيرك إلى بطنى؟ يا بن آدم تضحك على ظهرى وسوف تبكى فى بطنى، يا بن آدم تفرح على ظهرى وسوف تحزن فى بطنى؟ يا بن آدم تذنب على ظهرى وسوف تعذب فى بطنى؟ يا بن آدم تأكل الحرام على ظهرى وسوف يأكلك الدود فى بطنى؟ يا بن آدم كم من محسود فى حياته يود إذا نزل فى حفرته لو كان كل ما جمعه وخلفه لأعدائه وحساده؟، فكم من تارك لعياله ما يصلحهم لمعاداهم ويكون هو فى قبره أو رمسه مثبوراً، وأنشدوا:

أخلق المـوت جـدتي ومحا حسني البلى
صرت بين النعيم في منزل البعد والقلى
وجفاني أحبتي حين غيبت في الفلا

يا أخي تفكر في تلك الأكفان، وتغير الروائح وصوله الديدان، ونهش العقارب والحيات، والكون تحت أطباق الثرى والظلمات، وانظروا إلى أحبابكم في بسط الأرماس، كيف عدموا الأناس والحراس، وانقطعت عنهم الحركات وسكتت منهم الأنفاس، وأنشدوا:

أتعمى عن الدنيا وأنت بصير وتجهل ما فيها وأنت خبير
وتصبح تبنيها كأنك خالد لقد كان فيما قد بلوت نذير
متى أبصرت عيناك أمر ولم يكن يخبرنا أن البقاء يسير
فدونك فاصنع كما أنت صانع فإن بيوت المتقين قبور

حكاية عن الحسن البصري:

يحكى عن الحسن البصري ﷺ أنه نظر إلى جنازة قد وضعت في لحدها فقال: يا لها من موعظة بليغة لو صادفت قلوبًا حية، والله لقد فضح الموت الدنيا ولم يترك فيها لذي نسب فرحًا، ثم أشار إلى امتداد القبور فبكى، وقال: هؤلاء أهل محلة قد كفى من جلس إليهم شرهم، وإن ترحم عبد عليهم وصل إليهم ما ترحم به، عباد الله اعلموا أن القبور منزلة بين الدنيا والآخرة فاعملوا لمثل هذه اليوم فإنما هم إخوانكم تقدموا وأنتم في الأثر، أيها المتخلف من بعد أخيه أنت الميت من بعده غداً، والباقي بعدك هو الميت في أثرك، الأول فالأول حتى يتوفوا جميعًا فكأنا بكم قد عمكم الموت واستويتم جميعًا في سكراته، وحللتم جميعًا في القبور، إلى يوم النشور، فالله الله تفكروا في طول البلاء في ظلمات بين أطباق الثرى، وأنشدوا:

أخي ما بال قلبك ليس ينقى كأنك لا تظن الموت حقًا
أيا ابن الذين فنوا وبادوا أما والله ما بادوا وتبقى
وما أحد بزادك منك أحصى وما أحد بزادك منك أشقى
وما للنفس عندك مستقر إذا ما استكملت أجلاً ورزقًا

تفكروا في الملوك العتاة، والجبابرة الطغاة، الذين عمروا الدنيا وملكوها وأقطارهم، وسكنوا المشيد من قصورها، كانوا أشد منكم قوة وآثاراً، وأقوى أجساماً وأطول أعماراً، خلفوا ما كسبوا للأهل والأحباب، وعمر ديارهم من بعدهم الأصحاب، وانصرم عنهم الليل والنهار، ونزلوا على ما عملوا من الأوزار، فلو أبصرتموهم بعد قليل في ظلمات القبور وقد

تقطعت منهم الجلود، وتمزقت الخدود، وضيقت على أبدانهم اللحود، واتخذ الخليل من بعدهم خليلاً، وصارت أبدانهم للدود مقيلاً، فتفكر يا أخي وكن إلى التوبة مسرعًا عجولاً، ولا تطع الشيطان إنه كان للإنسان خذولاً، وكونوا أولياء الرحمن ولا تكونوا أولياء الشيطان، فعسى الله أن ينجيكم من عذاب النيران، ويدخلكم برحمته الجنان، وأنشدوا:

اعمل لمثواك في الضريح ... واندم على فعلك القبيح
ولا تقصر وفيك روح ... فسوف تبقى بغير روح
واقرح الخد من دموع ... بالجد من قلبك القريح
والتمس الصفح قبل يوم ... تنقل فيه إلى الصفيح
يا نفس إني غداً طريح ... والتراب يحشى على الطريح
نوحي فلو قد حواك قبر ... لم تقدري فيه أن تنوحي

أحبابي قوموا إلى الحزن والبكاء وإلى طول الأسف والأسى، لعل الله يرحمنا في ظلمات القبر وعسى، فإن القبر ينادي في الصباح والمسا.

قيل: وقف بعض الصالحين في المقابر وأنشأ يقول:

أغضاب أحبابنا أم رقود ... فإلى كم يكون هذا الصدود؟
إن تكونوا قومًا نيامًا فهبوا ... كم تناموا عنا ونحن قعود
أو تكونوا هجرتمونا بذنب ... كان منا فإننا لا نعود

حكي عن بعضهم ﷺ أنه قال: مات لي صديق فاغتممت عليه لما كان فيه من الصلاح والخير وحسن الطريقة، فرأيته بعد موته في المنام فسألته عن حاله فأنشأ يقول:

أنا لكم إخوتي نذير ... من هول ما ضمت القبور
عاينت ما لم تعاينوه ... وإنما يبتلى الخبير
إن الذي حل بي جليل ... جداً فقد أعذر النذير
فإنما أنت في غرور ... فلا يغرنك الغرور
فإن قدامك المنايا ... والقبر والبعث والنشور
إما إلى جنة وإما ... إلى جحيم لها سعير

فالله الله يا معشر الإسلام انتبهوا من ثقل هذا المنام، فإن أمامكم وحشة القبور بعد سكرات هول الحمام، فمن ضيع في البطالة والجهالة أيامه، وكثرت في صحيفته أوزاره وآثامه، فمقام الحسرة غداً في القبر مقامه، وأنشدوا:

أبصـــر وتب يا رجل	قـــد أزف التنقل
إلى محل ضيق	تذهب فيه الحيل
ما لك فيه مؤنس	إلا التقى والعمل
أى غلام قام فى	محرابه يبتهل
يقول فى سجدته	ودمعه ينهمل
يا ظاهر يا باطن	يا مالك لا تعجل
اغفر ذنوبى كلها	فشأنك التفضل
وتب على توبة	فهى المنى والأمل

نباش القبور:

روى عن سعيد بن جبير ﷺ أنه قال: بينما نحن جلوس فى مجلس ابن عباس ﷺ إذ وقف رجل بين يديه فقال: يا بن عباس ما أذل العاصين بين يدى الله تعالى وما أحسن المبادرين إلى طاعة الله تعالى! يا بن عباس ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل، وأشد تخليط من لم يوفق بالرحيل!، قال: ثم خرج، فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له: يا ابن عباس إن هذا الفتى نباش وإنما يتستر بهذه المقالة، فإذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنبش فيعرى الموتى من أكفانهم، قال ابن عباس: لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعينى وألمسه بكفى، فقال له الرجل: إن شئت لأرينك ذلك، فقال: قد شئت، فلما هجم الليل إذ الفتى قد أقبل وفى يده اليمنى قنديل وفى اليسرى غل حتى توسط المقابر، ثم رمى بطرفه شاخصًا وقال: سلام عليكم أهل مضايق اللحود، ومطعم البلاء والدود، ما أبعد سفركم، وما أوحش طريقكم، فليت شعرى ما حالكم، ارتهنتم بأعمالكم، وقطعتم دون آمالكم، بل ليت شعرى أندم الحياة حل بكم، أم فرح البشرى بالقدوم على ربكم؟ سبقتمونا فلبيتم، وأجبتم قبلنا إذ دعيتم، ونحن للقدوم عليكم منتظرون، وللمنهل الذى وردتموه واردون، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه، ورحما إذا صرنا إلى ما صرتم إليه، ثم نزل فى قبر قد احتفره لنفسه فوضع خده على شفير اللحد وجعل ينادى: يا ويلتى إذا دخلت فى قبرى وحدى، ونطقت الأرض من تحتى، فتقول لى: لا مرحبًا ولا أهلاً، ولا سعة ولا سهلاً بمن كنت أمقته وهو على ظهرى، فكيف وقد صرت اليوم فى بطنى، لأضيقن عليك أرجائى، ولأذيقنك مكروه بلائى، ويلى إذا خرجت من لحدى، حاملاً وزرى على ظهرى، وقد تبرأ منى أبى وأمى، بل ويلى من طول كذبى إذا أسمعنى منادى ربى: أين فلان ابن فلان فأبرزت من بين جيرتى، وقد بدت إلى الناس سريرتى، وقمت عريانًا ذليلاً،

وقاسيت كربًا طويلاً، ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض، والوقوف بين يدى جبار السموات والأرض، ويلى إذا وقفت أمام ربى فقال لى: عبدى استترت بمعصيتى عن المخلوقين، وبارزتنى بها وأنا عليك من أكبر الشاهدين، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك؟ ثم خر مغشيًا عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال: يا ذخرى ويا ذخيرتى ومن هو أعلم بطويتى وسريرتى، يا من عليه اعتمادى فى حياتى، ومن إليه ألجأ بعد مماتى، لا تخذلنى بعد الموت، ولا توحشنى فى قبرى يا سامع كل صوت... فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتمالك أن يسعى حتى وقف على شفير القبر وجعل ينادى: لبيك لبيك حبيبى ما أنبشك للذنوب والخطاب، هكذا تنبش الذنوب وتمزق الخطايا، ثم التفت إلى الذى سعى به وقال له: يا عبد الله هكذا فاصنع كلما علمت بمثل هذا النباش، فأرشده إلى ابن عباس، فما أحبه إليه وآثره لديه، يا ليت كل النباشين مثله، وأنشأ يقول:

قف بنا بالقبور نبكى طويلاً — ونداوى بالدمع داء جليلا
فعسى الدمع أن يبرد منا — بعض لوعاتنا ويشفى الغليلا
وننادى الأحباب كيف وجدتم — سكرة الموت بعدنا والمقيلا
لو أطاقوا الجواب قالوا وجدنا — سكرة تترك العزيز ذليلا
بدلوا بعد القصور قبورا — ثم بعد اللباس ردما ثقيلا

عباد الله اعملوا لظلمة القبر قبل فوات العمل، وبادروا بالتوبة قبل انقضاء الأجل، وأشعلوا فى قلوبكم نيران الخوف والوجل، وتزودوا للقبر بينما أنتم فى فسحة ومهل، فإن الموت آت، والعمر فات، والطريق طويل، والزاد قليل، وهول القبر هائل ثقيل. وأنشدوا:

اضرع فى دجى الليل — إلى مولاك يكفيكا
ولا تأمن هجوم الموت — إن الموت يأتيكا
كأنى بالذى يهواك — فى القبر يدليكا
وقد أفردت فى لحدك — فرداً بمساويكا
وأسلمك الذى قد كان — فى الدنيا يصافيكا
فيا سؤلى ويا ذخرى — وكل الخلق راجيكا
ويا من ليس منا أحد — يحصى أياديكا
تجاوز عن مقال ثم — حقق أملى فيكا

يا أخى قم بين يدى مولاك إذا دخل الليل البهيم، واسأله لعله يكفيك فى قبرك العذاب الأليم.

حكاية عن ابن الأسود:

حكى عن الحجاج بن الأسود أنه قال: رأيت فى المنام كأنى دخلت فى المقابر فإذا أهلها نيام فى قبورهم وقد تشققت الأرض عنهم، فمنهم النائم على التراب، ومنهم النائم على القباطى، ومنهم النائم على السندس، ومنهم النائم على الإستبرق، ومنهم النائم على الحرير، ومنهم النائم على الديباج ومنهم النائم على الياسمين والريحان، ومنهم النائم كالمتبسم فى نومه، ومنهم حائل اللون، ومنهم من قد أشرق نوره، ومنهم من قد اشتد كربه، ومنهم من قد اغتم فى ضيق القبر ووحشته، فبكيت فى منامى مما رأيت ثم قلت: يا رب لو شئت لسويت بينهم فى الكرامة! فنادانى مناد من بينهم: يا حجاج هذا الذى تراه من تفاضل الأحوال إنما هى منازل الأعمال، ولكل امرئ منهم ما قدم، فاستيقظ فزعًا مرعوبًا، وأنشدوا:

تحـــرك إن قـــدرت وقم طويلاً	فســوف يطول نومك فى التراب
وحـقق مـا تقـول فـأنت عـبـد	تســـاءل ثم تطلب بالجـــواب
وكـفـر مـا عـملت وكن مـجـدًا	وتب لله تســعــد بالمـتـــاب

عباد الله ليس لكم دواء من جميع أمراض الشهوات إلا التوبة، والندم على ما سلف وحسن الأوبة لعل الله يغفر لكم ما عقدتم عليه من الضمائر، وما طويتم عليه خفيات السرائر، وينور لكم فى ظلمات الأجداث وضيق القبور ووحشة الحفائر، وأنشدوا:

نعت نفسها الدنيا إلينا فأسمعت	ونادت ألا جدوا الرحيل وودعت
وزمت مطايانا إلى برزخ البلى	وساقت بنا سوقًا حثيثًا فأسرعت
سلام على أهل القبور أحبتى	لقد بليت أجسامهم وتقطعت
فما موت الأحياء إلا ليبعثوا	يقينًا وتجزى كل نفس بما سعت

عباد الله ما لكم تدعون إلى الرجوع إلى الله فلا تجيبون، والموت والقبر فلا تذكرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب السامعون والواعظون، وبقى الجاهلون والغافلون، فلا سامع يعى ويسمع، ولا واعظ يداوى وينفع، كل قد شغل بالأمانى والغرور، ونسى الرحيل إلى القبور، ووجد على قبر مكتوبًا:

لا تثق بالحياة من بعد قبرى	كل حى مصيره كمصيرى
كنت فى نعمة وفى خفض عيش	فمضى وانقضى كيوم قصير
ثم أفردت فى القبور وحيدًا	وجفانى الصديق فوق القبور

حديث فى منكر ونكير:

روى أن النبى ﷺ قال لجبريل عليه السلام ليلة الإسراء: «كفى بالموت طامة» فقال جبريل عليه السلام: ما بعد الموت أطم منه وأعظم، فقال رسول الله ﷺ: «وماذا يا جبريل؟» قال: الملكان الأزرقان الأسودان يطآن فى شعورهما، ويخرقان الأرض بأنيابهما، بيد كل واحد منهما عمود لو ضرب به الجبال لقلعها من أصولها، أعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، يبتلى بهما كل مؤمن وكافر فيأتيانه فى قبره فيروعانه ويقعدانه ويعرضان عليه عمله، ويريانه مقعده من الجنة أو النار، فقال ﷺ: «أما الكافر لهما أن يروعانه ويفعلان به ذلك، وأما المؤمن فكيف؟» قال جبريل عليه السلام: كذلك أمر ربك يا محمد فأما الكافر فلا يجد من عذاب الله فترة من حين يدخل قبره، وأما المؤمن فتكون له تلك الروعة كفارة لما مضى من ذنوبه فى الدنيا فإذا خرج من قبره خرج مغفوراً له ثم لا يرى روعة بعدها أبداً(١٨٧).

غـــــرور:

ذكر أن بعض الملوك بنى قصراً وشيده فأعجب بذلك وسر به، فلما كان فى بعض الليل سمع قائلاً يقول:

كأنى بهذا القصر قد باد أهله ... وأوحش منه أهله ومنازله
وصار مشيد القصر من بعد بهجة ... وملك إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه ... تنادى بليل معولات حلائله
فخذ عدة للموات إنك ميت ... وإنك مسئول فما أنت قائله؟

فأجابه الملك وهو يقول:

أقول بأن الله حق شهدته ... فذلك قول ليس تخفى فضائله

فأجابه الهاتف وهو يقول:

تزود من الدنيا إنك ميت ... وقد أزف الأمر الذى أنت نازله

فأجابه الملك وهو يقول:

متى حدثنى هديت فإننى ... سأفعل ما قد قلته وأعاجله؟

فأجابه الهاتف وهو يقول:

تقيم ثلاثاً بعد عشرين ليلة ... إلى منتهى شهر وما أنت كامله

---

(١٨٧) **موضوع**: ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة (١/ ٦٣) وقال: موضوع.

قال: فلم يتم الشهر حتى مات، وقال بعض الشعراء فى هذا المعنى:

تمنت نفسه قصراً مشيداً ... يلذ به ليعمره جديدا

فلما تم عاجله حمام ... فأخرجه إلى جدث فريدا

فقل لذوى الترجح فى الأمانى ... ولا يبغون فى التقوى مزيدا

تهابوا الموت إن له مجالاً ... فما يبقى الكبير ولا الوليدا

ويختطف الملوك ذوى المعالى ... ولا يخشى الجيوش ولا الجنودا

الملك الزاهـــــد:

حكى عن عباد المهلبى أنه قال: كان رجل من ملوك البصرة ترك الدنيا وتعبد. ثم بعد ذلك مال إلى الدنيا وغررها فبنى داراً وشيدها وأمر بفرشها ففرشت الدار ونجدت، وأمر أن يصنع طعام ودعا الناس إليه فجعلوا يدخلون ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويعجبون منه ثم يدعون له ويتفرقون عنه، فمكث بذلك زماناً حتى فرغ من أمر الناس ثم أجلس نفراً من خاصة إخوانه فقال لهم: أترون سرورى بدارى هذه وقد حدثتنى نفسى أن أتخذ لكل واحد من أولادى مثل هذه فاقيموا عندى أياماً أستمتع بحديثكم، فاقاموا عنده أياماً يأكلون ويشربون ويلهون ويلعبون وشاورهم كيف يريد أن يبنى، إذ سمعوا ذات ليلة هاتفاً يقول بصوت جهير:

يا أيها الرجل الناسى منيته ... لا تأمنن فإن الموت مكتوب

على الخلائق إن سروا وإن كرهوا ... فالموت حتم لذى الآمال منصوب

لا تبنين دياراً لست ساكنها ... وراجع النسك كيما يغفر الحوب

قال: فخرج وخرج أصحابه وراعهم ما سمعوا، ثم قال لأصحابه: هل تجدون ما أجد؟ قالوا: وما تجد؟ قال: أجد مسكة على فؤادى وما أراها إلا علة الموت، ثم أمر بالشراب فاهريق وأمر بالملاهى فاخرجت ثم قال: اللهم إنى أشهدك وأشهد ملائكتك ومن حضر من عبادك أنى تائب إليك من جميع ذنوبى، نادم على ما فرطت فى أيام مهلتى، ثم اشتد به الأمر فلم يزل يقول: الموت، حتى خرجت روحه، وتفرق أحبابه عنه وأصحابه، وأنشدوا:

يا عجباً للناس لو أبصروا ... وحاسبوا النفس وقد فكروا

واعتبروا الدنيا إلى غيرها ... فإنما الدنيا لهم معبر

والموعد الموت وما بعده ... حشر فذاك الموعد الأكبر

عجبت للإنسان فى فخره ... وهو غداً فى وحشة يقبر

ما بال من أوله نطفة ... وجيفة آخره يفخر!؟

أصـبح لا يـملك تعـجـيل مـا | يرجـو ولا تأخـيـر مـا يحـذر
وأصـــبح الأمـــر إلى ربه | فى كل مـا يقـضى ومـا يقـدر
لا فـخـر إلا فـخـر أهل التـقى | غـداً إذا ضـمـهم المـحـشـر

موعظة للبهلول:

حكى عن بعض السادات أنه قال: نظر إلى بهلول وأنا أبنى داراً فقال: لمن هذه الدار؟ فقلت: لرجل من كبار أهل الكوفة، فقال: أرنيه، فأريته إياه، فناداه: يا هذا لقد تعجلت البناية قبل العناية، اسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر، اشتراها عبد أزعج للرحيل، كتب على نفسه كتاباً، وأشهد على عقد ضمائره شهوداً، هذا ما اشترى العبد الجافى من الرب الوافى، اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع، فما أدرك المشترى من دارك فيما اشتراه فعلى المولى خلاص ذلك، شهد على ذلك العقد وهو الأمن والخواطر وذلك فى إدبار الدنيا وإقبال الآخرة، ولهذه الدار حدود أربع: فالحد الأول ينتهى إلى مبادئ الصفا، والحد الثانى إلى ترك أخلاق الجفا، والحد الثالث ينتهى إلى مدارج أهل الوفا، والحد الرابع ينتهى إلى السكون والتسليم والرضا فى جوار من على العرش استوى، ولهذه الدار شارع ينتهى إلى دار الخلد والسلام، وخيام قد ملئت بالولدان والخزام ليس فيها أسقام ولا ضر ولا آلام، ولا يذوق ساكن هذه الأماكن سكرات الحمام، يا لها من دار لا ينقضى نعيمها ولا يبيد كريمها، دار أسست فجعل من الدر والياقوت شرف تلك الحدود، وجعل بلاطها من البهاء والنور، وملئ خيامها من جوار بهن كمل السرور، من العين الحور، ليس لهن سوى الدين والتقوى مهور، فترك الرجل قصره وتاب إلى الله عز وجل وهام على وجهه، وجعل البهلول ينادى خلفه ويقول:

يا ذا الذى طلب الجنان لنفسه | لا تهـــربن فـــإنه يعطيكا

وأنشدوا:

طاب المقام وطاب فيه نعيمه | فى دار عـــدن والجليل يراه

فالله الله يا عباد الله لا تغتروا ببناء الدور، وتشييد القصور، فعما قليل تخرب وتخرجون منها إلى ضيق اللحود وظلمات القبور، وأنشدوا:

سـلام على أهل القـبـور الدوارس | كأنهم لم يجلسوا فى المجالس
ولم يشـربوا من بادر المـاء شـربة | ولم يأكلوا من كل رطب ويابس

فيا معشر أهل الدنيا تفقدوا أهل القبور بالدعاء الحسن وتلاوة القرآن.

حديث فى هدية أهل القبور:

فإنه روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من دخل المقابر وقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) عشر مرات وأهدى ثوابها للموتى، غفر الله تعالى للموتى وأدخل فى قبورهم النور والسرور، ويكتب الله تعالى للقارئ بكل ميت مات من يوم أهبط الله آدم إلى الأرض إلى يوم القيامة عشر حسنات»(١٨٨).

الصدقة والدعاء للميت:

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «أهدوا إلى موتاكم» قيل: وما نهدى يا رسول الله إلى الموتى؟ قال: «الصدقة والدعاء»(١٨٩) وما من أهل بيت يموت منهم ميت يتصدقون عنه بعد موته إلا أهداها له جبريل عليه السلام على طبق من نور، فيقف على شفير القبر فيقول: يا صاحب القبر هدية أهداها إليك أهلك اقبلها، فتدخل عليه فيفرح بها ويستبشر، وحزن جيرانه الذين لا يهدى إليهم شىء، فالله الله لا تغفلوا عن موتاكم ولا تنسوهم من الصدقة والدعاء فإنكم تدخلون عليهم بذلك السرور، ويغتبطون بها من القبور.

رجاء الأموات للأحياء:

وقد جاء فى الحديث أن الموتى يرجون الأحياء من الأحباب إلى رأس أربعين سنة، فمن أيأسهم أيأسه الله رحمته، ومن فرحهم أكرمه الله تعالى بتحيته(١٩٠) وفقنا الله وإياكم إلى الأعمال الصالحة، وأعاننا وإياكم على طلب الرغائب والخيرات، آمين برحمته فإنه مجيب الدعوات، وقاضى الحاجات، ومقيل العثرات، وصلى الله على من أخرجنا من الظلمات إلى النور المطهر من الآفات، المجتنى من أطيب الثمرات، وعليه منا أطيب السلام والتحيات، ما دامت الأرض والسموات، آمين آمين فهو مجيب الدعوات وقاضى الحاجات، غافر الذنوب والزلات، آنس الله وحشتى ووحشتكم فى القبور، وآنس روعتى وروعتكم يوم النشور، وأحلنا وإياكم برحمته دار السرور، آمين آمين.

* * *

---

(١٨٨) **ضعيف**: انظر كشف الخفا للعجلونى (٢/ ٣٨٩).

(١٨٩) **موضوع**: رواه البيهقى (٧٩٠٥) وانظر ميزان الاعتدال (٣/ ٤٩٦) ولفظه «الدعاء والاستغفار» ويغنى عنه ما رواه مسلم (١٦٣١) بلفظ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...» ومنها صدقة جارية.

(١٩٠) **ضعيف**: رواه البيهقى (١٠٥٢) وعبد الرزاق (٢٠٥٦١).

المجلس الثالث عشر: في فضل الصيام:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، أيها الغافل عن الثواب الكثير، والساهى عن الملك الكبير، واللاهى عن لباس السندس والحرير، المتقاعد عن اليوم العبوس القمطرير، النائم عما أتى به محمد البشير النذير، الذى أنقذنا الله به من جهنم وحر السعير، يا غافل يا ساهى أتاك شهر رمضان، المتضمن للرحمة والغفران، وأنت مصر على الذنوب والعصيان، مقيم على الآثام والعدوان، متمادى فى الجهالة والطغيان، متكلم بالغيبة والبهتان، متعرض لسخط الرحمن، قد تمكن من قلبك الشيطان، فألقى فيه الغفلة والنسيان، فأنساك نعيم الخلد والجنان، فظللت تعمل أعمال أهل النيران، فإن كنت يا مسكين كذلك فكيف ترجو الفوز بالرضوان، والحلول فى دار الخلد والأمان، والخلاص من دار العقوبة والهوان، وأنت مطعمك حرام، ولباسك حرام، ولسانك لا يفتر عن قبيح الكلام، وبصرك حديد إلى ما حرم من الحرام عليك ذو الجلال والإكرام، ويدك ممدودة إلى ما نهاك عنه الملك العلام، وقدمك تسعى إلى ما هو إثم وحرام، وأنت فى جميع أمورك وأفعالك مخالف للقرآن والأحكام، تارك لسنة محمد ﷺ؟! فجسمك من الجوع متعوب من الفجر إلى الغروب، ويلحقك النصب واللغوب وصومك عن مولاك بالطرد محجوب، وأخاف أن تكون فى النار على وجهك مكبوب، لمخالفتك لعلام الغيوب، فخمص - ويحك - بطنك عن أكل الربا والحرام، واحبس لسانك عن الوقوع فى جماعة الإسلام، وغض طرفك عما هو عليك أعظم من أعظم الآثام، وهو النظر إلى ما لا يحل لك من حرم الانام، وامتثل ما أمرك به أحكم الحكام، وقم بين يديه فى الليل البهيم إذا هجع النوام، وتضرع إليه إذا ادلهم الليل بداجى الظلام، وحينئذ يصح لك القبول لشهر رمضان، وتفوز بالنعيم الأبدى فى دار السلام، وتنجو من الأهوال والعذاب الغرام فليكن - ويحك - بصرك من النظر إلى المحارم معدولاً، وسمعك عن سماع القبيح من القول معزولاً، وبطنك من أكل الحرام محمولاً، وقلبك بالفكرة فى الحسنات والمعاد مشغولاً، وذكر مولاك وسيدك فى لسانك مجعولاً، ومالك فى طاعة العزيز الجبار مبذولاً ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦) وقد أعلمك مولاك أن الشيطان كان للإنسان خذولاً، فلم خنت عهد مولاك وأمانته وكنت لنفسك ظلومًا جهولاً؟ وأنشدوا:

قـل لأهـل الـذنـوب والآثـام قـابلوا بالمـتـاب شـهـر الصـيـام
إنه فى الشـهـور شـهـر جليل واجب حـقـه وكـيـد الزمـام
وأقلوا الكلام فـيـه نهـاراً واقطعـوا ليله بطول القـيـام
واطبـوا العـفـو من إله عظيم ليس يخـفى عليـه فـعل الأنام
كم له فـيـه من إزاحـة ذنب وخـطـايـا مـن الـذنـوب عـظـام
كم له فـيـه من أياد حـسـان عند عـبـد يراه تحت الظلام
كم له فيـه من عـتـيق شـهـيـد آمن فى القـيـام خـزى المـقـام
إن دعـاه مـذلل بخـضـوع وخـشـوع ودمـعـه ذو سـجـام
أين من يحـذر العـذاب ويخـشى أن يصلى الجـحـيم مـأوى اللئـام
أين من يشـتـهى التلذذ بحـور فى جنان الخلود بين الخـيـام
التـمس فى ليلة القـدر واترك التـمـاسًـا لهـا لذيذ المنام
واجـتـهـد فى عـبـادة الله واسـأل فـضـله عند غـفـلة النوام
يا لهـا خـيـبـة لمن خـاب فـيـه عن بلـوغ المنى بدار السـلام
يا إله الجـمـيع أنت بحـالى عـالم فـاهدنى سـبـيل القـوام
وأمـتنى على اعـتـقـاد جـمـيل واتبـاع لمـلـة الإسـلام

فضل رمضان:

فالله الله عباد الله اغتنموا شهر المتاب، وما وعدكم فيه من جزيل الثواب، ومن العفو عن الأوزار وعتق الرقاب، وهو شهر لياليه أنور من الأيام، وأيامه مطهرة من دنس الآثام، وصيامه أفضل الصيام، وقيامه أجل القيام، شهر فضل الله به أمة محمد ﷺ، شهر جعله الله مصباح العام، وواسطة النظام، وأشرف قواعد الإسلام، المشرف بنور الصلاة والصيام والقيام، شهر أنزل الله فيه كتابه، وفتح للتائبين فيه أبوابه، فلا دعاء فيه إلا مسموع، ولا عمل إلا مرفوع، ولا خير إلا مجموع، ولا ضرر إلا مدفوع، شهر السيئات فيه مغفورة، والأعمال الحسنة فيه موفورة، والتوبة فيه مقبولة، والرحمة من الله لملتمسها مبذولة، والمساجد بذكر الله فيه معمورة، وقلوب المؤمنين بالتوبة فيه مسرورة، وأنشدوا:

أيـن أهل القـيـام لله دأبًا بذلوا الجـهـد فى رضـا الجـبـار
أنتم الآن فى ليـال عظام قـدرها زاد على الأقـدار
فـاسـتزيدوا من العـبادة فـيـها تأمنوا اليـوم من عـذاب النار
أين من ركب الذنوب اغـتـراراً لا يخـافـون سطوة القـهـار

قد أهل الهلال من رمضان … شهر زلفى وتوبة وادكار
فاذكروا الله فيه ذكراً كثيراً … واستجيروه من عذاب النار
وارجعوا عن ذنوبكم بمتاب … صادق واقلعوا عن الإصرار
رب من كان مسرفًا مستمرًا … فى خطاياه مكثر الأوزار
ثم إن الإله تاب عليه … فاقتضى حمده سبيل الخيار
فاعملوا أيها المسيئون وادعوا … ربكم جهرة وفى الإسرار
واحذروا غفلة القنوط وداووا … داءها بالرجوع للغفار
تجدوا الله فى المعاد كريمًا … ماحيًّال للذنوب والإصرار

إخوانى هذا شهر ليس مثله فى سائر الشهور، ولا فضلت به أمة غير هذه الأمة فى سائر الدهور، الذنب فيه مغفور، والسعى فيه مشكور، والمؤمن فيه محبور، الشيطان مبعد مثبور، والوزر والإثم فيه مهجور، وقلب المؤمن بذكر الله معمور، وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحل عنكم شاهد لكم وعليكم، مؤذن بشقاوة أو سعادة، أو نقصان أو زيادة وهو ضعيف مسئول، من عند رب لا يحول ولا يزول، يخبر عن المحروم منكم والمقبول، فالله الله أكرموا نهاره بتحقيق الصيام، واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام، فلعلكم أن تفوزوا بدار الخلد والسلام، مع النظر إلى وجه ذى الجلال والإكرام، ومرافقة النبى ﷺ، وأنشدوا:

ألا داع إلى الله المجيب … بقلب من معاصيه معيب
ألا باك لأيام تقضى … بلا عمل ولا قول مصيب
ألا باك على أمد بعيد … يؤديه إلى أجل قريب
فإن الموت يندبنا ويبغى … نفوسًا ليس تألم للذنوب
تنادى للترحل كل يوم … ولا تصغى إلى الداعى القريب
كأن يقيننا بالموت شك … ونلغى الحق بالإفك المريب
وشهر الصوم شاهده علينا … بأعمال القبائح والذنوب
فيا رباه عفواً منك والطف … بفضلك للمحير والكئيب
وهذا الصوم لا تجعله صومًا … يصيرنا إلى نار اللهيب
سلام الله ما هبت عليه … قبول أو شمال أو جنوب

عباد الله هذا أول الصوم قد أقبل عليكم بالمغفرة والرحمة، فلا تصرفوه عنكم بالسخط والنقمة، لأنه شهر عظيم، زكى مبارك كريم، من أطاع فيه الملك الجبار، واتبع فيه السنة والآثار، غفر الله له ما قد سلف من الذنوب والأوزار، وخاصه برحمته من عذاب النار،

وأباحه بلطفه دار الرحمة والقرار، مع مجاورة النبى محمد المختار، صلى الله عليه وعلى آله السادة الأخيار، ومن عصى فيه الملك القهار، وخالف القرآن والآثار، وعمل بأعمال الفجار، ولم يوقر شهراً عظمه الإله الستار، غضب عليه مقدر الأقدار، ولعنه كل شىء يختلج بالليل والنهار، هكذا روى عن الصادق المصدوق محمد المختار، قال الله الملك الجبار:

تقسيم الصوم:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (البقرة: ١٨٣) الصيام ينقسم على أحد عشر ضرباً: صيام الفرض، وصيام الظهار، وصيام القتل، وصيام الوطء فى رمضان، وصيام كفارة اليمين، وصيام فدية الأذى، وصيام التمتع والقران، وصيام إفساد الحج، وصيام كفارة قتل الصيد، وقيام النوافل، وصيام النذر.

والأيام المنهى عن صيامها ستة: يوم الفطر، ويوم الأضحية، وثلاثة أيام بعد أيام التشريق، ويوم الشك.

الصوم اللغوى:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ الصوم ضربان: صوم لغوى، وصوم شرعى، فالصوم فى اللغة هو الإمساك وكل ممسك عن شىء فهو صائم، وذم أعرابى قوماً فقال: يصومون عن المعروف، ويفطرون على الفواحش، قال الله تعالى إخباراً عن مريم عليها السلام: ﴿ **فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا** ﴾ (مريم: ٢٦) يعنى صمتًا، يقال: صام النهار إذا ارتفعت الشمس، ويقال: صامت الخيل وهو قيامها من غير علف ولا حركة، قال الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

أى خيل تصهل وخيل لا تصهل.

صيام الجوارح

وكذلك حقيقة الصيام ترجع إلى اللغة لأن ما من جارحة فى بدن الإنسان إلا ويلزمه الصوم فى رمضان وفى غير رمضان، فصوم اللسان ترك الكلام إلا فى ذكر الله تعالى، وصوم السمع ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه، وصيام العينين ترك النظر والغض عن محارم الله تعالى، لأن النبى ﷺ قال: «من نظر إلى امرأة نظرة حراماً حشا الله عينيه يوم القيامة بمسامير من نار حتى يقضى الله بين الخلق ثم يؤمر به إلى النار إلا أن يتوب»(١٩١) وعلى كل نظرة لفحة من لفحات جهنم.

---

(١٩١) لم أجده.

عقاب نظرة الحرام:

ذكر عن بعض الصالحين أنه نظر على وجهه لمعة سوداء فَسئل عنها، فقال: نظرت يومًا إلى امرأة فتابعت النظرة بأخرى، فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وقد نشر الخلائق في صعيد واحد، وجيء بجهنم ونصب الصراط على متنها، وقال الله تعالى لي: جُز يا عبدى فاقتحمت الصراط فخرج لسان من نار جهنم فأحرق وجهى فأثر فيه هذه اللمعة، فقال الله تعالى: يا عبدى نظرة بنظرة ولو زدت لزدناك، هذا في المنام من نظرة فكيف بمن تابع النظر ولم يغض البصر؟ وصيام اليدين أن تقبضهما عما ليس لك حق ولا ملك، وأن لا تبسطهما إلا بما هو لله عز وجل رضى، وصيام البطن أن تخمصه عن أكل الربا والحرام وعن أكل أموال اليتامى ظلمًا، وصيام القدمين أن لا تسعى بهما في غير طاعة الله عز وجل، لأنه قد قال رسول الله ﷺ: «من مشى في إفشاء عيب أو كشف عورة لمسلم كان أول خطوة يخطوها يضعها الله في النار، وكشف الله عورته يوم القيامة على رءوس الأشهاد ثم يؤمر به إلى النار»(١٩٢) وصيام الفرج القعود عن الفواحش لأن رسول الله ﷺ قال:

عقوبة الزنا:

«من زنى بامرأة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو مسلمة أو كائنة من كانت من النساء فتح الله عليه في قبره ثلاثمائة باب من جهنم، يخرج عليه منها حيات وعقارب من نار جهنم، وشهب من نار فهى تحرقه، وهو معذب مما يلقى من حيات جهنم وعقاربها، ويبعث يوم القيامة وهو يتأذى به الناس من ريح فرجه، ثم يؤمر به إلى النار، وهو يؤذى أهل النار مع ما هم فيه من شدة العذاب»(١٩٣) وقال ﷺ: «من زنى بحليلة جاره المسلم لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام»(١٩٤).

وقال ﷺ: «عفوا تعف نساؤكم»(١٩٥) وما من رجل زنى بامرأة إلا جلد بين يدى الله تعالى يوم القيامة ثمانين سوطًا من نار من بين يديه ومن خلفه ثم هو في مشيئة الله عز وجل.

---

(١٩٢) لم أجده.

(١٩٣) **موضوع**: أورده ابن الجوزى في الموضوعات (٢/ ٢٩٩) والكتانى في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٢٠).

(١٩٤) **ضعيف**: انظر ضعيف الجامع الألبانى (٣١٨٨).

(١٩٥) **ضعيف**: ضعفه الألبانى في السلسلة الضعيفة (٢٠٣٩، ٢٠٤٣).

آفات الزنـــــــا:

وقال ﷺ: «الزنا يورث صاحبه ست خصال: ثلاث معجلات - يعنى فى الدنيا - وثلاث مؤخرات - يعنى فى الآخرة - فأما التى فى الدنيا: فإنها تذهب بالبهاء، وتورث الفقر، وتقصر العمر، وأما التى فى الآخرة: فإنها توجب سخط الله، وسوء الحساب، والدخول فى النار»(١٩٦).

وقال ﷺ: «مررت ليلة أسرى بى على أناس أمامهم موائد حسان وعليها لحم مشوى كأحسن ما يكون من الشواء، وحولهم جيف أنتن ما يكون من الجيف وهم يأكلون فى الجيف ويتركون الشواء، فقلت: حبيبى جبريل من هؤلاء؟، قال: الزناة من أمتك يا محمد تركوا ما أحل الله لهم، وأقبلوا على ما حرم عليهم، فاليوم يطعمون بما يكرهون، ويحرمون ما يشتهون»(١٩٧) ألا وإنه لا أحد أغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش وحد الحدود، وكذلك من عَملَ عَملَ قوم لوط حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيف يتأذى به أهل الجمع، ثم يؤمر به إلى النار، فإذا دخل النار أمر به فأدخل تابوت من نار فيسمر عليه مسامير فوق صفائح التابوت حتى يشد فى تلك المسامير، فلو وضع ما على عرق من عروقه من الآلام والأوجاع على أربعمائة ألف أمة لماتوا جميعًا، وهو أشد من النار عذابًا، ومن تاب ورجع فى حياته، فإن الله يغفر له ولا يسأله عن ذلك بعد وفاته، فهذا صيام الجوارح وهو فرض على كل مسلم أبد الدهر فى رمضان وفى غيره،

فالله الله عباد الله صوموا جوارحكم عن المنكرات، واستعملوها فى الطاعات تفوزوا بنعيم الأبد فى قرار الجنات، والتمتع بالنظر إلى جبار الأرض والسموات.

الصوم الشرعى:

والصوم الشرعى هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع بنية من قبل الفجر، ويجوز صوم رمضان بنية من أوله، فهذا حد الصيام فى اللغة والشريعة.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ (البقرة: ١٨٣) فيه أقوال كثيرة، وأصحها أن المعنى: فرض عليكم الصيام كما فرض على الأمم الماضية التى سلفت من قبلكم، قال مجاهد: هم أهل الكتاب.

روى عن سعيد بن جبير ﷺ أنه قال فى قوله تعالى: ﴿**كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن**

---

(١٩٦) موضوع: ذكره الألبانى فى السلسلة الضعيفة (١٤١) وقال: موضوع.

(١٩٧) لم أعثر عليه.

﴿قَبْلِكُمْ﴾ أنه كان كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل الأكل لم يطعم شيئًا إلى الليلة المقبلة، وحرم عليهم أن يقربوا النساء تلك الليلة، ورخص الله تعالى فى ذلك لهذه الأمة.

وقيل: إشارة الله تعالى بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلى الأمم الخالية، وهذه الآية مدح لأمة محمد ﷺ لأن ما من أمة ولا نبى إلا وقد فرض الله تعالى عليه وعلى أمته صيام شهر رمضان، فآمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم.

وقيل: إشارة الله تعالى بهذا إلى النصارى، وكانوا قد فرض عليهم إذا نام أحدهم من بعد غروب الشمس حرم عليه الطعام والشراب وكان وطء النساء عليهم حرام، حتى بعث الله محمداً ﷺ رحمة لهذه الأمة وفرض عليهم شهر رمضان، فبقى الأمر على تحريم الطعام والشراب بعد النوم، وكذلك تحريم وطء النساء حتى وقع أربعون رجلاً فى الأمر منهم عمر ابن الخطاب ؓ جامعوا نساءهم بعد النوم.

حكاية الأنصارى:

وجاء رجل من الأنصار يكنى أبا قيس واسمه صرمة بن قيس من بنى النجار فصلى مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب والعشاء ثم أتى منزله فقالت امرأته: على رسلك حتى أسخن طعامًا صنعته، فذهبت ثم عادت إليه وقد نام من تعبه فقالت له: الخيبة الخيبة، حرم عليك والله الطعام والشراب، فبات طاويًا وأصبح صائمًا وعمل فى أرضه فأصابه من التعب ما غشى عليه فرآه رسول الله ﷺ يهادى بين رجلين فقال له: «ما لى أراك أبا قيس طليحًا؟» والطليح هو الضعيف - وفى لغة أخرى هو التمايل - فأخبره بخبره فرق له رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه، وكانت قصة الأنصارى أولاً، وكانت قصة عمر والأربعين رجلاً ؓ آخرًا، فأنزل الله تعالى فى قصة عمر وبدأ بها، لأن الجناح فى الوطء هو أكثر منه فى الأكل.

قصة عمر بن الخطاب وغيره:

فأنزل الله فى قصة عمر ؓ وفى الأربعين رجلاً الذين وقعوا فى الوطء هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧) إلى قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧)، وقال الله تعالى فى قصة صرمة بن قيس: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة: ١٨٧) وهذه رحمة الله تعالى لأمة محمد ﷺ.

وقيل: إن النصارى فرض عليهم صيام شهر رمضان فى الإنجيل فكانوا يصومون شهرًا فمرض ملك من ملوكهم فجعل عليهم إن أفاق أن يزيدوا فيه عشرة أيام، فبرأ فزادوا فيه عشرة أيام، فكانوا يصومون أربعين يومًا، فهلك ذلك الملك وجاء ملك آخر فأكل لحمًا

فأوجع فاشتكى فجعل عليه إن برئ يزيد فيه سبعة أيام فبرأ فزادوا فيه، ثم إنه هلك وجاء بعده ملك آخر فقالوا: اجعلوه فى حين لا حر ولا قر فحجبهم الله تعالى عن فضل الشهر العظيم، للإله الكريم الحكيم، وجعلهم من أصحاب الجحيم، وجعل ثوابهم لأمة النبى الرءوف الرحيم.

الأعرابى المجتهد:

روى عن النبى ﷺ أنه جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات فى اليوم والليلة» فقال: هل على غير هذا؟ فقال: «لا إلا أن تطوع» قال رسول الله ﷺ: «وصيام شهر رمضان» قال: هل على غيره؟ قال: «لا إلا أن تطوع» وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال له: هل على غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال النبى ﷺ: «أفلح إن صدق»(١٩٩).

ثواب الصيام:

وروى عنه ﷺ أنه قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢٠٠) فارغبوا رحمكم الله فى هذا الثواب العظيم، والملك الجسيم، وصوموا واحتسبوا ثوابه عند الرب الرحيم، فإنه شهر أنزل فيه القرآن، من عند الملك الرحمن، على النبى محمد ﷺ، فارغبوا فى فضله، وسارعوا إلى القيام بحقه يا أولى العقول والألباب، ولا تعملوا أعمال من خالف السنة والكتاب فما تدرون أترون غيره أم لا.

فضل الصلاة على النبى ﷺ:

وقال رسول الله ﷺ: «أخبرنى جبريل عليه السلام قال: يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر الله له فدخل النار أبعده الله» فقال النبى ﷺ: «آمين، ثم قال جبريل عليه السلام: من أدرك والديه أو أحدهما فلم يغفر له فدخل النار أبعده الله» فقال رسول الله ﷺ: «آمين، ثم قال جبريل: يا محمد من أدرك شهر رمضان فلم يتقبل منه فمات فلم يغفر له فيه فدخل النار فأبعده الله» فقال رسول الله ﷺ: «آمين»(٢٠١)، فالله الله

---

(١٩٩) صحيح: رواه البخارى (٤٦، ٢٦٧٨) مسلم (١١) وأبو داود (٣٩١) الترمذى (٩١٩، ٦٢٥) والنسائى (٤٥٨، ٥٠٢٨).

(٢٠٠) صحيح: رواه البخارى (٣٨، ٢٠١٤) مسلم (٧٦٠) أبو داود (١٣٧٢) النسائى (٢٢٠٣، ٢٢٠٤، ٢٢٠٥) ابن ماجه (١٦٤١).

(٢٠١) صحيح: رواه ابن حبان فى صحيحه (٤٠٩) والترمذى بنحوه (٣٥٤٥) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٥).

إياكم والموت أن يفاجأكم وقد حيل بينكم وبين صيام غيره، وقد فاز العاملون وخسر المبطلون.

صـــــيام الدهـــــر:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله»(٢٠٢) وفقنا الله وإياكم لأعمال البر برحمته، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (البقرة: ١٨٣) سماهم باسمه ورسمهم برسمه، وشرفهم حين عرفهم فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ سهل عليكم بذلك موارد الخطاب، فلما أراد الله جل جلاله أن يكلفهم الصيام الشاق عليهم بدأ الله بأخص أسماء المؤمنين، وأجل صفات العارفين، وأعلى مقام المحبين فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ ثم زاد بيانًا فقال: ﴿ **أَيَّامًا** ﴾ (البقرة: ١٨٤) ثم زاد بيانًا فقال: ﴿ **مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ (البقرة: ١٨٤) ثم زاد بيانًا فقال: ﴿ **شَهْرُ** ﴾ (البقرة: ١٨٥) ثم بين أى شهر فقال: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ** ﴾ (البقرة: ١٨٥) ثم بين ورقق ويسر فقال: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ (البقرة: ١٨٧) ثم بين تمامه فقال: ﴿ **ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ (البقرة: ١٨٧) فكأنه سبحانه وتعالى قال: كتب عليكم الصيام أيامًا فى السنة، ووعدتكم عليها المقام فى الجنة، كتبت عليكم الصيام شهرًا، ووعدتكم الثواب دهرًا، كتب الله الصيام على عبيده، وكتب الرحمة على نفسه، كتب الصيام أيامًا معدودات، وكتب لكم على نفسه الحصول فى الدرجات، كتب عليكم أن تصوموا شهرًا، وكتب لكم بالحسنة عشرًا.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صام رمضان فى إنصات وسكون، وكف سمعه وبصره ولسانه ويده وجوارحه عن الحرام والكذب والغيبة والأذى اقترب من الله تعالى يوم القيامة حتى تمس ركبته ركبة إبراهيم الخليل ولم يكن بينه وبين العرش إلا فرسخ أو ميل»(٢٠٣) شك عطاء بن يسار فى هذا الحديث.

وروى عنه ﷺ أنه قال: «لو أذن الله عز وجل للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة»(٢٠٤) الإشارة فى قوله تعالى: ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ** ﴾ كأنه سبحانه

---

(٢٠٢) **صحيح**: رواه مسلم (١١٦٤) أبو داود (٢٤٣٣) الترمذى (٧٥٩) ابن ماجه (١٧١٦).

(٢٠٣) **موضوع**: ذكره الكنانى فى تنزيه الشريعة (٢/ ١٦٠) وعزاه للحارث بن أبى أسامة فى مسنده وقال: قال الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية بعد إيراده: هذا حديث موضوع.

(٢٠٤) ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة (٢/ ٨٧) وقال: نافع متروك والظاهر أنه سرقه من ابن هدبة، وابن هدبة كذاب.

وتعالى يقول: فريضتى عليكم معدودة، وعطيتى لكم غير محدودة، عبادتكم لى بارزة، وطاعتكم من الحين إلى الحين، وثوابى لكم أبد الآبدين، صيامكم لى من العام إلى العام، وإباحتى لكم من الجنة أحسن المقام.

اعلموا عباد الله أن مولاكم جل جلاله حياكم بشهر الصيام، وشرفكم بملة الإسلام، وجعلكم من خير أمة أخرجت للأنام، بمحمد ﷺ، فلا تدنسوا شهركم بالإفك والزور، وأطيعوا مولاكم الكريم الغفور، تفوزوا فى الجنان بالولدان والحور.

التوبة فى رمضان:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة، فإن الله تعالى قد وكل به ملائكة لا يغلقونه ما دام الصائمون يصومون»(٢٠٥).

أحاديث عدة فى فضل رمضان:

وروى عنه ﷺ أنه قال: «للجنة باب يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون فإذا دخلوا غلق فلم يدخل منه أحدٌ»(٢٠٦).

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن لله ملكًا رأسه تحت العرش -عرش رب العالمين- ورجلاه فى تخوم الأرضين، وله جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب أحدهما من ياقوتة حمراء، والآخر من زبرجدة خضراء ينادى كل ليلة من شهر رمضان: هل من تائب فيتاب عليه، هل من مستغفر فيغفر له، هل من طالب حاجة بحاجته، يا طالب الخير أبشر، ويا طالب الشر أقصر وأبصر»(٢٠٧) فأين أنتم يا إخواننا من هذا النعيم المقيم، وهذا الثواب العظيم، من عند الإله الكريم!؟ ثم اجتهدوا فى هذا الشهر تسعدوا فى باقى الدهر، واجتهدوا فى هذه الأيام القليلة تفوزوا بالنعم الجزيلة والراحة الدائمة الطويلة، اجتهدوا فى شهر رمضان تفوزوا بجنات الرضوان مع الحور الحسان.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة يغشيكم الله فيه بالرحمة، ويغفر فيه الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، وينظر فيه إلى تنافسكم، ويباهى بكم

---

(٢٠٥) **ضعيف**: انظر السلسلة الضعيفة للألبانى (٤٣٢٩).

(٢٠٦) **صحيح**: رواه البخارى (١٨٩٧) مسلم (١٠٢٧) الترمذى (٣٦٧٤) النسائى (٢٢٣٨، ٢٤٣٩).

(٢٠٧) موضوع: ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/ ١٠٣) والسيوطى فى اللآلئ المصنوعة (٢/ ٨٤) وفيه أصرم وهو ابن حوشب كذاب.

الملائكة، فأدوا فيه لأنفسكم خيراً فإن الشقى كل الشقى من حرم فيه رحمة الله تعالى»(٢٠٨) فالله الله عباد الله إياكم والحرمان، والتمادى فى العصيان، ولا ترضوا فى أديانكم بالنقصان، فى الشهر الفاضل شهر رمضان.

* * *

عظيم فضل رمضان:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لو يعلم الناس ما لهم فى شهر رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان» فقالوا: يا رسول الله حدثنا به، فقال: «إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة، فتصفق ورق الجنان فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، فتتزين الحور العين ثم يقفن بين شرف الجنة فينادين: هل من خاطب لنا إلى الله فيزوجه؟ ثم يقلن: يا رضوان ما هذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية: يا خيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان، فتفتحت أبواب الجنان، للصائمين من أمة محمد ﷺ ويقول الله تعالى: يا رضوان افتح أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ، ولا تغلقها حتى ينقضى شهرهم هذا، فإذا كان اليوم الثانى أوحى الله تعالى إلى مالك خازن النار: يا مالك أغلق أبواب النيران عن الصائمين والقائمين من أمة محمد ﷺ، ولا تفتحها حتى ينقضى شهرهم هذا، فإذا كان فى اليوم الثالث أمر الله جبريل عليه السلام أن اهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وعتاة الجن وغلهم فى الأغلال ثم اقذف بهم فى لجج البحار كى لا يفسدوا على أمة محمد حبيبى صيامهم»(٢٠٩) فإذا غلقت فى شهركم أبواب النيران، وفتحت أبواب الجنان، وصفد فيه الملعون الشيطان، فأول أن لا يسكنكم مولاكم دار العقوبة والهوان، وأن يمنحكم بمنه وفضله دار الخلود والرضوان، كما فضلنا بشهر التجاوز والغفران، وهو الكريم المتفضل المنان.

* * *

---

(٢٠٨) ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب (٢/ ٦٠) وقال: رواه الطبرانى ورواته ثقات إلا أن محمد بن قيس لا يحضرنى فيه جرح ولا تعديل.

(٢٠٩) موضوع: رواه أبو يعلى (٥٢٧٣) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ١٤١): رواه أبو يعلى وفى مسنده جرير بن أيوب، وهو ضعيف، وقال ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٥٣٥): هذا حديث لا يصح وكذلك فى الموضوعات (٢/ ١٨٩) وقال: هذا حديث موضوع.

الصيام والقرآن شفيعان:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: رب عبدك منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار شفعنى فيه، ويقول القرآن: رب عبدك منعته النوم بالليل وتلانى وحرم النوم من أجلى فشفعنى فيه فيشفعان»(٢١٠).

ويا أخى إذا كان شهر رمضان فى القيامة شفيعًا فكن لمولاك فيه عبداً سامعًا مطيعًا، وليكن قلبك عن معصيته رفيعًا.

الصيام باب العبادة:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لكل شىء باب وباب العبادة الصيام»(٢١١).

وإذا كان الصيام لعبادة الرحمن بابًا فأولى أن يكون بينكم وبين النار حجابًا، أين من يدل على طريق السعادة! عسى أصل بعد النقصان إلى الزيادة، وألزم نفسى الاجتهاد فى العبادة، وأنشدوا:

ألا خيرًا لمقترح النواح ... أطير إليه منشور الجناح
فأسأله وألطفه عساه ... سيسلى ما بقلبى من جراح
ويجلو ما دجا من ليل جهلى ... بنور هدى كمنسلخ الصباح
سأصرف همتى بالكل عما ... نهانى الله من أمر المزاح
إلى شهر الخضوع مع الخشوع ... إلى شهر العفاف مع الصلاح
يجازى الصائمون إذا استقاموا ... بدار الخلد والحور الملاح
وبالغفران من رب عظيم ... وبالملك الكبير بلا براح
فيا أحبابنا اجتهدوا وجدوا ... لهذا الشهر من قبل الرواح
على الرحمن أن يمحو ذنوبى ... ويغفر زلتى قبل افتضاحى

فضل السحور:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «تسحروا فإن الله يحب المتسحرين والملائكة تصلى على المتسحرين وتستغفر لهم»(٢١٢).

---

(٢١٠) **صحيح**: رواه أحمد (٦٥٨٩) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٨٢).

(٢١١) **ضعيف**: انظر ضعيف الجامع للألبانى (٤٧٢٠).

(٢١٢) **حسن**: رواه ابن حبان (٨٨٠) والرويانى (٥٤٩) والطبرانى فى الأوسط (١/ ٩٩/ ٢٢) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٨٣) بلفظ «السحور أكلة بركة، فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين».

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور»(٢١٣).

ذكر فى بعض الأخبار أن العبد المؤمن إذا قام فى رمضان إلى السحور فتوضأ وصلى ركعتين جعل الله تعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة، فإذا فرغ ودعا أمنوا على دعائه، ويكتب الله تعالى له بعددهم حسنات، ويرفع له فى الجنة بعددهم درجات، ويمحو عنه بعددهم سيئات، ثم لا يزالون يدعون ويستغفرون له إلى يوم القيامة، فالله الله اغتنموا فى هذا الشهر المكرم هذا الثواب العظيم، ولا تقطعوا نهاره بالغيبة وقبح الكلام، وتغفلوا فى ليله عن طول القيام، وتفطروا فيه على السحت والحرام، وتصوموا بجارحة واحدة وتهملوا سائر جوارحكم فى المعاصى والآثام... فاتقوا الله إن الله عزيز ذو انتقام، وأنشدوا:

أتعصى بعد شيب الرأس جهلاً ... كما قد كنت تعصيه غلاما

أراك من التهاون لا تبالى ... ولا ترعى الصلاة ولا الصياما

وتفرح بالفطور ولا تبالى ... حلالاً كان كسبك أم حراما

عباد الله اغتنموا بركة هذا الشهر العظيم، المخصوص بالتفضيل والتكريم الذى بلغنا الله إليه فى صحة من الأجسام، وسلامة من عوارض الأسقام، فالواجب على من عرف قدر هذه النعمة التى سوغها، وتفضل هذه الأيام التى بلغها، يحفظها من التخليط والالتباس، وأن يكف أذاه عن جميع الناس، وأن يحذر لغو الكلام، ولا يبطل فضل الصيام عند الملك العلام.

شدة العقوبة فى رمضان:

وفى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «من سرق فى رمضان أو زنا أو غصب أو انتهك حرامًا أو شرب خمرًا أو تعدى ظلمًا لم يتقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً ولعنه هو وملائكته إلى مثله من الحول»(٢١٤) فكل من يؤذى فى رمضان ويظلم على مثل ما يقدم ويندم حيث لا ينفعه الندم، فكم من صائم عن الطعام مفطر بالكلام، دائب على القيام مؤذ للأنام، فهو من لسانه وفعله موزور وعلى صيامه وقيامه غير مأجور، أين من زاغ عن الهدى، ودالٍ على سبيل الردى، بل أين من رانت الذنوب على قلبه، ولم يبادر بالتوبة من ذنبه، ولم يخف من

---

(٢١٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢٠٨٠٥) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٨٤) بدون الجملة الأخيرة وثبت فى الصحيحين البخارى (١٩٥٧) ومسلم (١٠٩٨) بلفظ «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر».

(٢١٤) **ضعيف**: انظر ميزان الاعتدال (٦٥٦٥).

عذاب ربه، ويحك يا مسكين اغتنم شهر رمضان المتضمن بالرحمة والغفران وانظر لنفسك يا مسكين قبل أن تصل إلى حلقك السكين، وانتبه من نومك يا مغرور فإن ربك كريم غفور، إلى أى وقت تعانق حوبتك، ولأى يوم تؤخر توبتك، إلى حول حائل أو إلى عام قابل، كلا والله ما إليك الأقدار، ولا بيدك المقدار، لعلك إذا انقضى عنك شهر الصوم لم يبق من عمرك إلا يوم، يا هذا إذا أنت صمت فلتصم جوارحك كلها، بطنك عن الحرام، ولسانك من قبح الكلام، وبصرك ويدك وسمعك من الإجرام، واكتساب الآثام.

كف الجوارح عن الشرور:

عباد الله ينبغى لمن أصبح صائمًا أن يقول للسانه: إنك اليوم صائم من الكذب والنميمة، وقول الزور والباطل والغيبة، ولعينيه: إنكما اليوم صائمتان عن النظر إلى ما لا يحل لكما، وللأذنين: إنكما اليوم صائمتان من الاستماع إلى ما يكره ربكما، ولليدين: إنكما اليوم صائمتان من البطش فيمنا حرم الله عليكما من الغش فى البيع والشراء والأخذ والعطاء، وللبطن: إنك اليوم صائمة عن المطعم فانظرى على ماذا تفطرين وتجنبى المطعم الخبيث الذى تدعين إليه فإن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب، وللقدمين: إنكما اليوم صائمتان من السعى إلى ما يكتب عليكما وزره ويبقى قبلكما تباعته وإثمه، ومن وفق لهذا وصبر عليه فقد أوفى بعهد نبيه ﷺ، ومخاطبة ابن آدم لجوارحه بما تقدم وصفه يجب على العبد استعماله أيام صومه وغيرها ما دام حيًا، وهكذا كلما أصبح صباح أو أقبل مساء، وفقنا الله وإياكم لاستعمال ذلك وأمثاله بتوبة صادقة مخلصة عاجلة بكرمه، فالله الله عباد الله امتثلوا فى هذا الشهر المكرم وفى غيره لأوامر الله تعالى وانتهوا عن نواهيه.

أصل رمضان فى اللغة:

قال الله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ**﴾ (البقرة: ١٨٥) فما جعله هدى فلا يكون ضلالة، وما جعله بيانًا فلا يكون جهالة، وما ضعف فيه الأجر فلا تجعلوه بطالة.

شهر رمضان، قيل: سمى رمضان لشدة الحر فيه، وقيل: أُخِذَ من حرارة الحجارة لما يأخذ القلوب من حرارة الموعظة والفكرة والاعتبار بأمر الآخرة، قال الخليل: الرمضاء الحجارة، ورمض الإنسان إذا مشى على الرمضاء، فسمى رمضان بذلك لأن يرمض الذنوب أى يحرقها، وقيل: سمى بذلك لأنه شهر يغسل الأبدان غسلاً، ويطهر القلوب تطهيراً، وهو مأخوذ من الرمض وهو مطر يأتى قبل الخريف، وقيل: رمض ورفض بمعنى واحد وهو من الحروف المتعاقبة، ويرفض قومًا إلى محل القربة والزلفى، ويرفض آخرين إلى محل البعد

والسخطة، وقيل: سمى شهراً لشهرته، وهو شهر الإيقان، وشهر القرآن، وشهر الإحسان، وشهر الرضوان، وشهر الغفران، وشهر إغاثة اللهفان، وشهر التوسعة على الضيفان، وشهر تفتح فيه أبواب الجنان، ويصفد فيه كل شيطان، وهو شهر الأمان والضمان، شهر يخفف فيه عن المملوك، تزهر فيه القناديل، وينزل فيه بالرحمة جبريل، ويتلى فيه التنزيل، ويسمح فيه للمسافر والعليل، شهر رمضان للعباد مثل الحرم فى أم البلاد الحرم يمنع منه الدجال اللعين، ورمضان يصفد فيه مردة الشياطين، شهر رمضان فى الدنيا، مثل الجنان فى العقبى، سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وملكه خلود، متصل ليس يبيد، وفى رمضان بذلك المجهود، ورضا الرب المعبود، وحفظ الحدود، وإظهار الكرم والجود، أقبل الصوم يا مسكين، وكلنا مساكين، وأنت عاكف على ما يسخط الجبار، مُصرٌّ على الآثام والأوزار، عامل بأعمال أهل النار، متشبه بالنساك والأخيار، وأنت فى جملة الفساق والفجار، وقد اطلع على سرك وضميرك عالم الضمائر والأسرار، وشهر الصوم شاهد عليك، والملائكة تلعنك والله لا ينظر إليك، وهو جل جلاله بإعراضك عن الطاعة معرض عنك غاضب عليك، فلا تجعل أيها الصائم شهرك هذا كسائر الشهور، والله سبحانه وتعالى ينظر من عبده إذا لم ير أثراً لشهر رمضان من ملكه لجوارحه يقول جل جلاله: هذا عبدى لا يعرف لشهرى هذا فضلاً، وأنا أعلم الآن له عندى فضلاً.

عظة بليغة:

أفق يا ذا الغى والمحال، واستيقظ يا ذا السهو والإغفال، وانتبه من السكرات الطوال، أترضى يا مسكين أن يرد صومك فى وجهك من غير قبول من الله؟ أتستحسن أن تكون جائعًا عطشان وليس لك جاه عند الله؟ أين النية المجردة؟ أين التوبة المجددة؟، أين الندامة المؤكدة؟ أين الحلال من الطعام؟ أين اجتناب الطعمة الحرام؟ أين حجر الأوزار والآثام؟ أين الرحمة لذوى الفقر والضعفاء، والأيتام؟ أين الإخلاص للملك العلام؟ أين التزام شريعة الإسلام؟، أين الأسوة بالنبى ﷺ؟ انظر يا مسكين إذا قطعت نهارك بالعطش والجوع، وأحييت ليلك بطول السجود والركوع، إنك فيما تظن صائم، وأنت فى جهالتك جازم، وفى صلاتك دائم، وفى بحار سكراتك هائم، أين أنت من التواضع والخشوع؟ أين أنت من الذلة لمولاك والخضوع؟ أتحسب أنك عند الله من أهل الصيام والأمان الفائزين فى شهر رمضان؟ كلا والله حتى تخلص النية وتجردها، وتطهر الطوية وتجودها، وتجتنب الأعمال الدنية ولا تردها، وتكثر البكاء والحسرة، وتسيل الدموع والعبرة، وتلزم الفكرة والعبرة، وتسأل مولاك إقالة العثرة، فحينئذ يكون صيامك لك من الذنوب شفاء، ومن

العيوب سترة وجلبابا، أين الصائمون؟ أين القائمون؟ أين الطائعون؟ أين العاملون؟ أين السابقون؟ أين الخاشعون؟ أين الذاكرون؟ أين القانتون؟ أين الصادقون؟ أين الصابرون؟ أين المتصدقون؟ أين الآمرون بالمعروف؟ أين المغيثون الملهوف؟ أين الناهون عن المنكر؟ أين المستشعرون للفكر؟ أين السامعون للعبر؟ بادوا والله مع الصالحين، وانقلبوا مع المؤمنين، ونزلوا مع النبيين، وسكنوا مع الصديقين، وبقينا والله مع الجاهلين، وسكنا مع الفاسقين وتأسينا بالغافلين، واصطلحنا على معصية رب العالمين، فصيامك يا مسكين فى وجهك مردود وأنت عن رشدك مغيب مفقود، وعن صلاحك ونجاحك غير موجود، وأنت عن باب مولاك مبعد مطرود، وأعمالك بالفسق موصولة، وجوارحك للعصيان مبذولة، وألفاظك فى الغيبة مجعولة، وعزيمتك للطاعة محلولة، وعبادتك فى هذا الشهر غير مقبولة، وفرائض مولاك بالمعاصى مهمولة، وأنشدوا:

الصـــوم جنة أقـــوام من النار	والصوم حصن لمن يخشى من النار
والصوم ستر لأهل الخير كلهم	الخائفين من الأوزار والعار
والشهر شهر إله العرش من به	رب رحيم لثقل الوزر ستار
فصام فيه رجال يربحون به	ثوابهم من عظيم الشأن غفار
فأصبحوا فى جنان الخلد قد نزلوا	من بين حور وأشجار وأنهار

فهنيئًا لمن أطاع الملك الرحمن، فى شهر الرحمة شهر رمضان، لقد فاز بالحور والولدان فى دار السلام والرضوان، صبروا الأيام القليلة، فأعقبهم الراحة الطويلة، والنعمة الجزيلة، كلما تعودت من الخير وما تعمل فى هذا الشهر، جوزيت إلى آخر العمر، فإن الخير عادة، والشر لجاجة، أين أنت يا صائم يا قائم؟ أقبل على الخير تفز بسرور دائم، تاجر مع مولاك فإنك تربح، وعامله فإنك تفلح، واعتذر إليه فإنه يقبل عذرك، واستغفره فإنه يغفر ذنبك، وارغب إليه يكشف كربك، واسأله من فضله فإنه يوسع رزقك، وتب إليه فإنه يعظم حظك، يا أخى هذا شهر تستر فيه القبائح والعيوب، وتلين فيه النفوس والقلوب، وتغفر فيه الأوزار والذنوب، وينفس الله عن الحزين المكروب، يقول المولى جل جلاله لملائكته: يا ملائكتى انظروا إلى الألسن اليابسة كيف تبتل بذكرى، انظروا إلى الأحداق[٢١٥] الصلبة كيف تدمع من خوفى، انظروا إلى الأقدام المنعمة تنصب فى المحاريب ابتغاء وجهى، يا أخى متى أطعمت فى هذا الشهر لله رب الأرضين والسموات رفعت إلى الدرجات فى قرار الجنات، وحصلت مع مولاك مكسيًا من الحسنات عريانًا من السيئات.

---

(٢١٥) الأحداق: جمع حدقة وهى السواد المستدبر وسط العين.

تقسيم الصوم والصائمين:

والصــوم ثلاثة: صوم الروح وهو قصر الأمل، وصوم العقل وهو مخالفة الهوى، وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع، يا أخى من صام عن الطعام والشراب فصومه عادة، ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عدة وعبادة، ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فهو صائم رضى، ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم تقى، ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم رشيد، ومن صام عن المنكر والإغيار وأفطر على الفكرة والاعتبار فهو صائم سعيد، ومن صام عن الرياء والانتقاص وأفطر على التواضع والإخلاص، فهو سالم، ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم، ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد، قال الله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ (البقرة: ١٨٤) يا أخى هذه رحمة مولاك رضى أن ينقص من حقه لئلا ينقص من نفسك وهذه غاية اللطف من مولاك، رخص لك أن تفطر الأيام الطوال بالعذر، ورخص لك أن تفطر متتابعًا، وتقضى إن شئت متفرقًا ليسهل عليك، وتصوم الأيام القصار عوضًا عن الأيام الطوال، وهذا الرفق.

* * *

تمثيل الشهور كإخوة يوسف:

قيل: الشهور الاثنى عشر كمثل أولاد يعقوب عليه وعليهم السلام، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب.

نكت فى ذلك:

نكتة حسنة لأمة محمد ﷺ: إن كان فى يوسف من الحلم والعفو ما غمّر جفاهم حين قال: ﴿**لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾ (يوسف: ٩٢) فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات، والنعمة والخيرات، والعتق من النار، والغفران من الملك القهار، ما يغلب جميع الشهور، وما اكتسبنا فيه من الآثام والأوزار.

نكتة حسنة: الإشارة فيه جاء إخوة يوسف معتمدين عليه فى سد الخلل، وإزاحة العلل، بعد أن كانوا أصحاب خطايا وزلل، فأحسن لهم الأنزال، وأصلح لهم الأحوال، وبلغهم غاية الآمال، وأطعمهم من الجوع وأذن لهم فى الرجوع: ﴿**وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا**

بضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ (يوسف: ٦٢) فسد الواحد خلل أحد عشر، كذلك شهر رمضان واحد، والشهور أحد عشر، وفى أعمالنا خلل وأى خلل، وتقصير وأى تقصير، وتفريط فى طاعة العليم الخبير، ونحن نرجو أن نتلاقى فى شهر رمضان ما فرطنا فيه فى سائر الشهور، ونصلح فيه فاسد الأمور، ويختمه علينا بالفرح والسرور، ونعتصم فيه بحبل الملك الغفور، إن شاء الله تعالى بمنه وإحسانه، وعفوه وغفرانه، إنه سيمع بصير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

أولاد يعقوب ورمضان:

وإشارة أخرى: كان ليعقوب أحد عشر ولداً ذكوراً وبين يديه حاضرين ينظر إليهم ويراهم ويطلع على أحوالهم وما يبدوا من أفعالهم، ولم يرتد بصره بشىء من ثيابهم، وارتد بقميص يوسف بصيراً، وصار بصره منيراً، وصار قويّا بعد الضعف، بصيراً بعد العمى، فكذلك المذنب العاصى إذا شم روائح رمضان، وجلس فيه مع المذكرين وقرأ القرآن، وصحبهم بشرط الإسلام والإيمان، وترك الغيبة وقول البهتان، يصير إن شاء الله مغفوراً له بعدما كان عاصيًا، وقريبًا بعدما كان قاصيًا، ينظر بقلبه بعد العمى، ويسعد بقربه بعد الشقا، ويقابل بالرحمة بعد السخط، ويرزق بلا مئونة ولا تعب، ويوفق طول حياته ويرفق بقبض روحه عند الوفاة، ويفضل بالمغفرة عند اللقاء، ويحظى فى الجنان بدرجات الالتقاء.

فالله الله اغتنموا هذه الفضيلة، فى هذه الأيام القليلة، تعقبكم النعمة الجزيلة، والدرجة الجليلة والراحة الطويلة إن شاء الله، هذه والله الراحة الوافرة، والمنزلة السائرة، والحالة الرضية، والجنة السرية، والنعمة الهنية، والعيشة الرضية، لا تنال إلا بالوقار، لهذا الشهر الذى عظمه الجبار، وفُضل به محمد المختار، ومن لا يوقره كان مصيره إلى النار.

رمضان فى القيامة

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة بينما أنا واقف عند الميزان فيؤتى بشاب من أمتى والملائكة يضربونه وجهًا ودبراً، فيتعلق بى ويقول: يا محمد المستغاث المستغاث بك، فاقول: يا ملائكة ربى ما ذنبه؟ فيقولون: أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يتب فأخذه الله فجأة، فأقول هل قرأت القرآن؟ فيقول: تعلمته ونسيته، فأقول: بئس الشاب أنت، فلا هو يتركنى ولا الملائكة يتركونه، ثم أشفع له من الله تعالى فأقول: إلهى شاب من أمتى، فيقول الله تعالى: إن له خصمًا قويّا يا أحمد، فأقول: ومن خصمه يا رب حتى أرضيه؟ فيقول الله تعالى: خصمه شهر رمضان، فأقول: أنا برىء ممن خصمه شهر

رمضان، ومن يشفع لمن لم يعرف حرمة رمضان؟ فيقول الله تعالى: وأنا برىء ممن أنت برىء منه، فينطلق به إلى النار»(٢١٦) فالله الله عباد الله لا تهونوا شهراً عظم الله حرمته وأوجب حقه وقد فضلكم به عن سائر الأمم، وهو هدية من الله تعالى إليكم، وكرامة تفضل بها عليكم ليغفر لكم ذنوبكم، ويستر عن النار عيوبكم، ويغشيكم منه الرحمة، ويرفع عنكم فيه النقمة، ويفضلكم بجزيل النعمة، ويشرح صدوركم بنور الحكمة.

خسران العاصى فى رمضان

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «سمعت جبريل يقول: سمعت الله عز وجل يقول: يؤتى بشاب يوم القيامة باكيًا حزينًا والملائكة تسوقه بمقامع من حديد ومن نار وهو يقول: الأمان الأمان ألف سنة، ولا أمان له، ثم يساق فيوقف بين يدى الله تعالى فيأمر الله تعالى ملائكة العذاب أن تسحبه على وجهه إلى النار، قلت: يا جبريل من هو؟ قال: شاب من أمتك؟ قلت: وما ذنبه؟ قال: أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يستغفر الله ولم يتب إليه كى يغفر الله له فأخذه الله بغتة»(٢١٧) فالله الله عباد الله اسمعوا بآذانكم وتدبروا بقلوبكم فلعل الله يبلغكم مرغوبكم، ويغفر العظيم من ذنوبكم، هذا شهر كريم وثوابه كريم والموقر له عند الله كريم، ويكرمه الله بجنات النعيم، والمستخف بحقه عند الله لئيم، مأواه فى قرار الجحيم، مع الشيطان الرجيم.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بشهر رمضان والناس فى الموقف فيقولون: من هذا؟ نبى أم رسول أم ملك؟ ما رأينا مثل هذا ولا مثل جماله وحسنه!! فيقوم بين يدى الجبار جل جلاله فيقول: من كان له قبلى حق فليقم،، فيقولون: من أنت؟ فيقول: أنا رمضان» قال النبى ﷺ: «فتقوم أمتى إليه وبيده قضبان من نور تضىء ما بين المشرق والمغرب، فمنهم من يعطى قضيبًا يضىء له مسيرة شهر، وآخر يضىء له مسيرة جمعة، وآخر مسيرة يوم، وآخر مسيرة ساعة، وآخر موضع قدميه، فمن شاء فليوقره، ومن لا يوقره فيُسام عذابًا يصيبه عند الأنوار من الحسرة والندامة»(٢١٨) فيا معشر أهل رمضان وقروا شهراً تنعموا فيه دهراً، ووقروا الخطر اليسير تجازوا بالملك الكبير، ووقروا الأيام القلائل تصيروا إلى الكرامة والفضائل، وقروا اليسير من الأيام تنظروا إلى وجه ذى الجلال والإكرام.

---

(٢١٦) (٢١٧) لم أجدهما.

(٢١٨) لم أجده.

موعظة للحسن البصرى

روى أن الحسن البصرى مر بقوم يضحكون فوقف عليهم وقال: إن الله تعالى قد جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا فالعجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه المسارعون، وخاب فيه الباطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته، فالله الله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبين، فى شهر شرفه رب العالمين، فالله الله اصرفوا ضيفكم رمضان بالكرامة، واحرصوا فيه على طلب طريق الاستقامة، إلى أن يفضى بكم إلى دار الكرامة، والخلد والمقامة، وسرمد العز والكرامة، وينجيكم من هول يوم الطامة.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه الصلاة والسلام، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود عليه السلام، كان ينام من الليل نصفه، ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً»(٢١٩).

الصيام باب العبادة:

روى عن كعب الأحبار ﷺ أنه قال: ليس فى العبادات أفضل من الصيام لأنه باب العبادة، وقد جعل الله تبارك وتعالى هذا الشهر العظيم كفارة للذنب العظيم وليس فى الذنوب إلا عظيم، لأننا إنما نعصى بها الرب العظيم، وقد قالوا: لا تنظر إلى صغير ذنبك ولكن انظر من عصيت! تاب الله علينا حتى لا نعصيه، فالله الله عباد الله غضوا أبصاركم فى هذا الشهر العظيم وفى غيره عن النظر إلى المحظورات، واحبسوا ألسنتكم عن أخذ أعراض المسلمين والمسلمات، وأكثروا فيه من الصدقة على أهل المسكنة من ذوى الحاجات، وقوموا فى لياليكم فيه بكثرة الصلوات، واسكبوا من أعينكم واكف العبرات، وتضرعوا إلى الله فى إقالة العثرات، عساه يبدل سيئاتكم بالحسنات.

فإن قيل: ما الحكمة فى فرض شهر رمضان؟ ففيه أقوال: أحدها: أن الله تعالى أمرنا أن نصوم فيه ونجوع لأن الجوع ملاك السلامة فى باب الأديان والأبدان عند الأطباء والحكماء، وقيل: «ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه»(٢٢٠) والحكمة ملك لا يسكن إلا فى بيت خال.

---

(٢١٩) صحيح: رواه البخارى (١٩٧٧، ١٩٧٩، ٣٤٢٠) مسلم (١١٥٩) الترمذى (٧٧٠) النسائى (١٦٣٠) وابن ماجه (١٧١٢).

(٢٢٠) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٨٠) وابن ماجه (٣٣٤٩) وأحمد (١٦٧٣٥) وصححه الألبانى فى الإرواء (١٩٨٣) والسلسلة الصحيحة (٢٢٦٥).

فضل الجوع:

روى عن يحيى بن معاذ ﷺ أنه قال: من شبع من الطعام عجز عن القيام، ومن عجز عن القيام افتضح بين الخدام، وإذا امتلأت المعدة رقدت الأعضاء عن الطاعات، وقعدت الجوارح عن العبادات، وأنشدوا:

تجوَّع فإن الجوع يورث أهله   عواقب خير عمها الدهر دائم
ولا تك ذا بطن رغيب وشهوة   فتصبح فى الدنيا وقلبك هائم

وروى عن ذى النون المصرى رحمة الله تعالى عليه أنه قال: تجوَّع بالنهار وقم بالأسحار تر عجبًا من الملك الجبار.

وروى عن يحيى بن معاذ ﷺ أنه قال: لو كان الجوع يباع فى السوق لكان المريد محقوقًا إذا دخل السوق أن لا يشترى شيئًا غيره.

والله تعالى قد فضلكم بدين الإسلام، ومن عليكم بشهر الصيام، والله أعلم، وأنشدوا:

وربك لو أبصرت قومًا تتابعت   عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لأبصرتهم قد حاربوا النوم وارتدوا   بأردية السهاد واستعملوا الكدا
وصاموا نهارًا دائمًا ثم أفطروا   على بلغ الأقوات واستقربوا البعدا
أولئك قوم حسن الله فعلهم   وأورثهم من حسن فعلهم الخلدا

قيل: أمرهم المولى جل جلاله بالصيام لأنه ليس على أهل النار شىء أشد من الجوع وذلك أن الله تعالى يلقيه عليهم حتى ينسوا كل العذاب من شدة الجوع، فيستطعمون مالك خازن النار فيأتيهم بطعام الغصة كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ۝ وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً** ﴾ (المزمل: ١٢، ١٣) فيعبر فى حلوقهم فيقولون: إنا كنا نبتلع الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون المهل كما قال تعالى: ﴿ **وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ** ﴾ (الكهف: ٢٩) فأمر الله تعالى أمة محمد ﷺ بصيام هذا الشهر ليصرف عنهم ذلك الجوع، وكذلك أمر الله تعالى بصيامه سائر الأمم، فآمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم، وهذا من لطف الله تعالى على أمة محمد ﷺ، وأنشدوا:

إذا المرء لم يترك طعامًا يحبه   ولم يعص قلبًا غاويًا حيث يمما
قضى وطرًا منه يسيرًا وأصبحت   إذا ذكرت أمثاله تملأ الفما

وقيل: فرض عليهم صيام شهر رمضان لأن الزهد زهدان: زهد فى الحلال وزهد فى الحرام، وأشرفها الزهد فى الحلال، فأمرهم الله تعالى بصوم هذا الشهر حتى يعطيهم ثواب زهد الحلال والحرام، وقيل: حتى يذكروا بشدة الصوم شدة القيامة، لأنه ليس على أهل

القيامة أشد من الجوع، وليعلموا أنه إذا كانت فى طاعة الله شدة، فإن الجوع فى النار أعظم شدة، فالله الله عباد الله اجتهدوا فى حفظ هذا الشهر العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يفوز فيه الصائم، ويحشر فيه المتأنى المتهاون الظالم، إذا عرضت عليه الأوزار والجرائم، وانتهاك المحظورات والمحارم.

سبب فريضة الصيام:

فإن قيل: لم فرض رمضان ثلاثين يومًا؟ فالجواب: إنه قيل: إن الوقوف على الصراط ثلاثين سنة فإذا صمت ثلاثين يومًا أعانك الله بالعافية والسلامة والسعادة والكرامة ثلاثين سنة، فالله الله جدوا واجتهدوا فى هذا الشهر بلا إفراط، وخذوا لأنفسكم بالاحتياط، واحذروا من المكث الطويل على الصراط.

رمضان رسول من الله:

قيل: مثل هذا الشهر كمثل رسول أرسله سلطان إلى قوم، فإن أكرموا شأنه وعظموا مكانه، وشرفوا منزلته، وعرفوا فضيلته، رجع الرسول إلى السلطان شاكرًا لأفعالهم، مادحًا لأحوالهم، راضيًا لأعمالهم، فيحبهم السلطان على ذلك فيحسن إليهم كل الإحسان، وإن استخفوا برعايته، وهونوا لعنايته، ولم ينزلوه منزلته من الإكرام، وفعلوا به فعل اللئام فيرجع الرسول إلى السلطان وقد غضب عليهم من قبيح أفعالهم، وسيئ أعمالهم، فيغضب السلطان لغضبه، كذلك يغضب الله سبحانه وتعالى على من استخف بحرمة شهر رمضان، فيا أيها الإنسان هذا شهر رمضان، شهر التوبة والغفران، وهو رسول من عند الملك الديان، فمن أكرمه منكم حقيقة الإكرام وحفظ فيه لسانه من قبيح الكلام، وبطنه من أكل الربا والحرام، وأموال الأرامل والأيتام، غفر له الملك العلام، وأدخله الجنة مع محمد ﷺ.

أحاديث فى فضل الصيام:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من مؤمن يصبح صائمًا إلا فتحت له الجنة، واستغفر له أهل السماء الدنيا حتى يتوارى بالحجاب فإن صلى ركعتين تطوعًا أضاءت له السموات نورًا وإن سبح وهلل تلقاه سبعون ألف ملك يكتبون تسبيحه إلى أن يوارى بالحجاب»(٢٢١) فآلله الله عباد الله، يا أهل الذنوب، يا أهل المعاصى والعيوب، يا من

(٢٢١) **ضعيف**: رواه الطبرانى فى الأوسط (٧/ ٣٦٨) والصغير (٢/ ٩٢) وذكره الذهبى فى الميزان (٢/ ١١٧) فى ترجمة جرير بن أيوب البجلى الكوفى: هذا موضوع على ابن أبى ليلى، قال ابن عدى: ولجرير أحاديث عن جده أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن الشعبى ولم أر فى حديثه إلا ما يحتمل، وزاد الحافظ ابن حجر فى اللسان (٢/ ١٠١) وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث.

عصى مولاه علام الغيوب، اعملوا فى بقية شهركم ليوم وفاتكم وفقركم، إذا وقفتم بين يدى ربكم.

وروى أن النبى ﷺ كان يقول إذا دخل رمضان: «إن الله قد فرض عليكم شهر رمضان وسننت لكم قيامه، فمن صامه وأقامه إيمانًا واحتسابًا خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه»(٢٢٢) وقال فى حديث آخر: «ومن صامه وأقامه إيمانًا واحتسابًا وجبت له الجنة» فالله الله ارغبوا فيما رغبكم فيه نبيكم وما عرفكم به من ثواب ربكم ورحمته عسى أن يغفر لكم ربكم ويتقبل منكم سعيكم.

وروى أن النبى ﷺ كان يقول إذا دخل رمضان: «مرحبًا بالمُطَهر» قالوا: يا رسول الله وما المطهر؟ قال: «مطهر من الذنوب والخطايا» اللهم اكتب لنا فيه براءة من النار وشريعة من الإيمان، فالله الله تطهروا من ذنوبكم للحلول فى جوار ربكم، واحفظوا العهود فى صيام شهركم، فأدوا زكاة فطركم.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صام رمضان ولم يؤد زكاة الفطر كان صيامه معلقًا بين السماء والأرض حتى يؤديها»(٢٢٣) فالله الله عباد الله اتبعوا ما أمركم به النبى الرسول، وأطيعوا ربًا لا يحول ولا يزول ولا تغيره الأيام ولا الدهور لا إله إلا الله هو العزيز الغفور.

* * *

(٢٢٢) قد سبق تخريجه بلفظ آخر.

(٢٢٣) ضعيف: انظر ضعيف القدير للمناوى (٤/ ١٦٦).

المجلس الرابع عشر:
فى تحريم الخمر وما جاء فيها

قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله: ذكر الله سبحانه وتعالى الخمر فى كتابه فى ثلاثة آيات فذمها فى الاثنتين وحرمها فى الثالثة، فالاثنتان الأولتان منسوختان، والثالثة الناسخة، وذلك أنها كانت تشرب فى أول الإسلام حتى نزل تحريمها بالمدينة وبعد الهجرة، فالناسخة: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠) فهذا تحريم، وكذلك نهى الله فى كتابه كله تحريم فى كل ما نهى عنه، كما أن كل ما أمر به فرض مفترض ألا ترى أنه قرن تحريم الخمر بالأنصاب وهى الأصنام التى كانت تعبد من دون الله، وقد قال تعالى فى آية أخرى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ (الحج: ٣٠) فقد قرن فى نهيه بين الخمر والأصنام التى كانت تعبد من دون الله تعالى، فلما نزل تحريمها بعث رسول الله ﷺ مناديًا ينادى فى المدينة: ألا إن الله قد أنزل تحريم الخمر، إن الله ورسوله يحرمان الخمر، فقال بعضهم - وهم يشربونها - صه صه حين سمعوا المنادى، يقول: اسكتوا حتى تسمعوا ما يقول هذا المنادى، فلما تبينوا منه قوله قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فكفوا عنها وأهرقوا ما بقى عندهم منها، ثم ندموا على ما شربوا منها وتخوفوا أن يكون الله عز وجل قد سخط عليهم، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (المائدة: ٩٣).

تحريم الخمر:

اعلموا أن أول ما عاب الله تبارك وتعالى الخمر فى سورة النحل فى قوله سبحانه: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ (النحل: ٦٧) قال الشيخ: وهذا ظاهره تعداد النعمة، وباطنه تعيير وتقريع وتوبيخ، يقول الله تعالى: رزقتكم ثمرات النخيل والأعناب فاتخذتم منه السكر وعدلتم عن الرزق الحسن فالمفهوم من هذا القول أن الله تبارك وتعالى اسمه عرفكم بمنه ونعمه عليكم، ووبخكم بتغييركم لنعمه فكأنه تبارك وتعالى قال: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ فالمعنى تتخذون من الرزق الحسن سكرًا، وبدلتم الطيب بالخبيث، وهذه غاية الكفر بنعم الله

تعالى أن تستعمل فى معاصى الله تعالى، فلما نزلت هذه الآية وقد أعاب الله تعالى فى الخمر امتنع ناس من شربها، وبقى على شربها الأكثرون، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة.

حمزة عم النبى ﷺ والخمر:

فخرج حمزة بن عبد المطلب ؓ وقد شرب الخمر حتى سكر منها، فلقيه رجل من الأنصار وبيده ناضح له والأنصارى يتمثل ببيتين من شعر كعب بن مالك فى مدح قومه وذكر مفاخرهم وهما:

جمعنا مع الإيواء نصراً وهجرة ... فلم يرج مثلنا فى المعاشر

فأحياؤنا من خير أحياء من مضى ... وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة ؓ: أولئك المهاجرون، فقال الأنصارى: بل نحن الأنصار، فتنازعا، فجرد حمزة سيفه وعدا على الأنصارى، فلم يمكن الأنصارى أن يقوم به، فانهزم وترك ناضحه، فقصد حمزة إلى الناضح فضربه بالسيف فقطعه، ومضى الأنصارى مستعديًا إلى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر حمزة وفعاله بالناضح، فأعطى النبى ﷺ الأنصارى ناضحًا.

عمر بن الخطاب والخمر:

فقال عمر بن الخطاب ؓ: أما ترى ما نلقى من أمر الخمر يا رسول الله؟! إنها مُذْهبة للعقل ومُتلفة للمال، فأنزل الله تعالى بالمدينة: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾ (البقرة: ٢١٩) وقرئ (كثير) والمعنيان متقاربان: ﴿**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ (البقرة: ٢١٩) وعلى هذا معارضة لقائل أن يقول: أين المنفعة؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها»[٢٢٤] فالجواب عن ذلك: أنهم كانوا يتبايعونها من الشام بالثمن اليسير ويبيعونها بالحجاز بالثمن الكثير، وكانت المنافع التى فيها من الأرباح، وكذلك قال الله سبحانه: ﴿**قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾ فانتهى عن شربها قوم وبقى قوم على شربها حتى دعا محمد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى قومًا فأطعمهم وسقاهم الخمر حتى سكروا فلما حضر وقت الصلاة قدموا رجلاً منهم يصلى بهم.

* * *

(٢٢٤) صحيح: رواه البخارى تعليقًا فى كتاب الأشربة باب شراء الحلواء والعسل وأحمد ١٦/١، ٢، والطبرانى فى الكبير (٩٧١٤، ٩٧١٧).

ابن أبي جعونة والخمر:

وكان أكثرهم قرآنًا رجل يقال له أبو بكر بن أبي جعونة وكان حليف الأنصار، فقرأ فاتحة الكتاب و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (الكافرون: ١) فمن أجل سكره خلط فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، وخلط أول السورة بخاتمتها حتى ختم السورة على ذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣) فكانوا يشربونها بعد صلاة العشاء الآخرة ثم ينامون، ثم يشربونها بعد صلاة الصبح فيصحون منها عند صلاة الظهر ثم لا يشربون بعد ذلك حتى يصلوا العشاء الآخرة.

سعد بن أبي وقاص والخمر:

حتى دعا سعد بن أبي وقاص الزهري رجلاً لوليمة عملها على رأس جزور فدعا أناسًا من المهاجرين، فأكلوا وشربوا الخمر حتى سكروا منها فافتخروا، فعمد رجل من الأنصار إلى أحد لحيي الجزور فضرب به أنف سعد ففزره(٢٢٥) فجاء مستعديًا إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)(٢٢٦) الآية، فاختلف العلماء من أهل التفسير في موضع التحريم هل وقع في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١) أو في غير هذا الموضع، وقال قوم من المفسرين: إن التحريم وقع في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة: ٩٠) وقال الأكثرون منهم: بل وقع في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في سورة الفرقان في قوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ (الفرقان: ٢٠) والمعنى اصبروا، وكذلك في الشعراء: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١١) والمعنى اتقوا، وكذلك في سورة يوسف ﷺ وعلى نبينا محمد وسلم قوله: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ (يوسف: ٤٧) والمعنى ازرعوا، وفي سورة الواقعة قوله: ﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَا﴾ (الواقعة: ٨٦، ٨٧) يعني الروح والمعنى ارجعوها، وكذلك قوله في الخمر: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١) والمعنى انتهوا، فقالوا عند ذلك: انتهينا انتهينا يا رسول الله، وهذه من الأخبار التي معناها الأمر، وقال بعض أهل العلم: إن تحريم الخمر في الآية التي في الأعراف قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ﴾ (الأعراف: ٣٣) والإثم: هي الخمر، وقال الشاعر:

---

(٢٢٥) ففزره: شقه.

(٢٢٦) صحيح: رواه مسلم (١٧٤٨) وأبو داود (٣٦٩٦) وأحمد (١/ ٢٨٩).

شـربت الإثـم حـتى ضل عـقلى ... كـذاك الإثـم يذهـب بالعـقـول

وقال آخر:

نشـرب الإثم بالكئـوس جـهـاراً ... نتـرك الهـتك بيننا مـسـتـعـارا

والهتك: الأترنج، فهذه جمل تحريم الخمر وانتقاله فى مواطنه، وأما تحريمها فى الأنعام فى قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ** ﴾ (الأنعام: ١٤٥) فإنه رجس والدم رجس، والميتة رجس، والخمر رجس، بل الخمر أكثر رجساً، بل الميتة أحلت للمضطر ولم تحل الخمر لأحد، والخمر ما خامر العقل فغطاه وإذا غاب العقل حضر الجهل، وإذا حضر الجهل كفر العبد ولا يبالى، أما قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ (الحشر: ٧).

أحاديث فى تحريم الخمر:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «كل مسكر حرام»(٢٢٧) وما أسكر كثيره من جميع الأشربة فقليله حرام.

وفى حديث آخر قال ﷺ: «كل شراب أسكر فهو حرام»(٢٢٨) واعلموا أن أمكن ما يكون الشيطان من العبد إذا شرب المسكر، فإذا تمكن الشيطان من العبد أمره بالكفر وصده عن الإيمان وعن طاعة الرحمن، وأغلق فى وجهه أبواب الخير كله، وأنشدوا:

الخـمـر داعـيـة إلى العـصـيـان ... والخـمـر قـائدة إلى النيـران

والخمر شاربها يصد عن الهدى ... ويبـدل الطاعـات بالعـصـيـان

والخـمـر شـاربهـا حليف ضـلالة ... ويبـدل الإيمـان بالكفـران

شـرب المـدامـة للإله عـداوة ... ومـحـبـة للمـارد الشـيطان

فـبـادروا التـوبة يا أهل الزنا ... وتقـربوا للواحـد الديان

وتباعدوا عن شرب مفتاح الردى ... ومغالق الخيرات فى الإيمان

فـهى المحرمة التى تحريمها ... فى مـحـكم الآيات والقـرآن

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخمر جماع الإثم»(٢٢٩) وهذا الحديث يخرج

---

(٢٢٧) صحيح: رواه البخارى (٤٣٤٣، ٤٣٤٥، ٦١٢٤، ٧١٧٢) مسلم (١٧٣٣، ٢٠٠٢) أبو داود (٣٦٨٤، ٣٦٨٥، ٣٦٨٧) الترمذى (١٨٦٤، ١٨٦٦) النسائى (٥٥٨٢) ابن ماجه (٣٣٨٧).

(٢٢٨) صحيح: رواه البخارى (٢٤٢، ٥٥٨٥، ٥٥٨٦) مسلم (٢٠٠١) أبو داود (٣٦٨٢) الترمذى (١٨٦٣) النسائى (٥٥٩١) ابن ماجه (٣٣٨٦).

(٢٢٩) ضعيف: رواه النسائى (٨/ ٣١٥، ٣١٦) وابن حبان (٧/ ٣٦٧) والبيهقى فى الشعب (٥٥٨٦) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١٢٣٩).

منه قول النبى ﷺ: «ليس بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة»(٢٣٠) وشارب الخمر لا يقبل منه صلاة، فإذا لم يقبل الله منه حسنة واحدة واجتمعت عليه الآثام، فهى جامعة للآثام، قائدة إلى الحرام، قاطعة عن طاعة الملك العلام.

الخمر شر كله:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «الخمر مفتاح كل شر وأن خطيئتها تعلو كل الخطايا كما أن شجرتها تعلو كل الشجر»(٢٣١) فهنا قد قال رسول الله ﷺ «الخمر مفتاح كل شر» وما كان مفتاحًا للشر كله، وكان مغلاقًا للخير كله، فإذا شربتم القهوات وعصيتم رب الأرضين والسموات، وانغلقت عنكم أبواب الخيرات، وانفتحت لكم أبواب المنكرات، وحلت بكم عظائم المصيبات، وغضب عليكم رب الأرباب وسيد السادات، عاقبكم بأشد العقوبات، فى دار المصائب والحسرات، ومحل العذاب والبليات، وأنشدوا:

أهل الخمور من الرحمن قد بعدوا	وفى العذاب على الخسران قد وردوا
بشربهم من إله العرش قد بعدوا	وفى الصدور مع الشيطان قد وقعوا
دع المدامة لا تسلك طريقتها	فأهلها لنعيم الرب قد جحدوا
وقد تواعدهم رب السماء على	شرب الخمور بنار جمرها يقد
غدا ترى أهل شرب الخمر كلهم	بدار ويل على النيران قد وردوا

قول ابن عباس فى السكران:

روى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: من بات سكرانًا بات للشيطان عروسًا، وللعروس حبيبًا، فإذا كنت حبيب الشيطان فأنت عدو الرحمن، وإذا كنت عدو الرحمن فأنت من أهل الهوان، فى سموم النيران.

عباد الله مولاكم قد أمركم بأمره، ونهاكم بنهيه، ومنَّ عليكم برفقه، ووسع عليكم من سعة رزقه، وجعلكم من خير الأمم، وأسبل عليكم جزيل النعم، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه، فإنه ذو انتقام وعذاب، ورحمة وثواب، فأطيعوا مولاكم فى جميع الأمور، ولا تهتكوا أستاركم بشرب الخمور، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، وأنشدوا:

---

(٢٣٠) صحيح: انظر صحيح الجامع (٥٣٨٨).

(٢٣١) ثبت الحديث بلفظ «لا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر» رواه ابن ماجه (٣٧٧١) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣٣٤) وصحيح ابن ماجه (٢٧١٧).

يا شارب الخمر ترجو أن تنال به	عفو الإله وأنت اليوم مطرود
وأنت تشرب دهر الله منهمكًا	وأنت عن طاعة الرحمن مفقود

شربتم الخمور، وعصيتم الرب الغفور، وهتكتم الستور، وركبتم الفواحش والفجور، وتهاونتم بصعاب الأمور، ولم تفكروا فى العرض والنشور، والوقوف بين يدى من يعلم ما تخفى الصدور.

ثمن الخمر خسارة:

ذكر فى بعض الأخبار: ما من عبد أنفق فى الخمر إلا محق الله تبارك وتعالى من رزقه سبعين درهمًا، وجعل الله كل درهم ينفقه فى الخمر سلسلة فى عنقه من نار جهنم، وجعله ثعبانًا يأكله فى قبره إلى يوم القيامة، فإذا خرج من قبره خرج معه الثعبان فلا يفارقه حتى يلقيه فى نار جهنم، وأعظم من هذا أن شارب الخمر لا يكتب له صاحب اليمين حسنة واحدة ولا ينظر الله إليه، وإنما يكتب له صاحب الشمال، لأن رأس العبادات هى الصلاة ولا يقبل من أحد حسنة حتى تقبل صلاته وصاحب الخمر لا تقبل صلاته، فإذا تاب، تاب الله عليه ومحا الله من صحيفته كل ذنب عمله فى حال شربه، وكتب له بكل حسنة عملها ولم تقبل منه يثبتها الله تعالى، وإذا مات من ساعته مات ولا ذنب عليه، ويكون أفضل ممن لم يشربها فى الدنيا، وأنشدوا:

لا تشرب الخمر يا مغرور إن لها	وزراً عظيمًا لدى الرحمن فى الحشر
الخمر تبعد عن حق الإله وعن	شرع الرسول الذى فى محكم الذكر
إن الذى قطع الأيام يشربها	له عذاب شديد كاشف الستر

روى أن النبى أعار عليًا بعيرين ليأتى عليهما بإذخر يستعين به على زفاف فاطمة ﵂، فجاز بهما على ﵁ فأناخهما عند باب حمزة بن عبد المطلب ﵁ واستأجر يهوديًا ليخرج معه، ويأتى بالإذخر، وكان حمزة يشرب، وغنت المغنية غناء تذكر فيه أكباد الإبل، فخرج حمزة فوجد البعيرين على بابه فنحرهما ودخل بأكبادهما، فجاء على ﵁ فوجد البعيرين نحيرين فمضى إلى النبى ﷺ فشكا إليه، فجاء معه ﷺ فلما رأى حمزة النبى ﷺ.

كيف سكر حمزة:

وكان حمزة ﵁ قد أخذت فيه الخمر قال: ألستم بعبيدى؟! فتأخر رسول الله ﷺ وقال: «لست بعبد لأبيك» فقال عمر ﵁: اللهم إن الخمر مفسدة للعقل مذهبة للمال، فانزل اللهم لنا فى الخمر بيانًا، فانزل الله سبحانه: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ**

كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ٢١٩) إثم أى فى تناولها، ومنافع للناس فى ترك تناولها فإذا تركها عبد من عباد الله غفر الله له ما قد سلف.

قراءة السكران:

فقال قوم: نشربها لما فيها من المنفعة، فحانت وقت الصلاة فقدم رجل سكران فصلى بأصحابه فقرأ يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وختم السورة على هذا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه، فقال عمر ﷺ: اللهم أنزل علينا بيانًا فى الخمر، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣) فكانوا يشربونها فى غير أوقات الصلاة حتى كان من أمر سعد بن أبى وقاص ما كان مع الأنصارى - وقد تقدم ذكره - فقال عمر ﷺ: اللهم أنزل علينا فى الخمر بيانًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (المائدة: ٩٠) إلى آخر الآيتين إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١) فقالوا بأجمعهم: انتهينا يا رسول الله انتهينا، فعند ذلك بعث النبى ﷺ مناديًا ينادى فى المدينة، ألا إن الخمر قد حرمت، قال أنس بن مالك: فسمعت النداء وأنا أسقى طلحة فى رهط من الأنصار الفضيخ والبسر والرطب فوالله ما انتظروا حتى قالوا: يا أنس أخرجها عنا فأهريقت فى الحين فانتهوا، فإذا فعل هذا أصحاب رسول الله ﷺ وبادروا إلى التوبة وأطاعوا مولاهم ونبيهم ﷺ فما لكم لا تتأسوا بأفعالهم، وتقتدوا بأعمالهم وتقفوا آثارهم، وتسمعوا أخبارهم وتتركوا الخمر لوجه الله الكريم، فعساه يجعل الجنة مأواكم، ويكرم فى الآخرة مثواكم؟ فراقبوه فإنه يراكم، ويعلم سركم ونجواكم، والله أعلم، وأنشدوا:

لا يشرب الخمر إلا فاجر بطر	قد خالف الله والقرآن والرسلا
بئس الشراب وبئس الشاربون لها	لا يسلكون إلى دنياهم سبلا
هى الدليل إلى دار الجحيم غدًا	بئس الدليل ولا يرجى لهم حولا
إلا يتوب عسى الرحمن يقبله	فتب من الذنب لا تيأس وإن ثقلا

من مات يدمن الخمر

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من مات وهو يشرب الخمر لم يشربها فى الآخرة»(٢٣٢) وهى والله من ألذ نعيم الجنة كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ (محمد: ١٥) يا عدو نفسه يا مسكين حرمت نفسك اللذات، فى قرار الجنات،

(٢٣٢) صحيح: رواه البخارى (٥٥٧٥) مسلم (٢٠٠٣) أبو داود (٣٦٧٩) الترمذى (١٨٦١) النسائى (٥٦٧١) ابن ماجه (٣٣٧٣).

وعصيت رب الأرضين والسموات، بشربك القهوات المحرمات، فى محكم الآيات، ولم تستح من عالم السرائر والخفيات... وأنشدوا:

أكثر الخمر من عيوبى	وزاد حزنى مع الكروب
جل مصابى وضاق ذرعى	واسود قلبى من الذنوب
يا ليتنى تبت باجتهاد	لعالم الجهر والغيوب
الخمر مفتاح كل شر	لكل عاص لها شروب

عذاب شارب الخمر:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «بعثنى الله تعالى رحمة وهدى للعالمين وأقسم ربنا بعزته وجلاله لا يشرب عبد من عبيده جرعة خمر إلا سقيته مكانها من حميم جهنم معذباً أو مغفوراً له، ولا يدعها عبد من مخافتى إلا سقيته رياها من حظيرة الفردوس»(٢٣٣) فيا معشر الإسلام، أطيعوا مولاكم الملك العلام، ولا تخالفوا القرآن والأحكام، واقبلوا نصيحة نبيكم محمد ﷺ، يدخلكم ربكم برحمته دار السلام، وأنشدوا:

إلى الله أشكو ضيق صدرى من الضر	وعظم خطايا كالجبال وكالقطر
لعل إلهى أن يجود بعفوه	وينقذ عبداً عام فى غمرة السكر
ظلوماً غشوماً لا يفارق محرماً	ولا يستفيق الدهر من فتنة الخمر
فيا طول حزنى ثم يا طول حسرتى	لئن لم يجد لى عالم السر والجهر

شارب الخمر فى القيامة:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «والذى بعثنى بالحق إن شارب الخمر يأتى يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى لملائكته: خذوه، فيبتدرون له سبعون ألف ملك فيسحبونه على وجهه فتستقبله الملائكة معها السلاسل فيضربون وجهه فيفتح فاه فيلقى فيه طعام مثل رءوس الشياطين، ولا يكاد يسيغه، فيخرج الدود منه فيتعلق بلسانه ثم يقع فى بطنه، فهى تجرى فيه مثل الوحوش فى البرية»(٢٣٤) أيها المصرون على الجراع والآثام، المسرفون فى شراب المسكر الحرام، أفنيتم أعماركم فى الكذب والزور، وضيعتم أيامكم فى الجهل والغرور، وقطعتم أوقاتكم فى الفسق والفجور، واستعنتم على معصية الله بشرب الخمور، أما علمتم أن الخمر متلفة للمال، مذهبة للبهاء والجمال، عاقبتها إلى وبال، ويئول شاربه

(٢٣٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٢١٧١٥) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥/ ٦٩) رواه كله أحمد والطبرانى وفيه على بن زيد وهو ضعيف.

(٢٣٤) لم أجده.

إلى شر مآل، الخمر أولها لهو ومزاح، وآخرها بكاء ونياح، امرأة تشرب الخمر فى كل وقت مطلقة، وثيابه فى كل حين ممزقة، شارب الخمر خليل الشيطان، شارب الخمر عدو الرحمن، شارب الخمر بعيد عن الإيمان، شارب الخمر قريب من الضلال والخسران، شارب الخمر فى بحار السخط عائم، شارب الخمر على عذاب النار حائم، شارب الخمر مخالف للتنزيل، شارب الخمر مخالف لسنة الرسول عدو للملك الجليل، شارب الخمر ملعون على لسان سيد المرسلين، شارب الخمر مخالف لسنة خاتم النبيين، أما علمت يا من بعد من الإحسان، وتقرب من الفسوق والعصيان، وحل فى سخط المهيمن الديان، أن الخمر موقعه للعداوة والشقاق، قاطعة للخير والأرزاق، قائدة إلى أليم العذاب يوم التلاق، أما علمت أنها تحول بين شاربها وبين الرشاد، وتلقيه فى الضلال والفساد، وتوقع العداوة والبغضاء بين العباد، وتقود إلى العذاب الشديد يوم التناد، وأنشدوا:

الخمر ولادة للشر أجمعه ... ومن ولادتها العصيان والكفر
تعصى الإله إذا ما عشت تشربها ... وتبعد الخير والإحسان والشكر
العبد يشربها واللعن تابعه ... والخزى شامله والويل والعسر

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها والدال عليه»(٢٣٥) يا أخى قد لعن الله كل من نسب إلى الخمر واللعنة هوانًا للعبد، وإذا أبعد الله العبد من جواره أصلاه عذابه وحر ناره، فبادر يا شاربها إلى المتاب، فإن الله قد حرمها فى الكتاب، وتواعد عليها أشد النكال والعذاب، وأنشدوا:

يا من يبيت على شرب الخمور ولا ... يخشى الإله ولا يخشى من النار
تعصى الإله ولا تقضى فرائضه ... عار عليك وما فى التوب من عار
فتب من الخمر للرحمن خالقنا ... وكل ذنب قديم العهد أوتار

الخمر جريمة عظيمة:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من شرب شربة من مسكر لم يقبل الله له صلاة أربعين يومًا فإن تاب تاب الله عليه، والذى بعثنى بالحق من شرب من الخمر ثلاث شربات لا يقبل الله تعالى صلاته مائة وعشرين يومًا، وكان حقًا على الله تعالى أن يسقيه من الخبال»(٢٣٦)

---

(٢٣٥) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٧٤) وأحمد (٢/ ٩٧) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠١٩).

(٢٣٦) صحيح: رواه الترمذى (١٨٦٢) أحمد (٤٨٩٨) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣١٢).

قال عبد الله بن عمر ﷺ: هو صديد أهل النار وقيحهم(٢٣٧)، وفى بعض الأخبار: لو أن قطرة من الخبال ألقيت من السماء السابعة لأخرقت إلى الأرض السابعة ولمات أهل السموات والأرض من النتن، فإنا لله وإنا إليه راجعون على من شرب الخمور، وهتك الستور، وعصى الملك الغفور، وبذل مهجته لعذاب الويل والثبور، وغره بالله عدوه الغرور، وأنشدوا:

تعصى الإله وتأتى الخمر تشربها	وترتجى من إله العرش غفرانًا
وأنت تحوى فعال الخير أجمعها	وقد جمعت من العصيان ألوانًا
فتب ولا تتمادى فى الضلال عسى	تلقى إلهًا كثير العفو رحمانًا

عباد الله أما تستحون ممن أخرجكم من بطون الأمهات، وأسبغ عليكم جزيل النعم والخيرات، وهداكم بفضله إلى الصوم والصلوات، ووعد من أطاعه بالخيرات فى الجنات العاليات، وتواعد من عصاه بالخيبات وشدائد العقوبات، أما علمتم أن الخمر أم الجرائم والسيئات، ومفتاح الكبائر والخطيات، وباب المصائب والرزيات، وموجبة لغضب رب الأرضين والسموات، ومخربة الديار بوقوع الشتات؟ فلا تدنسوا أعمالكم بشرب الخمر الحرام، فإنها أم الكبائر والآثام، ومن شربها فقد خالف القرآن والأحكام، وحل فى سخط الملك العلام، أما تستحى يا مطروداً من باب الله، يا مخالفًا لحدود الله، يا مؤالفًا لأعداء الله، من رب مَنَّ عليك بنعمة الإسلام، وجعلك من خير أمة أخرجت للأنام، واتبعت غيك وهواك، ونسيت النعم التى أولاك، ولم تنته عما عنه نهاك، أهذا جزاء من أحسن إليك، وسترك وأنعم عليك؟ بئس ما صنعت يا من ظل فى المعاصى سرًا وجهرًا، يا من بدل نعمة الله كفرًا، يا من هتك بعصيانه حجابًا وسترًا، يا من حرم بذنبه توفيقًا ويسرًا، يا من أورثه العصيان شرًا وعسرًا، أما تستحى يا مطرود يا من هو عن باب مولاه مردود، يا من خالف الأحكام والحدود، من رب أخرج لك من العدم إلى الوجود، عنبًا حلالاً أخرجه من العود، تعصر منه خمراً تعصى به الملك المعبود؟ ما أجهلك بطريق المتقين، ما أبعدك عن سيرة خير المرسلين، يا قليل الدين، يا ضعيف الإيمان واليقين، يا خليل الشيطان اللعين، ستعلم غداً إذا وقفت بين يدى أسرع الحاسبين، وأمر بك إلى العذاب المهين، فحينئذ تقول: ﴿**يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ**﴾ (الزخرف: ٣٨) اللهم تب علينا حتى لا نعصيك برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

(٢٣٧) انظر التخريج السابق.

المجلس الخامس عشر: فى فضل يوم عاشوراء وما جاء فيه وفى صيامه من الفضل العظيم

اعلموا عباد الله أن الله سبحانه وله الحمد والمنة قد فضل هذه الأمة بفضائل خص بها أمة محمد ﷺ من سائر الأمم، الحكمة فى ذلك أن الله تعالى لما جعل أمة محمد أقصر الأمم أعماراً، جعل لهم هذه الفضائل وهذه الدرجات، ورفع لهم بذلك الدرجات والمنازل فى الجنة، وهى كالأيام البيض من كل شهر، وكيوم عرفة ورجب وشعبان والستة أيام بعد الفطر ومثلها كثير، فهذه أمة قد رفق الله بها وجعل لها من اليسير كثيراً، ووعد لها على ذلك فى الآخرة أجراً كبيراً، فيوم عاشوراء يوم تغفر فيه الذنوب والخطيات، ويتقرب فيه بالصدقات، وأفعال الخيرات إلى عالم الخفيات، وصومه سنة مستحبة لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صام يوم عاشوراء أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك وثواب عشرة آلاف شهيد، وثواب كل حاج ومعتمر فى ذلك العام، وثواب تسبيح ملائكة السبع سموات ومن فيهن»(٢٣٨).

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة صيام أيامها، وقيام لياليها، وكأنما حج واعتمر سبعين مرة»(٢٣٩) فالله الله عباد الله تقربوا إلى الله فى يوم عاشوراء بما استطعتم من نوافل الخير وسبل البر فإن يوم عاشوراء يوم يوصل فيه الرحم، ويضاعف الأجر للمؤمن السخى الكريم، ويجزى الله جل جلاله معطى الزكاة جنات النعيم ويبذل فيه السخط على الشقى اللئيم، الذى يمنع الزكاة المفروضة فى القرآن الحكيم، فالله الله معشر المؤمنين، وجماعة الموحدين ارغبوا فى هذه الفضيلة الجزيلة تفوزوا بالنعمة الدائمة الطويلة، التى ليس لها زوال ولا انقطاع، ولا لصاحبها عنها صد ولا امتناع.

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أفطر عنده مؤمن فى يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم، ومن مسح على رأس يتيم فى يوم عاشوراء رفع الله له بكل شعرة على رأسه درجة فى الجنة، ومن كسا فيه مسكيناً فكأنما كسا مساكين

---

(٢٣٨) موضوع: ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/١١٤) والسيوطى فى اللآلئ المصنوعة (٩٢/٢).

(٢٣٩) انظر التخريج السابق.

أمة محمد ﷺ وكساه الله سبعين حلة من حلل الجنة»(٢٤٠) فقال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله صلى الله عليك لقد فضلنا الله عز وجل بيوم عاشوراء؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم يا عمر خلق الله السموات والأرض في يوم عاشوراء، واللوح كمثله، وخلق جبريل في يوم عاشوراء، وملائكته كمثله، وخلق آدم في يوم عاشوراء، وحواء كمثله، وخلق الجنة في يوم عاشوراء، وأسكن آدم الجنة في يوم عاشوراء، وولد إبراهيم عليه السلام في يوم عاشوراء، ونجاه الله من النار في يوم عاشوراء، وهداه الله في يوم عاشوراء، وأغرق الله فرعون في يوم عاشوراء، ورفع عيسى في يوم عاشوراء، ورفع الله إدريس في يوم عاشوراء، وولد عيسى ابن مريم في يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم في يوم عاشوراء، وغفر ذنبه في يوم عاشوراء، واستوت سفينة نوح على الجودي في يوم عاشوراء، وأخرج يوسف من السجن في يوم عاشوراء، وتاب الله على قوم يونس في يوم عاشوراء، وأعطى سليمان الملك يوم عاشوراء، ويوم القيامة يوم عاشوراء»(٢٤١) ويروى أن أول مطر ينزل من السماء يوم عاشوراء.

الغسل يوم عاشوراء

وقال رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض إلا مرض الموت، ومن اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عيناه في تلك السنة كلها، ومن عاد مريضًا يوم عاشوراء، فكأنما عاد جميع ولد آدم عليه السلام وعلى جميع الأنبياء الكرام، ومن سقى مؤمنًا شربة من ماء يوم عاشوراء فكأنما سقى جميع ذرية آدم وكانوا عطاشًا، ومن صلى يوم عاشوراء أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة غفر الله له خمسين عامًا ماضيًا، وخمسين عامًا مقبلاً، وبنى الله له ألف منبر من نور الله»(٢٤٢) عباد الله ارغبوا في فضل هذا اليوم المرغوب فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والذنوب، ويستر عليكم ما آتيتم من القبائح والعيوب.

روى أن موسى عليه السلام قال: مكتوب في التوراة: من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله، ومن تصدق يوم عاشوراء فكأنما لم يترك سائلاً إلا أعطاه، ومن كسا فيه عريانًا فكأنما كسا جميع خلق الله، ومن مسح على رأس يتيم فكأنما مسح رءوس اليتامى وغرس الله له بكل شعرة على رأسه سبعمائة شجرة تحمل من الحلي والحلل عدد نجوم السماء، ومن أرشد فيه ضالاً دفع الله عنه ظلمة القبر وملأ قلبه نورًا، ومن كظم فيه غيظًا كتب من

---

(٢٤٠) موضوع: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١١٥) وقال: هذا حديث موضوع بلا شك.

(٢٤١) انظر التخريج السابق.

(٢٤٢) موضوع: انظر الأحاديث الموضوعة (١/ ٧٥).

الراضين بقسم الله تبارك وتعالى، ومن شهد جنازة يوم عاشوراء فله بكل شيء خلقه الله وهو خالقه درجات في الجنة، ومن ترك فيه شهوة وأطعمها أخاه المسلم لم يقبض روحه ملك الموت حتى يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها، ومن اغتسل في يوم عاشوراء كان عند الله طاهرًا، ومن قرأ في كتاب الله آية ليلة عاشوراء أو في يومها أعطى من الثواب مثلما أعطى لإدريس عليه السلام، ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة الملائكة المقربين، ومن بكى يوم عاشوراء أو ليلة عاشوراء أو فاضت عيناه من خشية الله تعالى كتب الله له نصيبًا في عباده الخائفين، ومن أتى عالمًا في يوم عاشوراء ليسمعه أو يتعلم منه مسألة في دينه وما ينفعه لآخرته أعطى مثل ثواب المهاجرين والأنصار، وأوجب الله له الجنة ويكتب له الملكان الحسنات إلى يوم عاشوراء من العام الذي يأتي، ومن صام يوم عاشوراء محتسبًا عالمًا بفضله سخر الله له بكل ساعة من ليله ونهاره من ذلك اليوم الذي صامه مائة ألف ملك يدعون له يوم القيامة، ومن أراد صيام يوم عاشوراء وأصبح فيه آكلاً وهو لا يعلم فليمسك عن الأكل في بقيته وله فضله كاملاً إن شاء الله تعالى.

النفقة على العيال(٢٤٣):

وتستحب النفقة في ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء رجاء فضل الله وطلبًا لمرضاته ولوجوب البركة فيه، فإنه روى أن من أنفق فيه درهمًا أخلف الله له سبعمائة، وكل درهم ينفق فيه في طاعة الله فهو عند الله تعالى أثقل من الأرضين السبع.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: أكثروا خير بيوتكم في ليلة عاشوراء ويومه ووسعوا فيه على أهاليكم فيما يحل ويجمل، فمن لم يجد فيوسع خلقه - أظنه مع قرابته - وليعف عمن ظلمه.

بنو إسرائيل وعاشوراء:

وكان يوم عاشوراء يصومه بنو إسرائيل ويعظمونه(٢٤٤)، وكانت قريش تصومه في الجاهلية(٢٤٥) فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه إلى أن فرض شهر رمضان فجعل الله تعالى هذا الخير كله لأمة محمد ﷺ، فيوم عاشوراء يوم يتقبل الله فيه

---

(٢٤٣) لم يرد في فصل التوسعة على العيال في يوم عاشوراء إلا حديث ضعيف بلفظ «من وسع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله عليه في سنته كلها» والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٧٣).

(٢٤٤) صحيح: رواه البخاري (٢٠٠٤) مسلم (١١٣٠).

(٢٤٥) صحيح: رواه البخاري (٢٠٠٢) مسلم (١١٢٥).

الحسنات، وترفع فيه الدرجات المرتفعات، وتخلف فيه النفقات، وتكثر فيه البركات، ويفرح فيه أهل الفاقة والحاجات، يوم عاشوراء يوم تظهر فيه الأعمال، ويوسع فيه على العيال، وتزكو فيه الأفعال والأقوال، ويرحم فيه عبيده ذو الإكرام والجلال، يوم عاشوراء يوم توصل فيه الأرحام، وتربح فيه الكرام، وتخسر فيه اللئام لمخالفتهم القرآن والأحكام، وعصيانهم الملك العلام، يوم عاشوراء تفرح فيه الأرامل والأيتام، ويرحم فيه ذو الجود والإنعام، ويغفر فيه السيئات والإجرام، ويوجب لمن أطاعه دار الخلد والسلام، فالله الله عباد الله إياكم أن يضرب الشيطان على قلوبكم الأقفال، ويصدكم عن سبيل الكريم المتعال، ويفتح في قلوبكم أبواب الفقر لتمنعوا الزكاة من أموالكم ويئول بكم - إن أطعتموه - شر مآل، يا أخي البخيل صاحب الشيطان الذليل، يمنع الزكاة، ويقل النفقات، ويفوت نفسه جميع الخيرات، فعيشه في الدنيا عيش الفقراء، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء، فيا معشر المؤمنين كونوا كرامًا، ولا تكونوا لئامًا، فإن الكرام في جنة الخلد والنعيم، واللئام في عذاب الجحيم، فتقربوا إلى الله في هذا اليوم بأداء الزكاة، وتطوعوا فيه بالنوافل من الصلوات، فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والسيئات.

صيامهم له:

روى عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا فيه على عيالكم وأهليكم»(٢٤٦) فمن وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فمن صام هذا اليوم كان له كفارة أربعين سنة وما من أحد أحيا ليلة عاشوراء أو أصبح صائمًا إلا مات ولم يذق طعم الموت، يا أخي إن العجوز لتغزل يوم عاشوراء لتبقى بركة غزلها إلى العام القابل، فاعمل أنت في هذا اليوم من الطاعات لتبقى بركته عليك ليوم القيامة، وما من عبد مؤمن أنفق في يوم عاشوراء درهمًا أو مثقالاً إلا أخلف الله تعالى عليه في دنياه سبعين ضعفًا مثل ما أنفق، وجعل نفقته زاده إلى الجنة فالله الله عباد الله اصنعوا في هذا اليوم المعروف، وأعينوا الضعيف وأغيثوا الملهوف، يغثكم الرب الرحيم الرءوف.

---

(٢٤٦) موضوع: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١١٣) والسيوطي في الآلئ المصنوعة (٢/ ٩٢).

كل معروف صدقة:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «كل معروف صدقة، والمعروف يقى سبعين نوعًا من البلاء ويقى ميتة السوء»(٢٤٧) والمعروف والمنكر منصوبان للناس فى المحشر يوم القيامة، فالمعروف لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى الجنة، والمنكر لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى النار، أعاذنا الله وإياكم من النار، فالله الله احرصوا أن تكونوا من أهل الجنان، ولا تكونوا من أهل النيران، واجتهدوا فى الخير والزيادة، ولا ترضوا بالنقصان.

أهل المعروف:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف وجوهًا من خلقه، حبب إليهم المعروف، وحبب إليهم فعاله، ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه، كما يسر الغيث إلى الأرض المجدبة ليحييها ويحيى أهلها، وأن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض إليهم المعروف وبغض إليهم فعاله، وحظر على طلاب المعروف الطلب إليهم وحظر عليهم إعطاءه، كما حظر الغيث عن الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها، وما يغفر الله عز وجل أكثر»(٢٤٨) فالله الله يا أولياء الله يا أهل المعروف، فكونوا من أهل المعروف، وأعينوا الفقير وأغيثوا الملهوف، فعسى الله أن يغيثكم يوم البعث إنه رحيم رءوف.

إخراج الزكاة:

وهذا اليوم المبارك الشريف يوم عاشوراء لما جعل الله فيه من الخلف والخيرات، واعلموا أنه لما عظم الله تعالى يوم عاشوراء وجعل فيه الخلف والخيرات استحب للمؤمنين فيه إخراج الزكاة، وما من أحد من المؤمنين والمؤمنات لم تجب عليه زكاة ماله فأعطى فى يوم عاشوراء أو تصدق من اليسير الذى معه رغبة فى فضل يوم عاشوراء إلا كتب من أهل الزكاة ولم يخرج من الدنيا حتى يعطى مالاً حلالاً يزكى عليه، فإياكم يا معشر المؤمنين والمؤمنات أن يخدعكم الشيطان اللعين، لأنه قد جاء فى الخبر أن العبد إذا هم بإخراج درهم لوجه الله تعالى فتح الشيطان فى قلبه سبعين بابًا من الفقر حتى يحول بينه وبين إخراجه، فإن من الله تعالى على العبد وأعانه حتى يغلب عدوه وشيطانه كان كمن هزم

(٢٤٧) **ضعيف**: رواه ابن عدى (٢/ ٢٤٩) والدارقطنى (٣٠٠) والحاكم (٢/ ٥٠) والفقرة الأولى صحيحة انظر صحيح الجامع (٤٥٥٥).

(٢٤٨) **ضعيف جدًا**: رواه الديلمى فى مسند الفردوس (٥/ ٤١١) وضعفه الألبانى فى الضعيفة (٢٨٤٩) وضعيف الجامع (١٥٩٢) وقال: ضعيف جدًا.

عسكرًا من المشركين وقتلهم، ويدل على صحة هذا القول أن عليَّ بن أبى طالب ﷺ كان إذا آن أوان الزكاة وعزم على إخراجها لبس درعه، وتقلد بسيفه، وأخذ رمحه، وركب فرسه فتقول الصحابة ﷺ: ما لك يا أبا الحسن لبست آلة حربك؟ فيقول: أنا خارج إلى محاربة الشيطان أخاف أن يمنعنى إخراج الزكاة، فجهاد الشيطان هو الجهاد الأكبر، والشيطان لعنه الله يريد أن يردك إلى فقر نفسك، ويصدك عما وعدك ربك جلا جلاله حيث قال عز وجل: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة: ٢٦٨) والله واسع العطاء لأنه جل وتعالى لا ينقص من ملكه ما يخلف على العبد المؤمن الذى يؤدى الزكاة ويتصدق من فضل ماله، وقوله تعالى: ﴿**عَلِيمٌ**﴾ أى عليم بما يفعله العباد من الخير والشر، فمن أنفق من مال الله ووسع منه على عياله وعباد الله كان له الخلف من الله تعالى، يقول المولى جل جلاله: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ (سبأ: ٣٩) فالله الله عباد الله ثقوا بمولاكم جل جلاله فى الخلف، ولا تطيعوا الشيطان الذى يعدكم الفقر والتلف.

اللعنة على مانع الزكاة:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل من السماء فى كل يوم اثنان وسبعون لعنة على مانعى الزكاة من هذه الأمة وقد سماهم الجليل جل جلاله كفاراً فى قوله تعالى: ﴿**وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ (فصلت: ٦، ٧)[(٢٤٩)]، وقد ذكر بعض العلماء أن الله تعالى لما أخرج الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام عزل منهم الأغنياء من أهل البدو والحضر، وعزل أموالهم، ثم قال جل جلاله: هذه أموال أعطيتها لكم وجعلتكم عليها أمناء فلا تشتغلوا بها عن أداء فرائضى وحقوقى، ثم عزل الفقراء من أهل البدو والحضر وحرر أرزاقهم على قدر آجالهم وأخرها وجعلها فى أموال الأغنياء، وقال لهم عز وجل: هذه أرزاق الفقراء من عبادى وديعة فى أموالكم إياكم أن تقتروا وتمسكوا عنهم أموالهم وأرزاقهم فيحل عليكم غضبى وسخطى فإنى قد ائتمنتكم عليها.

وقال رسول الله ﷺ: «ما من يوم إلا وملكان يناديان تحت العرش: المال مال الله والعباد عباد الله فإن جاع الفقراء عذب الله الأغنياء»[(٢٥٠)] فالله الله عباد الله أوفوا لديه بالعهود، وارغبوا فى دار النعيم والخلود، ومجاورة الملك المعبود.

---

(٢٤٩) (٢٥٠) لم أجدهما.

من شبع وجاع جاره:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعانًا وجاره جائعًا»(٢٥١) وقد جاء فى الحديث: «إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول: يا رب سل هذا الغنى لم منعنى معروفه؟ وسد بابه دونى»(٢٥٢) وفى حديث آخر أنه يقول: «يا رب سل هذا لم بات طاعمًا وبت إلى جنبه طاويًا» ومما يصدق هذا أن رسول الله ﷺ قال لأسامة بن زيد فى وصيته: «يا أسامة إياك وكل كبد جائعة تخاصمك عند الله فإنه يقول: ما آمن بى من بات شبعانًا وجاره طاويًا إلى جنبه»(٢٥٣)... وقال رسول الله ﷺ: «أيما رجل كان له جار مسلم بات جائعًا وهو يعلم بجوعه وعنده فضل ولم يشبعه فقد برئ من ذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ»(٢٥٤) فيا لها من خسارة لم نتدبرها بعقولنا، فكم بين أظهرنا من مسكين وضعيف وزمن لا يمتلكون قيمة رغيف، فالله الله لا تغتروا بالعز والمال، وتضيعوا الفقراء وأهل الإقلال، فإن غاية كل شيء الانقلاب والانتقال، والنفاد والزوال، وقد ذكر فى تفسير هذه الآية: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ (البقرة: ٦١) قيل: يحرص العبد على جمع الحطام، والسحت والحرام، وكل من أدى زكاة ماله فهو كريم، قد برئ من وعد الشيطان الرجيم، ووثق بوعد العزيز الرحيم، ونجا من العذاب الأليم.

حديث فى ذم الشح

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اتقوا الشح فإنك أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»(٢٥٥) وأنشدوا:

صافى الكريم فخير من صافيته ... من كان ذا كرم وكان عفيفًا
إن الكريم وإن تضعضع حاله ... فالفعل منه لا يزال شريفًا

روى عن النبى ﷺ أنه كان يطوف بالبيت فإذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لى، فقال رسول الله ﷺ: «ما ذنبك؟ صفه لى» فقال الرجل: هو أعظم من أن أصفه لك يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم الأرضون؟» قال: بل ذنبى يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم الجبال؟» قال:

---

(٢٥١) سبق تخريجه.

(٢٥٢) لم أجده.

(٢٥٣) **موضوع**: ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٢/٣٣٤) والسيوطى فى اللآلئ المصنوعة (٢/٢٦٠).

(٢٥٤) سبق تخريجه.

(٢٥٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٨).

بل ذنبى يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم السموات» قال: بل ذنبى يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «ذنبك أعظم أم الله» قال: بل الله أعظم وأجل، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك فصف لى ذنبك» قال: يا رسول الله إنى ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتنى يسألنى شيئًا فكأنما يستقبلنى بشعلة من نار، قال رسول الله ﷺ: «إليك عنى لا تحرقنى بنارك، والذى بعثنى بالهدى والكرامة لو أقمت بين الركن والمقام، ثم صليت ألف عام وألف عام، حتى تجرى من دموعك الأنهار، وتسقى بها الأشجار، ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله فى النار، ويحك أما علمت أن البخل كفر والكفر فى النار، وويحك أما علمت أن الله تعالى قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)»(٢٥٦) وأنشدوا:

إن البخيل إذا ما مات يتبعه ... سوء الثناء ويحوى الوارث الإبلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة ... إن الجواد يرى فى ماله سبلا

عظة فى الحض على الزكاة

فالله الله يا معشر المؤمنين كونوا من الأسخياء الصالحين، ولا تكونوا من البخلاء الفاسقين، فالبخيل هو شريك الشيطان اللعين، قال الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ (الإسراء: ٦٤) فكل مال لا تؤدى زكاته فصاحبه خازن الشيطان، وكل مال أخرجت زكاته فصاحبه عدو الشيطان، حبيب الرحمن، عامل بالنسة والقرآن، وناج من عذاب النيران، وداخل نعيم الجنان، فكل من مات وترك مالاً قد أدى زكاته فإن صاحبه لا تزال الملائكة تكتب له الحسنات إلى يوم القيامة، وكل من مات وترك مالاً ولم يؤد زكاته فلا يزال وزره يجرى عليه إلى يوم القيامة، وإن وصله وقع المال عند من يزكيه، وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب من نفسه إلا جعل الله ذلك المال يوم القيامة طوقًا من نور الجنة يضىء لأهل الجمع من المؤمنين حتى يجوزوا الصراط ويدخل به الجنة، وما من عبد لا يؤدى زكاة ماله إلا طوقه الله يوم القيامة بطوق من نار جهنم، لو أن ذلك الطوق وضع فى الدنيا لاحترقت الدنيا كلها، وتقطعت جبالها، وجفت بحارها، فوالله لو لم يكن فخر الكريم السخى إلا ذكر الله تعالى له فى كتابه لكفى فى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩) فاغتنموا هذا اليوم الفاضل

(٢٥٦) ذكره الفاكهى فى أخبار مكة (٢/ ٢٨٢) وهو يخالف الأحاديث الصحيحة الكثيرة المتواترة من أن التوبة لا تنقطع إلا بالموت أو بطلوع الشمس من مغربها.

فهو يوم تعرف فيه الكرام وتفضح فيه اللئام، وهذا يوم عاشوراء يوم تواترت فيه الأخبار عن رسول الله ﷺ، وهو يوم النفقة فى الله فيه مخلوفة، والنفقة فيه فى غير الله متلوفة، فإذا كان هذا اليوم تخلف فيه النفقات، فأولى أن تغفر فيه الخطيئات، وتضاعف فيه الحسنات وينجى الله فيه المؤمنين من العذاب والعقوبات، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، وتظهر فيه السرائر والخفيات، وأنشدوا:

يا جامع المال يرجو أن يدوم له   كل ما استطعت وقدم للموازين

ولا تكن كالذى قد قال إذ حضرت   وفاته ثلث مالى للمساكين

روى أن النبى ﷺ سئل أى الصدقة أفضل؟ فقال: «أن تتصدق وأنت صحيح حريص شحيح، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا»(٢٥٧).

من خلف ثروة لبيت المال:

ذكر أن رجلاً مات بالمدينة من أهل اليمن وخلف مالاً كثيرًا فأخبر بخبره رسول الله ﷺ فقال: «هل من وارث؟» فقالوا: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: «من لا وارث له فماله لبيت مال المسلمين» فأمر رسول الله ﷺ أن يحضر المال، فجىء بالمال إلى المسجد فوضع حتى غاب رسول الله ﷺ من الجانب وغاب الناس من الجانب الآخر من حلى وذهب وورق وثياب، فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا المال إلى بيت مال المسلمين» فرفع كما أمر رسول الله ﷺ، فالتفت عبد الله بن عمر ﷺ فى المسجد فوجد فرصة من ذهب فيها قيراط فقال: يا رسول الله هذه من ذلك المال، فأخذها رسول الله ﷺ ووضعها فى كفه وجعل يقلبها فى يده ثم قال ﷺ: «لو تصدق بها فى حياته حين كان صحيحًا شحيحًا يأمل العيش ويخشى الفقر كانت أحب إليه من هذا المال كله يعطى من بعده فى سبيل الله» فالله الله عباد الله اسمعوا صواب المقال، وبادروا إلى حسن الفعال، ولا تغتروا بالعز والمال، فإن المال يذهب، والدنيا تخرب، ونفسك تموت، والمرد غداً إلى الحى الدائم الباقى الذى لا يموت، واعلم يا أخى أنك مرتهن بالذنوب، وأنت محاسب مطلوب، مسئول بين يدى علام الغيوب، فاستعد للسؤال، وتهيأ للجدال، فى يوم تشيب فيه الرءوس، وتضيق من فظاعة هوله النفوس، وذلك يوم هائل عبوس، يوم تضع فيه الحوامل أحمالها، وتزلزل الأرض زلزالها، وتخرج بأمر الله بعد ذلك أثقالها، يا مغرور يا مسكين، ظلمت الفقراء والمساكين،

(٢٥٧) صحيح: رواه البخارى (١٤١٩) مسلم (١٠٣٢) النسائى (٢٥٤٢، ٣٦١١) ابن ماجه (٢٧٠٦) أحمد (٩١١٤).

وتركت مالك للوارثين، ولم تخف من عقوبة رب العالمين، يوم يقتص للمظلومين من الظالمين، وأنشدوا:

يا جامع المال لأولاده	يخشى عليهم شمت حساده
ولا يبالى كيف كان الغنى	يغتر بالله وإيعاده
اسمع مقالاً سوف تحظى به	إن أنت لم تعمل بأضداده
بنوك إن لاذوا بمولاهم	وتابعوا منهاج إرشاده
فالله يكفيهم ويحميهم	والله لا خلف لميعاده
وإن يحيدوا عن سبيل الهدى	وقابلوا الدين بإفساده
فقد يكن مالك عونًا لهم	فى طاعة اللهو وأجناده

قيل: وقف رجل فى حلقة منصور بن عمار فى يوم عاشوراء فقال: أيها الناس رحم الله من تصدق من فضل، وأنفق من كفاف، وآثر فى فاقة، فقال لهم منصور: معشر الناس ما ترك منكم أحداً، فلم يكن أحد فى المجلس إلا واساه، قال منصور بن عمار: اللهم عجل لهم بالخلف فى الدنيا والثواب الجزيل فى الآخرة، قال منصور: فلقد افتقدت أهل مجلسى كلهم واحداً بعد واحد بعد ذلك بعام فما منهم إلا من قال: أخلف الله على سبعين ضعفاً مما أعطيت، قال منصور: فأخذتنى عيناى فنمت فرأيت قائلاً يقول: أبشر يا منصور قد غفرت لك فأنت الذى دللتهم على الخير، فالله الله يا عباد الله تفضلوا على أنفسكم بأموالكم، فليس أحد منكم أحق بها من نفسه.

تحذير من البخل:

ذكر فى بعض الأخبار أن ملكًا ينادى كل يوم تحت العرش: الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير، وقدم على الله بشر، وأنشدوا:

لا تؤثرن بما جمعت سواكا	الموت لا تدرى متى يغشاكا
إن البنين مع البنات رأيتهم	يتطلعون ويشتهون فناكا
من كان يعلم أن مالك ماله	بعد الممات فلا يحب بقاكا

فالله الله عباد الله اجتهدوا وارغبوا فى ثواب يوم فضله الرحمن، ووعد من أدى زكاة ماله جنة الرضوان، وأناب مؤدى الزكاة إخلاص الإيمان، وذم مانع الزكاة وجعله من أهل الكفر والخذلان، وبين ذلك فى القرآن. وأنشدوا:

يا جامع المال فى الدنيا لوارثه	هل أنت بالمال بعد الموت تنتفع
قدم لنفسك قبل الموت فى مهل	فإن حظك بعد الموت ينقطع

من أقرض الله فضاعفه له:

ذكر أن رجلاً دخل بعض الأسواق في يوم عاشوراء فسمع سائلاً يقول: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ (الحديد: ١١) قال: فقام إليه رجل من التجار فأعطاه عشرة دنانير، فلما كان العام القابل إذا بالرجل السائل قد جاء وحوله فقراء يتبعونه وهو يفرق عليهم الصدقة، فقال الرجل الذى رآه حين أعطاه الرجل العشرة دنانير: يا أخى أقسمت عليك أما أنت الذى أعطاك فلان التاجر العشرة دنانير عام أول فى يوم عاشوراء؟ قال: نعم، قال: قلت: ألم تك فقيراً ذلك اليوم؟ قال: بلى! قال: قلت له: فما أغناك؟ قال: لما علم الله صدق نيتى وأنى ما أخذت الصدقة إلا وأنا محتاج، وعلم الله تعالى طيب نفس المتصدق بإعطائها بارك لى فى تلك العشرة دنانير وأنماها إلى حتى وجبت على اليوم عشرة دنانير زكاة فى مالى، قال: فلما سمعت منه ذلك مضيت رلى الرجل الذى كان تصدق عليه بالعشرة دنانير، فقلت: صف لى قصتك فى العام الماضى فى يوم عاشوراء إذ جاء الرجل الذى قال: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ فقال الرجل المتصدق: إنه لما قرأ هذه الآية وقع فى نفسى أن الله سبحانه سيخلف على فى الدنيا ويوفينى فى الآخرة الأجر الكريم فبت على هذه النية فرأيت ربى جل جلاله فى منامى وهو يقول: يا عبدى قد أنجزت الأمرين وقد أوجبت لك الجنة.

يوم عاشوراء وقتل الحسين:

فالعجب كل العجب من بعض جهلة الناس الذين يذمون يوم عاشوراء ويسمونه يوم النحس لقتل الحسين رضي الله عنه فيه، وهذه غاية السخافة فى الجهالة وفى معاندة الأخبار عن رسول الله ﷺ ومبالغة فى الرد على صاحب الشريعة فى قوله بفضائل يوم عاشوراء، ولولا البغى والعداوة لعدوا ذلك من فضائل الحسين رضي الله عنه إذ استشهد فى مثل هذا اليوم الشريف كما أن الواحد منا يموت له قريب فى ليلة الجمعة أو ليلة القدر أو يستشهد يوم الجمعة أو يوم عرفة فيكون من فضائله، أو يعد من مناقبه فكذا الحسين، هذا ورسول الله أخبر جبريل عليه السلام بقتله.

الحسين وجده:

قالت أم سلمة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ مع الحسين فى منزلى إذ دخلت عليهما من الباب فإذا الحسين على صدر رسول الله ﷺ يلعب وفى يد رسول الله ﷺ قطعة من طين ودموعه تجرى على خديه، فلما خرج الحسين دخلت إليه وقلت له: بأبى أنت وأمى يا رسول الله اطلعت عليك وفى يدك طينة والصبى على صدرك وأنت تبكى؟! فقال لها

النبى ﷺ: «إنى لما فرحت به وهو على صدرى يلعب إذ أتانى جبريل عليه السلام وناولنى (الطينة) التى يقتل عليها الحسين، فلذلك بكيت»(٢٥٨).

رؤيا ابن عباس لمقتل الحسين:

وقيل: رأى ابن عباس رضي الله عنهما فى منامه يوم قتل الحسين رسول الله ﷺ وبيده قارورة وهو يلتقط شيئًا من الأرض قال: فقلت له: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «قتل ولدى الحسين ولم أزل منذ ذلك اليوم ألتقط دمه من الأرض وأجمعه فى القارورة وأرفعه إلى الله تعالى»(٢٥٩) فكان كما رأى رضي الله عنهما، وقيل: لما خرج الحسين إلى العراق خوفه أهله وجزعوا فلما رأى جزعهم أنشأ يقول:

سأمضى فما الموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقًا وحارب مجرمًا
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وخالف مثبورًا ووافق مسلمًا
وجاهد فى الرحمن حق جهاده ... كفى بك ذلاً أن تعيش فتغرما

فلما قدم الكوفة استقبله الفرزدق فقال له الحسين: ما وراءك يا أبا فراس؟ قال: أصدقك أم لا؟ قال: الصدق أريد، قال: أما القلوب فمعك، وأما السيوف فمع بنى أمية عليك، قال له الحسين: ما أراك إلا صدقت إن الناس عبيد المال، فالدين نفق على ألسنتهم يحوطونه ما ردت به معائشهم، فإذا تحولوا للابتلاء قَلَّ الديانون ثم التفت إلى أصحابه وقال: على الخبير سقطنا.

آيات ظهرت لمقتل الحسين:

وقال الحسن: لم نر هذه الحمرة فى السماء إلا حين قتل الحسين، ووجد على حائط قسطنطين:

أترجو أمة قتلت حسينًا ... شفاعة جده يوم الحساب؟

ويقال: ناحت الجن على قتل الحسين سبعة أيام حتى سمعت من تحت السبع أرضين، وبكت الملائكة أجمعين.

---

(٢٥٨) **ضعيف**: رواه أحمد فى المسند (١٣١٢٧) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ١٨٧): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى بأسانيد وفيها عمارة بن زاذان وثقة جماعة وفيه ضعف وبقية رجال أبى يعلى رجال الصحيح.

(٢٥٩) رواه أحمد (٢٥٤٩).

حكاية غريبة:

وقال الحذاء بن رباح القاضي: رأيت رجلاً مكفوفًا قد شهد قتل الحسين وكان الناس يأتونه ويسألونه عن ذهاب بصره، قال: فكان يقول: شهدت قتل الحسين ولكنى لم أضرب بسيف ولم أرم بسهم، فلما قتل الحسين رجعت إلى المنزل وصليت العشاء الأخيرة ونمت، فأتانى آت فى منامى فقال لى: أجب رسول الله ﷺ، فقلت: ما لى وله؟ فأخذنى وجذبنى جذبة شديدة وانطلق بى إليه، فإذا رسول الله ﷺ جالسًا فى المحراب مغتمًا حاسرًا عن ذراعيه آخذًا بخده وبين يديه نطع، وملك قائم بين يديه، وبين يدى الملك سيف من نار وكان لى تسعة من الأصحاب فقتل أصحابى التسعة كلما ضرب الملك أحداً التهبت نفسه نارًا، فكلما قام الملك صاروا أحياء فقتلهم مرة بعد أخرى حتى قتلهم سبع مرات، فدنوت من النبى ﷺ وحبوت إليه فقلت: السلام عليك يا رسول الله، والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، فقال لى: صدقت ولكن كثرت السواد، ادن منى، فدنوت منه فإذا طشت مملوء دمًا من دماء الحسين، فكحلنى من ذلك الدم فانتبهت أعمى لا أبصر شيئًا!!.

* * *

حكاية عن قتل الحسين:

وقال الفضل بن الزبير: كنت قاعداً عند السدى فجاءه رجل فجلس إليه فإذا منه ريح قطران، فقال له السدى: أتبيع قطرانًا؟ فقال: لا، قال له: ما هذه الرائحة؟ قال: شهدت عسكر عمر بن سعد فكنت أبيع منهم الأوتاد الحديد، فلما قتل الحسين يوم عاشوراء بت فى المعسكر فرأيت رسول الله ﷺ فى النوم والحسين وعلى معهم وهو يسقى الماء من قتل من أصحاب الحسين، فاستسقيته فأبى أن يسقينى، قال: فقال لى: ألست ممن أعان علينا؟ فقلت: بل كنت أبيعهم أوتاد الحديد، قال: فقال لعلى: اسقه قطرانًا، قال: فناولنى قدحًا فشربت منه فكنت ثلاثة أيام أبول القطران، ثم ذهب ذلك عنى وبقيت هذه الرائحة على، قال: فقال له السدى: كل خبز البر وكل من كل النبات، واشرب من ماء الفرات، فما أراك تعاين الجنة ولا محمداً أبداً.

من استخف بالحسين:

حكى أن رجلاً ممن شهد قتل الحسين يوم عاشوراء قال - وعلى وجهه الاستخفاف -: ما أكثر ما يكذب أهل العراق ويقولون: إنه لم يشهد قتل الحسين أحد إلا أصيب ببلاء!

وإنى حضرت يوم قتله ولم يصبنى بلاء ولا شىء!، قال: وكان ضيفًا عند قوم فقام ليصلح السراج فتعلقت به شرارة من المصباح، فاشتغل نارًا ومات على المكان.

* * *

بر سليمان بن عبد الملك للحسين:

وحكى عن الحسن البصرى أنه قال: رأى سليمان بن عبد الملك فى النوم أنه يبره ويلاطفه، فسأل الحسن عن ذلك، فقال: لعلك فعلت إلى أهل بيته معروفًا؟ قال: نعم، إنى وجدت رأس الحسين فى خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسًا من الديباج، وصليت عليه فى جماعة من أصحابى، وقبرته، فقال الحسن: إن رسول الله ﷺ قد رضى عنك بسبب ذلك، فأحسن إلى الحسن البصرى وأمر له بالجوائز، فعليكم بحفظ مقام الأشراف ولو كانوا فى غاية الإسراف.

فى قتل الحسين:

ورأيت فى كتاب «التعازى والعزاء» من وضع أبى محمد عبد الله بن محمد البللورى أن الحسين ﷺ استسقى ماء حين قتل فمنع منه وقتل وهو عطشان، وأتى الله حتى سقاه من شراب الجنة، وذبح ذبحًا وسبيت حرمه وحملن مكشفات الرءوس على الأكف بغير وطاء، حتى دخلن دمشق ورأس الحسين بينهن على رمح، إذا بكت إحداهن عند رؤيته ضربها حارس بسوطه، ووقف أهل الذمة لهن فى سوق دمشق يبصقون فى وجوههن حتى وقفن بباب يزيد، فأمر برأس الحسين فنصب على الباب وجميع حرمه حوله ووكل به الحراس وقال: إذا بكت منهن باكية فالطموها، فظللن ورأس الحسين بينهم مصلوب تسع ساعات من النهار، وإن أم كلثوم رفعت رأسها فرأت رأس الحسين، فبكت وقالت: يا جداه - تريد رسول الله ﷺ - هذا رأس حبيبك الحسين مصلوب وبكت، فرفع يده بعض الحراس ولطمها لطمة حصر وجهها، وشلت يده مكانه، وفى هذا يقول الأزدى:

لقد ضل قوم أصبحوا فى تلذذ	سباياهم فى الحرب آل محمد
كما ضل سعى الناكبين بعجلهم	فأعقبهم لعنًا بدين التهود
وموسى وعيسى بشرا بمحمد	عليه سلام الله من متهجد
أيا أمة الإسلام يا أمة الذى	هدى الله منا بالنبى كل مهتد
وثوب لأبناء النبى فلو ترى	بنو اللعن إذ عنوا لهم بالتهدد
بسوق دمشق يبصقون وجوههم	فداء لها نفسى وما ملكت يدى
فما جرى دمعى يا حبيبى بناصب	ولا زند ودى للحسين بمصلد

عمرو بن الليث

وقيل: إن عمرو بن الليث عرض عليه جنوده يوما فرأى كثرة عسكره، وكان يحمل بين يديه اثنا عشر ألف عمرو من ذهب، تحت كل عمود قائد من حشمه، وتحت يده ألف فارس، فلما رأى ذلك اغرورقت عيناه بالبكاء، وقال فى نفسه: يا ليتنى وقت قتل الحسين ابن على مع هؤلاء فكنت أفديه بنفسى ومالى وحشمى، فرأى بعض الصالحين فى منامه رسول الله ﷺ، فقال له: قل لعمرو بن الليث: اطلعنا على ما خطر بقلبك وقبلنا منك، وأعطاك الله تعالى على نيتك وقولك الثواب الجزيل، فجاء فأخبره، فبكى بكاء شديداً.

من فضائل عاشوراء

ومن فضائل يوم عاشوراء ما ذكره وهب بن منبه، قال وهب بن منبه: أنزل الله سبحانه وتعالى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام فى يوم عاشوراء، وذلك أن الله تعالى أسكن آدم الجنة، وختمه بخاتم العز، وقال: يا آدم هذا خاتم عهدى، فإذا نسيت عهدى يا آدم اخلعه منك ثم ألبسه من أنبيائى من لا ينسى عهدى، وأورثه خلافتك، ففزع آدم وقال: يا ربى من هذا الذى تورثه خلافتى؟ قال الله تعالى: ولدك سليمان، أسلمه من الكبر وأجعله مثلاً للمردة من ولدك الذين يفسدون فى أطراف الأرض ويسمون أنفسهم ملوكًا فى أكنافها، فأخذه آدم عليه السلام فتختم به فكان يضىء لنوره أشجار الجنة، وتضحك حور الجنان، وتميل الخزنة لرؤيته عجبًا منه ومن حسنه وجماله، فسبحان من أكرمه واصطفاه ﷺ حتى عصى ربه ونسى عهده طار الخاتم من أصبعه طيرانًا فزعًا مذعوراً، حتى استجار بركن من أركان العرش، وأنطق الله الخاتم فقال: إلهى وسيدى هذا آدم قد رفضنى وأنت قد طهرتنى به وجعلتنى لأهل الطهارة، فقال الله جل جلاله: استقر فلك الأمان، وسنجعلك لمن نسلمه من الكبر ونعزه بك على أن لا يملك أحد بعده أبدًا، فلما اصطفى الله سليمان عليه السلام بالخلافة والولاية، وأحب أن يرى عباده قدرته، جعل عز سليمان عليه الصلاة والسلام فى ذلك الخاتم، وأنزله الله سبحانه إليه يوم عاشوراء صبيحة يوم الجمعة، وسليمان قائم فى محرابه وخلفه اثنا عشر سبطًا، وفى كل سبط اثنا عشر ألفًا من العلماء والحكماء والقضاة من أهل الوراة والزبور ودراسة الكتب إلا أصحاب البرانيس والعكاكيز فقد أظلهم الطير من فوقهم، فبينما سلميان عليه السلام فى قراءة الزبور إذ ناداه جبريل عليه السلام.

خاتم سليمان:

وقال له: السلام عليك يا سليمان، هذه هدية الله إليك، خذ هذا الخاتم فتختم به، فسجد سليمان لله رب العالمين شكراً، وسجد من خلفه من أول النهار إلى آخره تعظيماً لله

عز وجل وتحميداً له، حتى إذا رفع رأسه صعد كرسيه واستقبل الناس بوجهه ورفع إليهم الخاتم فلمع فى يده كالبرق الخاطف فقال له: هذا خاتم جمع الله لى فيه سلطانى وعزتى وفضلنى به على العالمين، وهو خاتم الطاعة لا يمسه إلا عزيز تقى نقى، قالوا له: قد أدينا لك طاعتنا وأنت العزيز التقى النقى الأمين، وكان على تربيع الخاتم مكتوب على الجانب الأول: أنا الله لم أزل، وعلى الثانى: أنا الله الحى القيوم، وعلى الثالث: أنا الله العزيز لا عزيز غيرى وعزيز من ألبسته إياه، وعلى الرابع: آية الكرسى، محيط به: لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم الأنبياء، فهذه صفة خاتم سليمان.

كيف نجا أسير ؟:

وحكى أن أسيرًا كان بأيدى الكفار وكانوا يعذبونه، فلما كان فى يوم عاشوراء قال: اللهم بحرمة هذا اليوم عليك إلا ما فرجت عنى، قال: فلطف الله به، وعطف عليه قلوب الكفار حتى خلصوه وأفرجوا عنه، وقيل: خرج أسير فى يوم عاشوراء من بلد الكفار فطلبوه، فلما رأى الفرسان خلفه وأيقن أنه مأخوذ مدرك رفع رأسه إلى السماء، وقال: إلهى وسيدى ومولاى بحرمة هذا اليوم أسألك أن تنجينى وتحفظنى منهم، فأعمى الله أبصارهم عنه فنجا، وصام ذلك اليوم فلم يجد شيئًا يفطر عليه عند اليل فنام وأطعم وسقى فى النوم لفضل يوم عاشوراء، فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب، وهذا رحمكم الله من فضل يوم عاشوراء فاعرفوا حقه وارغبوا فى فضله، لا حرمنا الله فضله وغفر لنا فيه ما أسلفنا من الأوزار والذنوب، وستر علينا ما أتينا من القبائح والعيوب.

دعوات صالحة:

اللهم كما تبتب على آدم فى يوم عاشوراء فتب علينا، وكما نجيت عيسى من الأعداء فنجنا، وكما رفعت إدريس مكانا عاليًا فارفعنا، وكما لعنت فيه إبليس فأعذنا من سخطك وجنبنا معاصيك برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا الشهادة والسعادة كما فعلت بهابيل، واجعلنا يا رب من أحبابك كما فعلت بالخليل.

اللهم برد علينا نار الآخرة كما بردت النار على خليلك إبراهيم، وأهلك أعداءنا كما أهلكت أعداء موسى فى اليم.

اللهم نجنا من طوفان الشهوات والهوى، وأنزل علينا السكينة والوقار فى دار الدنيا.

اللهم اكشف عنا الضر والبلوى، ورد علينا أبصار القلوب بعد التحير والعمى، اللهم

اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر، وما أعلنا وما أسررنا، وما أنت أعلم به منا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا عماد من لا عماد له، ويا ذخر من لا ذخر له، ويا حرز من لا حرز له، ويا ناصر من لا ناصر له، يا مؤيد قلوب العارفين، ويا مستراح مذاهب المتوكلين، ويا شاهد مجالس الخائفين، ويا مقيل عثرة العاثرين، ويا أرحم الراحمين، أجب دعاءنا ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا.

اللهم اجعلنا ممن شملته رحمتك، وناله عفوك، وعد على ما تعلم من ذنوبنا برحمتك، وعلى ما سلف من تقصيرنا عن طاعتك ما وعدتنا من الإحسان من نفسك، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم يا سيدنا كرمت أفعالك بنا فعصيناك، ووجدناك كريمًا فدعوناك ولقيناك رحيمًا فسألناك.

اللهم فكما مننت علينا بالستر والعافية فى حال الذنب والمعصية لا تحرمنا المغفرة والرحمة فى حال التضرع والاستكانة، سيدنا ومولانا ارحم فى هذه الدنيا غربتنا، وارحم عند الموت صرعتنا، وآنس فى اللحود وحشتنا، وارحم بين يديك ذل موقفنا، واغفر لنا ما خفى على الناس من أعمالنا، اللهم انظر إلينا نظرة الرضا وأعذنا من نظرة الخزى والعلل، اللهم لا تجعلنا ممن صرفت عنه وجهك، ومحوت عنه عفوك، وأغفلت عنه باب التوبة، وقطعت من يديه أسباب العصمة، وطبعت على قلبه وأعميته لذنبه، ووكلته إلى نفسه، إنك على كل شيء قدير.

اللهم يا ربنا وسيدنا ومولانا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، واحفظنا، واحفظ علينا ما رزقتنا، وبارك لنا فيما أعطيتنا، ولا تجعل لأحد من خلقك علينا سلطانًا ولا سبيلاً، يا أرحم الراحمين.

اللهم يسرنا لليسرى، وجنبنا للعسرى، اللهم إنا نسألك من فضلك وعطاياك رزقًا طيبًا مباركًا فيه، اللهم اهدنا للهدى وقنا بالتقوى، واغفر لنا مغفرة واقية فى الدنيا والآخرة، اللهم لا تدع لنا فى مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا دينًا إلا قضيته، ولا همّا إلا فرجته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا غائبا إلا أدنيته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة مما يصلحنا ويرضيك إلا قضيتها.

اللهم أد دين المدينين، وفرج عن المهمومين والمكروبين، واكتب سلامة المسافرين فى البر والبحر أجمعين، وجاز اللهم خير المحسنين، اللهم إن نواصينا بيدك، وقلوبنا فى

قبضتك، تعلم منقلبنا ومثوانا، وسرنا ونجوانا، إليك مردنا ومصيرنا، وأنت فوق العباد بعزتك، أنت الخالق ونحن المخلوقون وأنت المالك ونحن المملوكون، وأنت الرب ونحن العبيد، أنت الغنى ونحن الفقراء اسمع دعاءنا، ولا تقطع منا فى كل ما سألناك ورغبنا إليك رجاءنا، فإن ذلك عليك يسير، وأنت نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ (هود: ٨٨).

* * *

المجلس السادس عشر: فى قوله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ *(النور: ٣٥)*

قلب المؤمن:

مثل ضربه الله المولى البصير السميع، لقلب العبد المؤمن المطيع، وما أودعه من الإيمان، والمعرفة فى القرآن، من نور الملك الرحمن، فقال خالق الطول والعرض، الذى عبد بالنوافل والفرض: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥) أى بنوره جل جلاله يهتدى من فى السموات والأرض، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ (النور: ٣٥) يعنى النور الذى جعل فى قلب المؤمن، وهذا قول جمهور المفسرين ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ (النور: ٣٥) يعنى قلب المؤمن، والمشكاة هى الكوة غير نافذة، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج، ولا يقال للزجاجة قنديل حى يكون فيها مصباح وهو السراج، فإذا كان المصباح فى زجاجة صافية فى كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يجد له منفذاً فتكون الكوة أكثر نوراً مما لو كانت نافذة، وهذه مبالغة من الله فى وصف قلب المؤمن، ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضروباً مختلفة فإذا كانت أنوار المعرفة والإيمان فى قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى، وأخذته الفكرة فى خلق السموات والأرض، وفى عظمة الله تبارك وتعالى، فإذا كان العبد كذلك تمكن من قلبه الخوف ، فعند ذلك يتبع القرآن والأحكام، ويتجنب الفواحش والآثام، من كثرة النور الذى جعله فى قلبه الملك العلام، فهذا الصنف الذى أثنى عليه الله فى كتابه العزيز، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِى الأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠) ثم نعتهم االمولى بالتذكير والتفكير فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (آل عمران: ١٩٠) إلى قوله: ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩١) فلما جعل الله تبارك وتعالى نور الإيمان فى قلوبهم أيقنوا أن الله عز وجل خلق السموات والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، علموا بنور الهدى إنما خلق الله ذلك ليطاع ولا يعصى، وعلموا أن الجنة جزاء لن أطاعه، والنار جزاء لمن عصاه، فاستعملوا قلوبهم بالفكرة، وجالت أبصارهم فى مصنوعات الله بالعبرة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئًا من المنكرات، ولا يضيع شيئًا من الطاعات.

النور هو الهدى:

قـال بعض أهل العلم: أراد الله تبارك وتعالى بهذا النور الهدى، وليس المراد به نور شعاع ولا ضياء لأن الله تبارك وتعالى لا يوصف بلون من الألوان، ولا يشبه بملك ولا إنسان: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١) وقال بعض العلماء: هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى في وصف نور محمد ﷺ الذي هدى به المؤمنين، وأنقذهم به من موارد الهالكين، لأن الله تعالى رحم بمحمد ﷺ العباد، وأنقذهم به من جهنم وبئس المهاد، وأوجب لهم الاقتداء بنور الجنة، وأعظم عليهم به المنة، ثم قال تعالى: ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ (النور: ٣٥) يعني سراجًا: ﴿ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ (النور: ٣٥) الآية، فشبه الله تعالى القنديل في شدة بياضه وتلألئه بكوكب درى، يوقد ذلك المصباح بزيت من شجرة لا شرقية ولا غربية، أى لا بارزة للشمس كل النهار فتحرقها الشمس بحرها، ولا غربية أى ولا مستترة بالظل فيؤذيها الظل ببرده كل النهار، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بعض النهار، وإذا كانت الشجرة كذلك فهو أنضر لها وأجود لحملها وأنور لزيتها، ثم قال تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (النور: ٣٥) أى ولو لم يسرج به من شدة صفائه، تم الكلام، ثم ابتدأ تعالى فقال: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ (النور: ٣٥) يعنى نور المصباح على نور الزجاجة وصفاء الزيت، وهذا مثل ضربه الملك الجبار، لقلوب المؤمنين الأبرار، قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ (الزمر: ٢٢) فنور الهدى إذا دخل القلب انفسح وانشرح وزالت عنه الأسباب المانعة كالضلالة والمعصية فعند ذلك ذكر الجوارح بالأعمال الموجبة لدار القرار، والمنجية من سخط الملك الجبار، ومدار ذلك كله على القلب، والقلب هو سلطان البدن، فإذا صلح صلح جميع الجسد، وإذا فسد فسد جميع الجسد، وصلاحه إنما هو بنور الإيمان، وبنظر الملك الرحمن، وفساده إنما هو بظلمة العصيان، ووساوس العدو الشيطان، ولذلك ورد الخبر عن سد البشر: «إن فى ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد، ألا وهى القلب»(٢٦٠).

شجرة الزيتون:

وقال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة: ١٥) وقال عز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١٧٤) وقال سبحانه: ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن

---

(٢٦٠) **صحيح**: رواه البخارى (٥٢) ومسلم ١٥٩٩) أبو داود (٣٣٢٩) الترمذى (١٢٠٥) النسائى (٥٧١٠) ابن ماجه (٣٩٨٤) أحمد (٢٧٦٣٨).

﴿نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (الشورى: ٥٢) وقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ (النور: ٣٥) لا شرقية تطلع عليها الشمس كل النهار فتحرقها، ولا غربية يصيبها الظل كل النهار فيظلها، وهى أفضل ما يكون من الشجر، وهذا مثل ضربه الله تعالى فى وصف نبيه محمد ﷺ، والنور الذى أنزل عليه هو القرآن، فالله تعالى قد وصف الشجرة بأنه سبحانه وتعالى حفظها من الشمس والظل، فكذلك حفظ لنا القرآن فلم يقع فيه تحريف ولا بهتان، ولا زيادة ولا نقصان، ولو جعل الله حفظه إلينا وقع فيه التحريف والتبديل، كما وقع فى الكتب المتقدمة، قال الله تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (المائدة: ٤٤) ثم أخبرنا عنهم عز وجل أنهم حرفوا وبدلوا فقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: ١٣) وقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٧٩) فأخبر الملك الرحمن، فى محكم القرآن، أنهم أوقعوا فى كتبهم الزيادة والنقصان، والتحريف والبهتان، وخبرنا مولانا عن القرآن أنه الحافظ له بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) وما حفظ الملك الديان، فلا يقع فيه زيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا بهتان، فكتابنا قد حفظه الملك الجليل، فسلم من التحريف والتبديل، وكذلك حفظ نبيه محمداً ﷺ وعصمه وهداه، فقال تعالى فى عصمته لنبيه حبيبه وصفيه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) وقال تبارك وتعالى فى هدايته لنبيه: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: ٢) فأخبرنا مولانا العزيز الحكيم، عن محمد النبى الرءوف الرحيم أنه قد هداه إلى الصراط المستقيم، وأعاذه من الشيطان الرجيم، وحفظه الملك الرحمن، من الشرك والكفران، والعوج والبهتان، فقال له الديان، فى محكم القرآن: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ١٦١) فهداه الله تبارك وتعالى إلى الحق المعلوم، وعلمه ما لم يكن يعلم من دقائق العلوم، فأدى رسالة ربه غير مقصر ولا مذموم، ولا مفرط ولا ملوم، فأخبرنا الحى القيوم، عن النبى الصادق المرحوم، أنه قد بلغ كتاب ربه المعلوم، وقال له: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ (الذاريات: ٥٤) وقد أخبرنا الملك الجبار أنه أمر نبيه المختار، بتبليغ الرسالة ليستنقذ المؤمنين من النار، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ (المائدة: ٦٧) فأمره الله تعالى بالتبليغ وأخبر عنه أنه قد بلغ، وما حفظ الملك القهار لقلوب المؤمنين الأبرار، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء: ٦٥) فصار المؤمن فى عصمة الله تبارك وتعالى وحفظه، لما دخل نور الهدى قلبه، فهذا مثل ضربه الله العزيز الحكيم، المنان المتفضل الكريم، لنبيه الصادق الأمين، ولكتابه النور

المبين، ثم قال تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٣٥) فهو تعالى عالم بما كان وما يكون، وما لم يكن ولا يكون، أن لو كان كيف كان يكون، ثم إن الله تبارك وتعالى أثنى على المؤمنين المحافظين على أداء الصلوات الذاكرين لله فى المساجد فى جميع الآناء والأوقات، الخائفين من عقوبة رب الأرضين والسموات، فقال رب الأرباب وسيد السادات، فى محكم الكتاب: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ﴾ (النور: ٣٦) الآية، أى يذكر فيها جميع ما أنزل المولى من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، لا يذكر فيها زور ولا بهتان، ولا غيبة ولا عصيان، ولا نميمة على اللسان، وإنما جعلها الله تعالى للسنة والقرآن، وعبادة الملك الديان، لا يذكر فيها لغو ولا تأثيم، لأنها إنما جعلت لأداء فرض العزيز الحكيم.

المساجد لذكر الله:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سمعتم الأصوات قد علت فى المساجد فى غير ذكر الله فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة»(٢٦١).

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا علت الأصوات فى المساجد فى ذكر الدنيا تقف عليهم الملائكة فيقولون لهم: اسكتوا يا أولياء الله، اسكتوا يا أعداء الله، اسكتوا عليكم لعنة الله»(٢٦٢) وقوله: ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (النور: ٣٦) يذكر فيها جميع ما أنزل العليم الخبير فى كتابه المبين، وجميع ما أمر به الصادق البشير النذير، قال الله مولانا، الذى بيده ضلالنا وهدانا: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧) وقد نهانا محمد ﷺ عن فضول الكلام فى كل مكان، فإذا كان فضول الكلام وبالاً على العباد فى غير المساجد، فأولى أن يتحفظ العبد عن الكلام فى غير ذكر الله فى المساجد.

كلمة السوء:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة فينزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»(٢٦٣) فهذا ثناء من أسرع الحاسبين على عمار المساجد المؤمنين، وقد أثنى عليهم الملك الرحمن فى محكم القرآن، حيث أوجب لهم الإيمان: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ (التوبة: ١٨).

---

(٢٦١) لم أجده. (٢٦٢) لم أجده.

(٢٦٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٧٧، ٦٤٧٨) مسلم (٢٩٨٨) الترمذى (٢٣١٤، ٢٣١٩) ابن ماجه (٣٩٦٩، ٣٩٧٠).

وجاء فى الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة يقول الجبار تبارك وتعالى: أين جيرانى؟ فتقول الملائكة: مولانا ومن ينبغى أن يكون جارك؟ فيقول الله تبارك وتعالى: يا ملائكتى أين عمار المساجد فى الدنيا».

وأنشد يحيى بن معاذ بعرفات:

إليك جئنا وأنت جئت بنا　　　وليس شىء سواك يغنينا

فناك رحب وأنت ذو كرم　　　تدعو إلى بابك المساكينا

قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور: ٣٧) يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أمره يقينًا فتتقلب، وما كانت عليه من الكفر والشك فى الحساب، والبعث والثواب، والعقاب، والنعيم، والعذاب، فترى الأبصار يومئذ ما كان عنها مغطى بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (سورة ق: ٢٢) وقيل: تتقلب الأبصار من الكحولة إلى الزرقة، ومن البصر إلى العمى، ومن بياض الوجه إلى السواد، والقلوب تتقلب من الشك إلى اليقين، ومن الأمن إلى الخوف، ثم لم يوقنوا بالبعث حتى عاينوه، ولم يصدقوا بالعذاب حتى شاهدوه، ثم ضرب الله تبارك وتعالى مثلاً للكافرين فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ (النور: ٣٩)، يراه من البعد ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ (النور: ٣٩) كذلك الكافر بحسب ما قدم من عمله فى الدنيا لا ينفعه، بل وجده بلاء وحسرة عليه لأن الله تبارك وتعالى محقه وأبطله بالنفاق والكفر، لأن عمل لم يعمله لوجه الله تبارك وتعالى، ولا ينفع من الأعمال كلها إلا ما كان لوجه الله تعالى خالصًا، والكافر والمنافق لم يرد بعمله وجه الله تعالى، فنعوذ بالله من النفاق والكفر بعد الإيمان، ومن زوال النعمة بعد الإحسان، ومن القطيعة والحرمان، ومن ترك الزيادة ولزوم النقصان، ومن ترك العز واتباع الهوان، وترك المولى الكريم وصحبة الشيطان.

ثم وصف الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه الرجال الذين يسبحون له بالمساجد فقال تبارك وتعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ (النور: ٣٦) يعنى المساجد: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: ٣٦، ٣٧) فسبحان من لو سجدنا له على جمر الغضا وحرارة الرمضاء ما بلغنا جزءًا واحدًا من فناء الأعداد من حق الملك الجواد الذى أنعم علينا بنعمة الإسلام، وفضلنا بمحمد ﷺ، خير نبى وأكرم إمام، شاهدًا علينا فى جميع الأحكام، وجعل هذه الأمة شهداء يوم القيامة على الناس يوم تشقق فيها السماء بالغمام، فمن كانت هذه النعمة من بعض نعمه عليهم كيف تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر

الله؟! وتجارتهم مع الله رابحة، ومحاسنهم لذوى الألباب لائحة، ثناؤهم عطر الأنام، فهم بين الناس كالأعلام، بهم يستمطرون الغيث إذا حجب، وفى جملتهم يحشر السعيد والنجيب ومن فاخرهم يخب، ومن حار بهم نكب، ومن أقلع إليهم بغير ريح عطب، بدعائهم يستمطر الغمام، فهو دواء الآلام، وشفاء الأسقام، وبهم يستنقذ المغلوب، وبهم يفرج الله عن المكروب، وبهم كشف العمى عن القلب، وبهم تغفر الخطايا والذنوب، من اقتدى بهم تجنب الآثام والذنوب، وأقلع عن القبائح والعيوب، وبلغ من رحمة مولاه المنى والمرغوب، وبهم يتوصل إلى غاية المحبوب، وأنشدوا:

وربك لو أبصرت قومًا تتابعت ... عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لأبصرت قومًا جانبوا النوم وارتدوا ... بأردية التسهاد واستقربوا البعدا
وصاموا نهارًا دائمًا ثم أفطروا ... على بلغ الأقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم حسن الله فعلهم ... وأورثهم من حسن فعلهم الخلدا

رجال جالت قلوبهم فى الملكوت، رجال تفكروا فى العظمة والجبروت، رجال استقاموا على عبادة الحى الذى لا يموت، رجال خطرت على قلوبهم الأشجان، وأتعبوا النفوس والأبدان، وتسربلوا الخوف والأحزان، وأقبلوا على مولاهم كورود الظمآن، شربوا بكأس الزلال مع اليمين، وتأسوا بسيد المرسلين، وعملوا أعمال الصالحين، واتبعوا سيرة المؤمنين، واستقاموا على طريق الهدى والدين، رجال شربوا بكأس الوداد والحب، فكشف لهم حجب الغيب، وغفر لهم ما عملوا من ذنب فأشعلوا فى قلوبهم نيران خوف الملك الرب، رجال أقلقهم خوف الوعيد، وأنحل أجسامهم التفكر الشديد، رجال تجنبوا الفواحش والآثام، ولذيذ الشراب والطعام، رجال ليلهم قيام، ونهارهم صيام، يطلبون رضا ذى الجلال والإكرام، وأنشدوا:

سقوا كأس المحبة فاطمأنت ... قلوبهم وهيجها اليقين
إلى ملك تحن إليه شوقًا ... وليس لها إلى أحد حنين
يميل بهم هبوب القرب ميلاً ... كما مالت مع الريح الغصون

رجال كحلوا أعينهم بالسهر، وغضوها عما لا يحل من النظر، وشغلوا خواطرهم بالفكر، وأشغلوا قلوبهم بالعبر، رجال أزعجوا أنفسهم عن الأوطان، ولزموا مساجد الملك الرحمن، وجالت قلوبهم فى علوم القرآن، وما واعدهم وتواعدهم به الماجد الديان، وأنشدوا:

اخـتـصـم الطرف مع فـؤادى ... فـىَّ وصـارا إلـى عـنـاد
فـقـال طـرفى أنا ابـتـليت ... بطـول لـيـلـى وبـالـسـهـاد
قـال قـلبى أنا الـمـقـلا ... بـالكـرب الـصـعـبـة الـشـداد
فـقـال جـسـمى: قـتـلتـمـانى ... أنا الـذى ذبـت فـى الجـهـاد

الزهـاد:

رجـال قـد نحلـت منهم الأبدان، وتغـيـرت منهم المـحاسن والألوان، وخوف العـذاب والنيران، وشوقًا إلى نعيم الجنان، رجال صحبوا القرآن بحسن العمل، ولم يغتروا بطول الأمل، ونصبوا لأعينهم تقريب الأجل، وسمت أعينهم إلى الرفيع من المحل، واشتاقت أنفسهم إلى الملك الأعلى الأجل، فلو رأيتهم لرأيت قومًا يتلون كتاب الله بشفاه ذابلة، ودموع وابلة، وزفرات قاتلة، وأجسام ناحلة، وعقول زائلة، وخواطر فى عظمته جل جلاله جائلة، وأنشدوا:

لله قـوم شـروا لله أنـفـسـهـم ... فـأتعـبـوها بـذكـر الله أزمـانًا
أمـا النهـار فـقـد وافـوا صـيـامـهـم ... وفـى الظلام تراهـم فـيـه رهبـانًا
أبدانـهم أتعـبت فى الله أنـفـسـهـم ... وأنـفـس أتـبـعـت فى الله أبـدانًا
ذابت لحومهم خوف العذاب غداً ... وقطعـوا الليل تسـبـيـحًـا وقـرآنًا

رجال إذا نظروا اعتبروا وإذا سكتوا تفكروا، وإذا ابتلوا استرجعوا، وإذا جهل عليهم حلموا، وإذا عملوا تواضعوا، وإذا عملوا رفقوا، وإذا سئلوا بذلوا عونًا للوارد، وتفضيلاً للقاصد، حلفاء صدق، وكهوف ودق، قد عملوا بالسنة والكتاب، ونطقوا بالحكمة والصواب، وحاسبوا أنفسهم قبل يوم الحساب، وخافوا من عقوبة رب الأرباب، رجال لزموا البكاء والعويل، ورضوا من الدنيا بالقليل، فأزمعوا إلى الآخرة التحويل، ورغبوا فى ثواب الملك الجليل، وحنوا إلى النعيم الدائم الجزيل، وتمسكوا بالسنة والتنزيل، ومنعوا أنفسهم التسويف والتعليل، وأشفقوا من هول اليوم العبوس الثقيل، الهائل المنظر الطويل، وأنشدوا:

لله قـوم لـدار الخلد أخلصـهـم ... وخـصـهـم بجـزيـل الملك مـولانا
فـلو تـراهـم غـداً فى دار ملـكـهـم ... قد تـوجوا من حلى الكون تيجـانًا
وقـد دعـاهم إلى الفـردوس سيـدهـم ... إلى الزيارة والـتـسـليـم ركـبـانًا
على نجـائب در كـى تطيـر بهـم ... والخيل من جوهر والسرج مرجانًا
حـتى إذا جـاوزوا دار الـسـلام وقـد ... أبدى لهـم وجـهـه الرحـمن سبحـانا

خـروا سـجـوداً فناداهم بعـزته | إنى رضـيت بكم قـربًا وجـيـرانًا
إنى خلقت لكم دار النعـيم فـلا | ترون بؤسًا ولا تخشـون أحـزانًا
هذا النعـيم الذى لا ينقـضى أبداً | ولا تغـيـره الأزمـان ألوانًا
وهو الجـزاء لكم منى على عـمل | أخلصـتـموه وكنتم فيَّ إخـوانًا

رجال ركبوا فلك السلامة، وجروا بريح الاستقامة، فقطعوا بحار العطب والندامة، ونجوا من الأهوال يوم القيامة، فحظوا فى دار المقامة، وأرسوا فى سرمد الكرامة.

خيار الأمـــة:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيار أمتى فيما أنبأنى الملأ الأعلى فى الدرجات العلا، قوم ضحكوا جهراً من سعة رحمة الله، وبكو سرًا من خوف عذاب الله، هم بالغداة والعشى فى البيوت الطيبة يدعون بألسنتهم رغبًا ورهبًا، ويسألونه بأيديهم خفضًا ورفعًا، ويشتاقون إليه بقلوبهم غدوًا وعشيًا، مؤنتهم على الناس قليلة، وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون على الأرض حفاة أقدامهم كدبيب النمل بغير فرح، ولا ميل ولا بذخ»(٢٦٤) يمشون بالسكينة والوقار، ويتقربون بالوسيلة إلى الملك الجبار، يلبسون الخلقان ويعبدون الرحمن، ويتلون القرآن، ويشفقون من عذاب النيران، ويخافون يومًا يكثر فيه الويل والأحزان، قد تجنبوا كل ريبة وبهتان، ولم يأمنوا مكر الملك الديان، رجال تعوقوا ريب المنون، وجزعوا من السابقة فى الغيب المكنون، فحال بينهم وبين ما يشتهون، ينتظرون الخاتمة كيف تكون، أولئك أولياء الله الصالحون: ﴿**أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (المجادلة: ٢٢) رجال المساجد مأواهم، والله جل جلاله معبودهم ومولاهم، تركوا المعاصى خوفًا من الحساب وبادروا إلى الطاعة وحسن الأعمال، وتنزهوا عن الغى واللهو والمحال، وحادوا عن طريق كل مطرود بطال، وأشفقوا من عقوبة ذى المجد والجلال، وعملوا ليوم لا بيع فيه ولا خلال، وأنشدوا:

لله قـوم أخلصـوا فى حـبـه | اختـصم ورضى بهم خـدامًا
قـوم إذا هجم الظلام عليـهم | قـامـوا فكانوا سـجـداً وقـيـامًا
يتلذذون بذكـره فى ليلهم | ونهـارهم لا يفـتـرون صـيـامًا
خـمص البطون من الحـرام أعـفـة | لا يعـرفون سوى الحلال طعـامًا
فسيفـرحون بورد حوض محـمـد | وسيسكنون من الجنان خـيـامًا

(٢٦٤) ضعيف: رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ١٩) والبيهقى فى الشعب (١/ ٤٧٨) والديلمى فى الفردوس (٢/ ١٧٣) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٦) وضعفه الحافظ العراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/ ١١١٢).

رجال تحولوا عن الدنيا تحويلاً، وبدلوها تبديلاً، ولم يشتروا بعهد الله ثمنًا قليلاً وعلموا أن وراءهم يومًا عبوسًا هائلاً ثقيلاً، وأن أمامهم من الموت خطبًا جليلاً، وبدلت عيونهم وقلوبهم بكاء ونوحًا وعويلاً، حين سمعوا مولاهم يقول: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ (المزمل: ١٨) رجال قطعوا الأيام والليالي بالتفكير، وخافوا من هول يوم عبوس قمطرير، وجالت قلوبهم من خوف العلي الكبير، فعما قليل ينجون من الفزع الهائل الخطير، ويجاورون السيد البشير النذير، في جنة ليس فيها شمس ولا زمهرير.

رجال اطمأنت قلوبهم بذكر الرحمن، ولزموا الطاعة وتجنبوا العصيان، وحفظوا ألسنتهم من العيب والبهتان، واتبعوا السنة وأحكام القرآن، ولم يقبلوا من خدع العدو الشيطان، وطلبوا الزيادة ولم يرضوا بالنقصان، فأثابهم الجبار بجنة الرضوان، ومتعهم بالحور الغنجات الحسان، كأنهن الياقوت والمرجان، فأخبرنا الجليل جل جلاله في محكم القرآن، عما آتاهم به من الجود والامتنان، فقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠) فالإحسان من العبد في الدنيا قول: لا إله إلا الله، والإحسان من الله في الآخرة الجنة، فمن أحسن الرضا عن الله جل ثناؤه جازاه الله بالرضا عنه، فقابل الرضا بالرضا، وهذا غاية الجزاء، ونهاية العطاء.

صفة المؤمنين:

روى أن النبي ﷺ قال لطائفة من المؤمنين: «ما أنتم؟» قالوا: نحن المؤمنون، فقال: «ما علامة إيمانكم؟» قالوا: نصبر عند البلاء، ونشكر عند الرجاء، ونرضى بمواقع القضاء، فقال: «مؤمنون ورب الكعبة»(٢٦٥) وقيل: أحسن الأشياء أن يكون العبد رقيبًا على باطنه وظاهره لأن الله تعالى رقيب عليه وهو قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد: ٣٣) فتكون أنت أيها العبد تراقبه في سرائرك وعلانيتك، وظاهرك وباطنك، وحركاتك وسكناتك، وتعلم أنه رقيب عليك وتستحي ممن معك ولا تستحي ممن هو أقرب إليك من حبل الوريد، وقيل: المحمود من الدنيا المساجد والمحاريب، وذلك أن شركاءك فيها الملائكة والنبيون والصديقون وحسن أولئك رفيقًا، والمذموم من الدنيا البطن والفرج والكنيف والمزابل، وشركاؤنا فيها اليهود والنصارى والمجوس والمشركون والزنادقة وغيرهم، فيدعوك الرب جل جلاله وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾

---

(٢٦٥) ضعيف: ذكره الغزالي في الإحياء (٤٢١٦) وضعفه الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١١٠١) وقال: الخطيب ابن عساكر في تاريخهما بإسناد ضعيف من حديث جابر.

(يونس: ٢٥) وتأبى أنت عليه، فيقول الله سبحانه: يا عبدى لا تذنب فى الدنيا، رأفة منه لعبده، فيقول العبد: لا بد لى من الذنوب، فيقول الرب جل جلاله: عبدى فتب إلى أقبلك على ما كان منك، فيقول العبد: لا أفعل لأنى مبتلى بالأهل والبطن والفرج، فيقول الرب جل جلاله: عبدى فكن مكانك حتى أوتيك، فيقول العبد: ربى أى شىء تؤتين؟ فيقول الله عز وجل: الجوع والفقر والعرى والمرض، فيقول العبد: لا حاجة لى فى هذا، ثم يدعو ويتضرع ويصرخ إذا نزل به ذلك، قال: فتقول الملائكة عند ذلك: يا رب أما تستجيب لعبدك هذا؟ أما ترحمه فيقول الله عز وجل: سوف يحمدنى عبدى إذا أدخلته الجنة، فيقول العبد: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ (الأعراف: ٤٣) ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ**﴾ (فاطر: ٣٤) الآية، فيقول الرب جل جلاله: الآن يحمدنى عبدى وكان فى دار الدنيا يلومنى، ويشكو إلى نظرى إليه، وكان أصلح له مما كان يريده لنفسه، فالآن قد أبحت له الجنة وأدنيته منى، ووصلته جنتى، فادن منى يا عبدى بلا نهاية، وعلى المزيد بمشاهدتى له والنظر إلى وجهى، لا أحرمنا الله النظر إلى وجهه الكريم، وأدخلنا برحمته جنات النعيم.

* * *

المجلس السابع عشر: فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب: ٥٦)

اعلموا عباد الله وأحباب الله رحمكم الله! أن الله تبارك وتعالى لطف بعباده المؤمنين وأمرهم بالصلاة على سيد المرسلين، ليستنقذهم بها من العذاب الدائم المهين فصلى عليه ربنا ومولانا تشريفًا وتكريمًا، وصلت عليه ملائكته تفضيلاً وتعظيمًا، وأمر عباده أن يصلوا عليه ليبيح لهم من الجنة مقامًا كريمًا، فقال من لم يزل سميعًا عليمًا عليًا عظيمًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب: ٥٦) فاجتهدوا بنا يا معاشر الإسلام فى الصلاة والسلام على محمد خير الأنام فعسى أن يشفعه فينا يوم تشقق السماء بالغمام.

ذكر فى بعض الأخبار أن ما من ملك ولا نبى، ولا ولى ولا صفى، ولا صديق ولا شهيد، ولا شقى ولا سعيد إلا وهو يقول يوم القيامة: بحرمة محمد أن تنجينى من عذابك وما من عبد صلى عليه وسأل الله مولاه حاجة له فيها رضا عنه إلا قضى الله تعالى حاجته، وصرف عنه عند صلاته على محمد ﷺ سبعين نوعًا من البلاء فى بدنه وفى دينه وفى ماله وفى أهله، ورفع له سبعين درجة فى الجنة، اللهم صل على النبى محمد المختار، وسيد الأنبياء والأبرار، وزين المرسلين الأخيار، وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق النهار، أبى القاسم الأواب المختار، وأنشدوا:

صلى الإله وكل عبد صالح	والطيبون على السراج الواضح
المصطفى خير الأنام محمد	الطاهر العلم الضياء اللائح
زين الأنام المرتضى علم الهدى	الصادق البر الوفى الناصح
صلى عليه الله ما هبت صبا	وتجاوبت ورق الحمام النائح

وذكر فى بعض الأخبار أن ما من بقعة يكثر فيها الصلاة على محمد ﷺ إلا تصير روضة من رياض الجنة، وحصنًا وحجابًا بين المصلين وبين حجاب النار، فاجتهدوا فى الصلاة على محمد يا معشر المؤمنين والمؤمنات، وتحصنوا بها من العذاب الشديد.

الصلاة على النبى وشفاعته:

رُوى عن النبى ﷺ أنه قال: «أكثروا من الصلاة علىَّ فإنى أشفع لكم على قدر ذلك» وأنشدوا:

صلى الإله على قدر الحبيب ومن	وسط المدينة يعلو فوقه النور
رفعت قريش نعش سيدها	فثَمَّ ثكل التقى والبر مقبور
وثَمَّ خير عباد الله كلهم	وثَمَّ أكرم خلق الله محبور

عباد الله تحصنوا من العذاب والويل، بإكثار الصلاة على نبينا محمد فى النهار والليل، وذكر فى بعض الأخبار أن على ساق العرش مكتوبًا: من اشتاق إلى رحمتى رحمته، ومن سألنى أعطيته، ومن لم يسألنى لم أنسه، ومن تقرب إلى بقدر محمد ﷺ غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر... فالله الله يا أمة محمد، ويا أحباب محمد، من أصابته نائبة أو وقع فى شدة فليتضرع إلى مولاه ويسأله بقدر محمد وبحرمة محمد ﷺ، فإن قدره عند الله عظيم، فأكثروا عباد الله الكريم، يا معشر من آمن بالله العظيم، الصلاة على محمد الكريم والنبى السيد الرءوف الرحيم، ينجيكم الله بها من العذاب الأليم، ويدخلكم جنات الخلد والنعيم، إنه هو الحكيم العليم.

الصلاة عليه فى يوم الجمعة:

رُوى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى علىَّ فى يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة»(٢٦٦) فالله الله يا معشر المؤمنين والمؤمنات، أكثروا من الصلاة على حبيبكم محمد فى جميع الأيام والأوقات، والأحايين والساعات، عسى الله أن يخلصكم من الأهوال والآفات، والعذاب والعقوبات، ويدخلكم الجنات العاليات، يوم تبدل الأرض والسموات، وأنشدوا:

صلوا على المصطفى زلفى تقربكم	إن الصلاة عليه خير ما اكتسبا
أعلا الأنام على فى جلالته	وأشرف الخلق منسوبًا إذا انتسبا
وأسرع الناس يوم العرض مغفرة	إذا العقاب بدا للخلق وانتصبا

حكى عن الشبلى رحمه الله تعالى أنه قال: مات رجل من جيرانى فرأيته فى المنام فسألته عن حاله، فقال: يا شبلى مرت بى أهوال عظام، وذلك أنه لما سئلت تلجلج لسانى

---

(٢٦٦) موضوع: ذكره الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٢١٥) وقال: موضوع وثبت بلفظ «أكثروا الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة فمتى صلى على صلاة صلى الله عليه عشرًا» والحديث حسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٠٩).

عند السؤال منه جاءني الملكان وأراد أحدهما أن يبادرني بالعذاب، إذا أنا بشخص جميل ما رأيت أجمل منه وجهًا فحال بيني وبينهما، فقلت له: من أنت؟ - من بعد ما لقنني حجتي - فقال: أنا ملك خلقني الله من ثواب الصلاة على محمد، وأنت كنت تكثر الصلاة على محمد ﷺ لأخلصنك بإذن الله من جميع الأحزان، ومن عذاب النيران، ولا أبارحك حتى أدخلك الجنة برحمة الله، فالله الله عباد الله لا تملوا من الصلاة على محمد ﷺ زين العباد، الذي خلصنا به من حر جهنم وبئس المهاد، وأنشدوا:

من كـــان يكثـــر بالصـــلاة ... مـــؤمـــلاً فـــضل النبي
إعطاه رب مـــحـــمـــد ... عـــونًا من اللطف الخـــفي

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى ﷺ: يا موسى إن أردت أن أكون إليك أقرب من لسانك إلى كلامك، ومن نور بصرك إلى عينك، ومن سمعك إلى أذنك، فأكثر من الصلاة على حبيبي محمد ﷺ، وأنشدوا:

صلى الإله على النبي مـحـمـد ... خـيـر الأنام وجـاءه التنزيل
وبفـضله نطق الكتـاب وبينت ... بصـفـاته التـوراة والإنجـيل
ذاك النبي الهـاشـمي المـصطفى ... قـد جـاءه الترفـيع والتـفـضـيل
أسـرى به المـولى إلى أفق السـما ... فـوق البـراق وعنده جـبـريل

عجيبـــــة:

روى عن محمد بن النعمان ﷺ أنه قال: كنا عند النبي ﷺ فجاءه فتى من الأنصار في حاجة فوسع له رسول الله ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق ﷺ، وقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر لعلك يشق عليك أن أجلست هذا الفتى بيني وبينك؟» فقال أبو بكر ﷺ: إي والله يا رسول الله إنه ليشق عليَّ أن يكون بيني وبينك أحد.

فضل المصلي وأبو بكر:

فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر هذا الفتى يصلي عليَّ صلاة، ما يصليها عليَّ أحد من أمتي» فقال أبو بكر ﷺ: كيف يقول يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «يقول: اللهم صل على محمد عدد من صلى عليه، وصل على محمد عدد من لم يصل عليه، وصل على محمد كما أمرت بالصلاة عليه، وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه، وصل على محمد كما ينبغي أن يصلى عليه»(٢٦٧).

---

(٢٦٧) موضوع: ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٣٢٩) وقال: في إسناده كذاب ومتروك.

واعلم يا أخي علمًا يقينًا لا شك فيه أنه ليس أحد أحظى عند نبينا محمد ﷺ ولا عند ربنا سبحانه بعد النبيين من أبي بكر الصديق ﷺ، ثم عمر بعده كذلك، ثم عثمان، ثم علي ﷺ أجمعين، وصلوات الله ورحمته عليهم وعلى العشرة وجميع الصحابة، ولكن خص النبي ﷺ الفتى بإقعاده بينه وبين أبي بكر لما ألهمه الله من تلك الصلاة فأكرمه النبي كذلك، صلوات الله وسلامه عليه، ما حن مشتاق إليه.

* * *

حكاية الشافعي عن مؤمني الجن:

مما يقوى ما ذكرناه من فضل الأركان الأربعة ﷺ أجمعين، ما روى عن محمد بن إدريس قال: رأيت بمكة أسقفًا وهو يطوف بالكعبة، فقلت له: ما الذي رغب بك عن دين آبائك؟ فقال: تبدلت خيرًا منه، فقلت: كيف ذلك؟ قال: ركبت البحر فلما توسطنا انكسر بنا المركب، فعلوت لوحًا فلم تزل الأمواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وفيها نهر جار عذب، فحمدت الله على ذلك، وقلت: آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتيني الله بالفرج، فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الدواب فعلوت شجرة من تلك الأشجار فنمت على غصن منها، فلما كان في جوف الليل فإذا بدابة على وجه الماء تسبح الله وتقول: لا إله إلا الله العزيز الجبار، محمد رسول الله النبي المختار، أبو بكر الصديق صاحبه في الغار، عمر الفاروق مفتاح الأمصار، عثمان القتيل في الدار، علي سيف الله على الكفار، فعلى مبغضيهم لعنة الجبار، ومأواهم جهنم وبئس القرار، فلم تزل تكرر هذه الكلمات، حتى طلع الفجر، قالت: لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد، محمد الهادي الرشيد، أبو بكر الصديق الموفق السديد، عمر بن الخطاب سور من حديد، عثمان القتيل الشهيد، علي ذو البأس الشديد، فعلى مبغضيهم لعنة الرب المجيد، فلما وصلت البر فإذا رأسها رأس نعامة، ووجهها وجه إنسان، وقوائمها قوائم بعير، وذنبها ذنب سمكة، فخشيت على نفسي الهلكة فهربت بنفسي من أمامها فوقفت فقالت: ما دينك؟ قلت: النصرانية، فقالت: ويلك ارجع إلى الحنيفية، فقد حللت بفناء قوم من مؤمني الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلمًا، قلت: وكيف الإسلام؟ قالت: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقلتها، فقالت: أتم إسلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ أجمعين، قلت: ومن أتاكم بذلك؟ فقالت: قومنا حضروا عند رسول الله ﷺ فسمعوه يقول: «إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق: يا إلهي قد وعدت أن تشد

أركانى، فيقول الجليل جل جلاله: قد شددت أركانك بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وزينتك بالحسن والحسين» ثم قالت الدابة: المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك؟ قلت لها: الرجوع، فقالت: اصبر حتى تجتاز مركب، وإذا مركب تجرى فأشرت إليهم فدفعوا إلىَّ زورقًا، فلما علوت معهم فإذا فى المركب اثنا عشر رجلاً كلهم نصارى، فأخبرتهم خبرى فأسلموا عن آخرهم.

فالله الله عباد الله اشكروا الله على نعمة الإسلام، وعلى هدايتكم لسنة محمد ﷺ عليه أفضل الصلاة والسلام، ومحبتكم لأصحابه البررة الكرام، فقد فضلكم على جميع الأنام، قال الله ذو الإجلال والإكرام، والطول والإنعام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩) ونرجع إلى ما كنا فيه من الصلاة على خير الأنام، محمد رسول الملك العلام، وأنشدوا:

لهجت بذكرك مهجتى ولسانى ... وحللت من قلبى بكل مكان
فأنا بذكرك فى البرية كلها ... علم وحبك آخذ بعنانى
سلطان حبك فى الهوى عين الهوى ... وبه تعزز فى الهوى سلطانى
أنت النبى الهاشمى محمد ... صلى الإله عليك فى القرآن
أنت الحبيب لأهل دينك كلهم ... يوم المعاد وموقف الخسران
أنت الشفيع لمن عصى رب العلا ... أنت الدليل لجنة الرضوان
فلأذكرنك ما بقيت معمرًا ... حتى الممات ولا يمل لسانى
فصلاة ربى ماجد ومهيمن ... تترى عليك تعاقب الملوان

أوتاد المجالس:

رُوى عن رسول الله ﷺ انه قال: «إن للمجالس أوتادًا، جلساؤهم الملائكة، إذا جلسوا لذكر الله حفت بهم الملائكة من لدن أقدامهم إلى عنان السماء، بأيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الصلاة على النبى ﷺ يقولون: أكثروا رحمكم الله، فإذا استفتحوا فى الذكر فتحت لهم أبواب الجنة، واستجيب لهم الدعاء، وتطلع عليهم الحور العين، وأقبل الله تعالى عليهم بوجهه الكريم، ما لم يخوضوا فى حديث غيره ويتفرقوا»(٢٦٨).

وأنشدوا:

إذا طيب الناس المجالس بينهم ... مدامًا وريحانًا فذكرك طيبنا

---

(٢٦٨) لم أجده بهذا التمام ورواه أحمد (٢/ ٤١٨) والبيهقى فى الشعب (٣/ ٨٤) بلفظ «إن للمساجد أوتادًا جلساؤها إن غابوا يفتقدونهم وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا فى حاجة أعانوهم» وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٢٧).

ولو كانت الدنيا نصيبًا لأهلها فحبك من كل الأمانى نصيبنا
وإن كان حب الخلق بعضًا لبعضهم فأنت من الخلق الجميع حبيبنا

إخواننا طوبى لمن رزق لسانًا رطبًا بذكر الله والصلاة على محمد رسول الله، طوبى لمن رزقه مولانا لسانًا مشغولاً بذكر الإله الكريم، وبالصلاة على الرءوف الرحيم.

صيغة الصلاة:

روى عن النبي ﷺ أنه قال لرجل من أصحابه: «ما قلت البارحة من قول الخير؟» قال الرجل: يا رسول الله صلى الله عليك، قلت: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، حتى لا يبقى من الصلوات شيء، وارحم محمداً، وآل محمد، حتى لا يبقى من الرحمات شيء، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك رأيت البارحة الملائكة يحفون بأزقة المدينة» فأكثروا من الصلاة على سيد الأنبياء، وأفضل الأحباء وأكرم الأصفياء، وأجل من ولدت النساء، صلى الله عليه صلاة دائمة بلا انقضاء، وفى الليل إذا يغشى، وفى النهار إذا تجلى، وفى الآخرة والأولى، وأنشدوا:

صلى الإله على خير الأنام ومن نرجو النجاة به فى موضع العطب
فهو الشفيع لمن يرجو شفاعته عند الحساب وعند اللهو والكرب

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أولى الناس بى أكثرهم علىَّ صلاة»(٢٦٩) فأكثروا من الصلاة عليه يا معشر الإسلام، وتحصنوا بها من العذاب الغرام، واطلبوا بها رضا الملك العلام، وأنشدوا:

يا خير مولود تعاظم فخره وأتى بأشرف ملة وكتاب
صلى الإله عليك يا خير الورى ما انهل فى الآفاق قطر سحاب
يا خير مبعوث إلى خير أمة وأكرم من يدعو لسبل صواب

ثلاثة تحت ظل العرش:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة يوم القيامة تحت عرش الله يوم لا ظل إلا ظله» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «من فرج عن مكروب أمتى، ومن أحيا سنتى، ومن أكثر الصلاة علىَّ» فاجتهدوا رحمكم الله فى التفريج لهموم المكروبين، وفى إحياء سنة خاتم النبيين، وفى الصلاة على سيد المرسلين وأكرم الخلق على رب العالمين، وأنشدوا:

صلوا على خير الأنام كرامة وجلالة يا معشر الإسلام

---

(٢٦٩) ضعيف: انظر ضعيف الجامع للألبانى (١٨٢١) وقد رواه الترمذى (٤٨٤).

فهو النبى المصطفى علم الهدى وأدل من يدعو لسبل قوام
نطق الكتاب بفضله وجلاله وبفضله ننجو من الأسقام
صلوا على خير البرية كلها ما لاح بدر تحت جنح ظلام
فهو السبيل لدار كل كرامة وهو الدليل لجنة وسلام
وهو الشفيع لمن يدين بدينه ولمن يلوذ بملة الإسلام

للصلاة رائحة طيبة:

روى عن بعض الصحابة ﷺ أجميعن أنهم قالوا: ما من مجلس يصلى فيه على النبى ﷺ إلا نمت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة: هذه رائحة مجلس صلى فيه على النبى محمد ﷺ، اللهم صل عليه كما تحب أن يصلى عليه ﷺ.

وأنشدوا:

تتعطر الأنفاس ما ذكرت أخباره فى المجلس العطر
سبحان باريه وخالقه نوراً تصور أجمل الصور
المسك منحدر ببردته والوجه منه طلعة القمر
يا صادقًا فيما يخبرنا بشهادة الأسماع والنظر
سبحان من أنشاك من بشر يا سيداً للخلق والبشر
القول تتبعه شواهده والخير مقرون مع الخبر
أنت النبى بلا مدافعة والمصطفى من خيرة البُدْرِ

الإمام الشافعى:

روى عن أبى جعفر الطحاوى أنه قال: قال عبد الله بن عبد الحكم: رأيت الشافعى ﷺ فى المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمنى وغفر لى، وزففت إلى الجنة كما تزف العروس إلى زوجها، فقلت له: ما الذى بلغك هذه المنزلة؟ قال لى: بما فى آخر كتاب «الرسالة» من الصلاة على محمد ﷺ، فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال لى: وصلى الله على سيدنا محمد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، قال: فلما أصبحت طلبت كتاب «الرسالة» فوجدت الأمر كما ذكر، وأنشدوا:

صلوا على خير الأنام ومن به تنجو العباد بموقف الأهوال
إن الصلاة على النبى حبيبنا من أفضل الأفعال والأعمال
فهو النبى المصطفى علم الهدى الطيب الأقوال والأفعال

معشر المسلمين تحصنوا من عذاب النار، وخففوا عن ظهوركم ثقل الأوزار، بكثرة الصلاة على النبى المختار.

أبخل الناس:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «حسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده فلم يصل علىَّ»(٢٧٠) أعوذ بالله من اللئيم البخيل، الذى يبخل بالصلاة على رسول الملك الجليل، الذى خصه بالكرامة والتفضيل، وائتمنه على الإيضاح عن بيان التأويل فى جميع التنزيل، وأنشدوا:

صلوا على القمر المنير إذا بدا	فى موكب من حسنه وجماله
لم يخلق الرحمن خلقًا مثله	فى فضله وبهائه وكماله
ختم النبوة طيبه فختامه	مسك تكوَّن من نسيم جلاله
صلوا على العلم الذى من أمَّهُ	نال المنى وجرى السرور بباله
صلوا على بدر التمام محبة	وكرامة وجلالة لجلاله
إن الصلاة على النبى سلامة	وتفضل وتوسل بجماله
وتودد وتحنن وتشوق	وتوسل وتقرب لنواله

عباد الله صلوا على رسول الله، صلوا على سيدنا وحبيبنا محبة وكرامة، فهو الشفيع لنا يوم القيامة.

أنجاكم أكثركم صلاة:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومن مواطنها أكثركم علىَّ صلاة»(٢٧١) عباد الله الملك الديان، يا أهل الإسلام والإيمان صلوا بنا على سيدنا محمد رسول الملك الرحمن، لعله يخلصنا من عذاب النيران، وأنشدوا:

صلوا على ماجد جلت مآثره	وأكثر الخلق إفضالاً وإحسانًا
أتى العباد وقد ضلت مسالكهم	فأوضح الحق تبيانًا وبرهانًا
وبين الدين بالتذكير مجتهدًا	وأظهر الشرع أحكامًا وقرآنًا
وأنقذ الخلق من نار السموم لظى	وأورد الناس جنات ورضوانًا
لا تبغ طيبًا إذا ما كنت ذاكره	ولا ترد بعده روحًا وريحانًا

---

(٢٧٠) **صحيح**: بلفظ «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على» رواه الترمذى (٣٥٤٦) وأحمد (١٧٣٨) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٧٨).

(٢٧١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس (٥ / ٢٧٧) بدون إسناد.

فيه الجنان وفيه الحسن مجتمع والنبل والظرف أشكالاً وألوانًا
فالحمد لله إذ كنا له تبعًا لقد تفضل بالخيرات مولانا

ثمرة الصلاة:

روى عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ صلاة تعظيمًا لحقي خلق الله تعالى من ذلك القول ملكًا جناحه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان في الأرض السابعة السفلى وعنقه ملوى تحت العرش يقول الله تعالى له: صل على عبدى كما صلى على نبيي محمد، فهو يصلى عليه إلى يوم القيامة»(٢٧٢) أحبابي تحصنوا من أليم العذاب، وارغبوا في جزيل الثواب، بالصلاة على النبي الصادق الأواب.

اعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى لما اتخذ محمداً ﷺ حبيبًا أقسم بحياته فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢) فهذه غاية المحبة، ولما أحب الله تعالى أن يصلى العباد على محمد النبي الحبيب بدأ بالصلاة عليه الملك القريب، ثم ثنى بملائكته البعيد منهم والقريب، ثم عرف عباده المؤمنين أنه يصلى على محمد هو وملائكته، ثم أمر بالصلاة عليه أهل الإيمان، لينجيهم بها من عذاب النيران، فقال الملك الرحمن في محكم القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦) فكأنه قال جل وتعالى: عبدى قد أعلمتك أنى أصلى على محمد حبيبي وملائكتي تصلى عليه، فمن أكثر الصلاة على محمد الحبيب، جعلت له من الجنة أوفر نصيب، وكان رفيقًا وجارًا لأبى القاسم الحبيب، وأنشدوا:

صلى الإله بعظمه وجلاله ثم الملائكة الكرام على النبى
فهو الحبيب لربنا رب العلا وهو الدليل لجنة لا تختبى

الملائكة تستغفر للمصلى:

ذُكر في بعض الأخبار أن العبد المؤمن أو الأمة المؤمنة إذا ابتدأ بالصلاة على محمد ﷺ فتحت له أبواب السموات السبع والسرادقات حتى العرش، فلا يبقى ملك في السموات إلا صلى على محمد ﷺ، ويستغفرون لذلك العبد أو الأمة ما دام العبد أو الأمة يصلى على النبي ﷺ، وأنشدوا:

صلوا بنا يا معشر الإسلام على النبى الواضح الأحكام
نطق الكتاب بفضله وجلاله وبفضله ننجو من الإجرام

---

(٢٧٢) **منكر**: ذكره الكنانى فى تنزيه الشريعة (٢/ ٣٣١) وقال: حديث منكر.

حكى عن بعضهم أنه قال: كنت عند أبى بكر بن مجاهد جالسًا إذ أقبل الشبلى فقام أبو بكر إليه فعانقه وقبل بين عينيه، فقلت: يا سيدى تفعل هذا بالشبلى وأهل بغداد يقولون عنه إنه مجنون؟! فقال: قد فعلت به كما رأيت رسول الله ﷺ يفعل به، وذلك أنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وقد أقبل الشبلى فقام النبى ﷺ فعانقه وقبله بين عينيه، فقلت له: يا رسول الله تفعل هذا بالشبلى؟! فقال ﷺ: نعم لأنه يقرأ فى آخر كل صلاة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨) الآية، ثم يتبعها بالصلاة على، وأنشدوا:

صلاة رب كريم ماجد صمد	على النبى الذى قد نال تفضيلاً
صلى عليه إله العرش خالقنا	جاء الكتاب بذا وحيًا وتنزيلاً
فهو الدليل لأهل الخير كلهم	لمن أراد إلى الفردوس تحويلاً
ومن أراد فرارًا عن تمرده	ومن أراد له الرحمن توصيلاً
هذا بيان لأهل الفضل كلهم	يعجلون لدار الخلد تعجيلاً

عباد الله ارغبوا فى هذا الملك الجليل، والنعيم الدائم الطويل، بإكثار الصلاة على محمد الأصيل، النبى السيد النبيل، الذى جاء بالوحى والتنزيل، وأوضح بيان التأويل، وجاءه الأمين جبريل، بالتكريم والتفضيل، وأسرى به الجليل، فى الليل البهيم الطويل، كشف له عن أعلى الملكوت، وأراه أسنى الجبروت، ونظر إلى قدرة الحى الذى لا يموت، فلقد رأى فى ليلة الإسراء من آيات ربه الكبرى، وانتهى إلى سدرة المنتهى، وأنشدوا:

صلوا على خير الأنام محمد	فهو الدليل إلى السبيل المرشد
صلى عليه الرب ما دام الدجى	ومضى النهار وفى الظلام الأسود

إبلاغ الصلاة إلى الله:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى أعطى ملكًا من الملائكة أسماء الخلائق فهو قائم على قبرى إلى يوم القيامة، فليس أحد من أمتى يصلى علىَّ إلا قال ذلك الملك: يا محمد فلان بن فلان يصلى عليك صلى الله عليك، وضمن لى الرب عز وجل أن من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، وإن زاد زاده الله»(٢٧٣).

فأين أنت يا من أراد النجاة من سموم الحميم، والفوز والخلد فى جنات النعيم، فأكثروا من الصلاة على النبى الكريم، والرسول الرءوف الرحيم.

---

(٢٧٣) **ضعيف**: رواه أبو الشيخ فى العظمة (٢/ ٧٦٣).

صلاة الملائكة:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى علىَّ صلت عليه الملائكة، ومن صلت عليه الملائكة صلى عليه ربه، فليقل العبد أو ليكثر»(٢٧٤) واعلموا أن الفاجر الشقى الذى يسمع هذه الفضائل على الصلاة على النبى ﷺ وقد حبس لسانه عنها فيجب أن يتعوذ بالله منه، نعوذ بالله من لسان جامد، عن الصلاة على النبى ﷺ رسول الملك الماجد، العزيز الفرد الصمد الواحد، وأنشدوا:

صلوا على النور البهى محمد ... إن الصلاة عليه تنجى من لظى
فهو الدليل إذا اهتديت بنوره ... وهو الرسول فذاك مصباح الهدى

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى وهب ذنوبكم عند الاستغفار، فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له، ومن قال لا إله إلا الله رجح ميزانه، ومن صلى علىَّ كنت شفيعه يوم القيامة» عباد الله ارغبوا فى الشفاعة، وتمسكوا بالصلاة على شفيع المذنبين يوم قيام الساعة، وارغبوا إلى مولاكم أن يوفقنا إلى أعمال أهل السنة والجماعة، وأنشدوا:

من كان يعلم أن الله خالقه ... ومحمداً قد جاء بالقرآن
فليكثر التسليم بعد صلاته ... للطيب المبعوث بالتبيان
الهاشمى الأبطحى محمد ... خير الأنام وزين كل مكان

من كتب الصلاة فى كتاب:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى علىَّ فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام اسمى فى ذلك الكتاب»(٢٧٥) فيا معشر المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات أطيعوا رب الأرضين والسموات، بالصلاة على سيد السادات، وأنشدوا:

جُد بالصلاة على خير الورى كرمًا ... ذاك النبى الذى قد جاء بالنور
فهو الإمام لأهل الحق كلهم ... وهو الدليل على الولدان والحور

الصلاة تبلغه عن العباد:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «تباهوا بالصلاة علىَّ فإنها تبلغنى»(٢٧٦) فبلغوا صلاتكم على سيدكم ونبيكم وصفيكم، وارغبوا إلى مولاكم أن يتوفاكم على سنته، وأن

---

(٢٧٤) **حسن**: رواه ابن ماجه (٩٠٧) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٤٤).

(٢٧٥) **موضوع**: ذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال (١٢٠٥) وكشف الخفا (٢٥١٨) وابن الجوزى فى الموضوعات (١٦٥٠١).

(٢٧٦) لم أجده.

يجعلكم من أمته، وأن يجعله شفيعكم من النار، وقائدكم إلى دار الراحة والقرار، إلى جنات عدت تجرى من تحتها الأنهار.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى وكّل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى علىَّ إلا قال الملكان مجيبين: آمين، فيقول الله تعالى جوابًا للملكين: آمين، ولا أذكر عند أحد فلا يصلى علىَّ إلا قال الملكان: لا غفر الله لك، فيقول الله تعالى وملائكته جوابًا لقول الملكين: آمين»(٢٧٧) فما خلق الله تعالى أعجز ولا أذل ولا أبخل ممن يسمع ذكر محمد النبى الفاضل الزكى ولا يصلى عليه، ﷺ وملائكته وبلغ سلامنا إليه، وأنشدوا:

صلوا بنا فى الليل والنهار	على النبى الصادق المختار
أسرى به الرحمن فى جنح الدجى	قد جاء فى القرآن والآثار
الهاشمى المصطفى خير الورى	الطائع الأواب للجبار
صلوا على المبعوث يا أهل النهى	من جاء بالتنزيل والأخبار

حسنات الحرم:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى علىَّ من أمتى كتبت له عشر حسنات من حسنات الحرم» قيل: يا رسول الله وما حسنات الحرم؟ قال: «الحسنة بسبعمائة حسنة» يا أخى هذا والله قول يسير وثواب كبير.

الصلاة صلة تعارف:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ليردن علىَّ أقوام يوم القيامة عند حوضى ما أعرفهم إلا بكثرة الصلاة علىَّ» عباد الله أنتم ترون نبيكم وحبيبكم وصفيكم، فاكثروا من الصلاة عليه فعسى يعرفكم بكثرة الصلاة عليه لأن الصلاة عليه نور لصاحبه يوم القيامة، فعلى قدر الصلاة على الهاشمى القرشى التهامى الأمى الأبطحى يكون النور المضىء الذى يعرف به المؤمن التقى، ومن لا يكثر الصلاة على هذا النبى ﷺ فهو مبعد مطرود شقى، يا إخوانى فى الله صلوا على شجرة غرسها الملك الجليل، وجعل أصلها الخليل، وجعل خلالها التفضيل، وزينها بالتنزيل، وجعل رفيقها جبريل، وخضع لها كل كبير وكل عزيز وذليل،

---

(٢٧٧) **موضوع**: رواه الطبرانى فى الكبير (٣/ ٨٩) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ٩٣): رواه الطبرانى وفيه الحكم بن عبد الله بن خطاف وهو كذاب، وقال الدارقطنى: كان يضع الحديث، الميزان (٢١٧٩).

أصولها عربية، وأغصانها مُضرية، وأوراقها قرشية، وثمرتها تهامية، وغرسها الملك الديان، وأخضع لها جميع الإنس والجان، فصلوا عليه يا معشر الإخوان، وأنشدوا:

الله فـضـل خـيـر الخلق بالكرم — وأفضل الناس من عرب ومن عجم
هو النبي الذي فـاقت فـضـائله — وخـصـه الله بالتنزيل والحكم
اخـتـصـه بكتـاب بين علم — هدى العباد به من غـمـة الظلم
الله فـضـلـه الله أكـرمـه — الله أرسله من جـمـلـة الأمم
صلوا عليـه عـبـاد الله كلكـموا — إن الصـلاة له تنجي من النقم

عباد الله طيبوا بنا مجالسنا بالصلاة على سيدنا محمد ﷺ.

طيب مجلس صلى فيه عليه:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما جلس قوم مجلسًا فتفرقوا من غير صلاة عليَّ إلا تفرقوا عن أنتن من جيفة حمار»(٢٧٨) فإذا كان المجلس الذى لا يصلى فيه على النبى ﷺ تفرق أهله عن أنتن من جيفة حمار، فلا غرو أن يتفرق المصلون عليه من مجلسهم عن أطيب من خزانة العطار، وذلك أن النبى ﷺ كان أطيب الطيبين وأطهر الطاهرين، وكان إذا تكلم امتلأ المجلس بريح المسك، فكذلك مجلس يذكر فيه النبى ﷺ نمت فيه رائحة تخترق السموات السبع حتى تنتهى إلى العرش ويجد كل من خلق الله ريحها فى الأرض غير الإنس والجن فإنهم لو وجدوا تلك الرائحة اشتغل كل منهم بلذته عن معيشته، ولا يجد تلك الرائحة ملك أو خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس، ويكتب لهم بعدد هذا الخلق كلهم حسنات، ويرفع لهم درجات، سواء كان بالمجلس واحد أو مائة أو ألف كل واحد يأخذ من الأجر مثل هذا العدد، وما عند الله تعالى أكثر، فيا أحباب رسول الله ﷺ صلوا على حبيب غُذِّى بماء الوصال، وكُسى ثوب الجمال والكمال، وزُين بكتاب الكريم المتعال.

حكاية نساخ أكثر من الصلاة:

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال: كان لى جار نساخ فمات فرأيته فى المنام فى حالة حسنة، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى على ما كان منى، فقلت له: بما كان ذلك؟ فقال: كنت إذا كتبت اسم النبى ﷺ صليت عليه ﷺ فغفر لى بذلك وأعطانى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فأكثروا من الصلاة عليه ﷺ تسليمًا كثيرًا، وأنشدوا:

---

(٢٧٨) **صحيح**: انظر صحيح الجامع للألبانى (٥٥٠٨).

نور النبى عـــلا على الأنوار | فهو الدليل لسبل دار قرام
صلوا عليه لعلكم تنجوا به | يوم الحساب وكشفه الأسرار
صلوا على القمر المنير إذا بدا | فهو الحبيب لربنا الجبار
صلوا على نور تكون بالهدى | فهو الشفيع لصاحب الأوزار

عباد الله ارغبوا فيما رغبكم فيه الملك القهار، من فضل الصلاة على نبيه المختار ولا تغفلوا عن الصلاة عليه بالليل والنهار، فإن الله ينجيكم بها من عذاب النار، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار، الصلاة على النبى فضيلة جزيلة، والصلاة على أصحابه سنة وفضيلة، والصلاة على الملائكة قربة ووسيلة، صلوا رحمكم الله على النبى الرفيع، والنور البديع والحبيب الشفيع، أكرم من ولد، وأعز من فقد، وأنشدوا:

صـــلاة رب مـــاجـــد وهاب | على النبى الصـــادق الأواب
صلوا على المختار أنوار الهدى | صلوا عليه معشر الأحباب
صلوا على النور البهى محمد | صلوا عليه جماعة الأصحاب

عدد الصلاة عليه:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى علىَّ مرة صلى الله عليه بها عشراً، ومن صلى علىَّ عشراً صلى الله عليه مائة مرة، ومن صلى علىَّ مائة، صلى الله عليه بها ألفًا، ومن صلى علىَّ ألفًا، حرمه الله على النار وأدخله الجنة وثبته بالقول الثابت فى القبر عند المسألة، وجاءت صلاته علىَّ نوراً يضىء له الصراط مسيرة خمسمائة عام، وبنى الله له بكل صلاة صلاها علىَّ قصراً فى الجنة قل ذلك أو كثُر» وأنشدوا:

صلوا على المختار من آل هاشم | وخـيـر نبى خصه بالمكارم
ومن بين الرحمن فى الذكر فضله | وأوضح نور العدل بعد التظالم
وأرسله الجبار للناس كافة | مبين محض الحل بعد المحارم
فذاك لدين الله حصن وملجأ | وذاك على الأعداء ليث بصارم

عباد الله خففوا عن ظهوركم الذنوب الثقال، وفكوا رقابكم من السلاسل والأغلال، وارغبوا فى نعيم دار الخلد والإجلال، بصلاتكم على النبى محمد رسول الكبير المتعال.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى علىَّ ألف مرة لم يخرج من الدنيا حتى يبشر بالجنة» فارغبوا عباد الله أن تكونوا من أهل الجنان، بإدمان الصلاة على محمد رسول الملك الرحمن، فعسى الله أن يكفر عنكم ما سلف من الذنوب والعصيان، نعوذ بالله من لسان يابس من الصلاة على محمد، وإذا أراد الله بعبد خيراً بل لسانه بذكره، وبالصلاة على

محمد حبيبه ونبيه ووليه وصفيه صلى الله عليه، صلواتنا على محمد المبعوث من تهامة، الآمر بالمعروف والاستقامة، الشفيع لأهل الذنوب فى عرصات القيامة، اللهم صل على محمد الزاهد، رسول الملك الصمد الواحد صلى الله عليه صلاة دائمة منتهى الآباد، طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد، صلاة تنجينا بها من جهنم وبئس المهاد، وأنشدوا:

صلوا على هذا النبى الأوضح ... الهاشمى الأبطحى الأفصح
إن الصلاة على الشفيع محمد ... تبدى الفلاح مع النجاح الأنجح
فتكثروا من ذكره أهل النهى ... لا تبتغوا بدلاً بذكر الأرجح

روى عن رسول الله أنه قال: «من عسرت عليه حاجة من أمر دينه أو دنياه فليكثر من الصلاة عليَّ، فإن الله يستحى أن يرد عبده فى حاجة إذا كان دعاؤه بين صلاتين عليَّ، صلاة قبل السؤال وصلاة بعد السؤال» وهذا والله غاية الجاه والحب لنبينا محمد ﷺ.

اللهم صل على محمد صلاة تزلف بها مثواه، وتشرف بها عقباه، وتبلغه بها يوم القيامة من الشفاعة رضاه ومناه.

صفة الرسول والثناء عليه:

قال بعض السادة فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨) كأنه يقول: من خيركم نفسًا، وأطهركم قلبًا، وأصدقكم قولاً وأزكاكم فعلاً، وأثبتكم أصلاً، وأوفاكم عهدًا، وأمكنكم مجدًا، من أكرمكم طبعًا، وأحسنكم صنعًا، وأطيبكم فرعًا، وأكثركم طاعة وسمعًا، من أعلاكم مقامًا، وأحلاكم كلامًا، وأوفاكم زمامًا، وأزكاكم سلامًا، من أجلكم قدرًا، وأعظمكم فخرًا، وأكثركم شكرًا، وأرفعكم ذكرًا، وأعلاكم أمرًا، وأجملكم صبرًا، وأحسنكم خبرًا، وأقربكم بشرًا، من أبعدكم مكانًا، وأعظمكم شأنًا، وأرجحكم ميزانًا، وأولكم إيمانًا، وأوضحكم بيانًا، وأفضلكم لسانًا، وأظهركم سلطانًا، وأبينكم برهانًا، من أرسخكم قدمًا، وأبينكم علمًا وأوصلكم رحمًا، وأبركم قسمًا، وأبعدكم كرمًا، وأرعاكم ذممًا، من أسطعكم نورًا، وأنوركم سرورًا، وأجملكم حبورًا، وأفضلكم حيًا ومقبورًا.

صيغة للصلاة:

اللهم صل على من انتخبته من أشرف قبيلة، وجعلته إليك أكبر وسيلة، وجعلت الصلاة عليه أكرم فضيلة، وأعليته إلى المرتبة الجليلة، وجعلته بينك وبين عبادك وسيلة، اللهم صل عليه صلاة تجعلها بيننا وبين عذابك حجابًا، وتجعلها لنا إلى كرامتك مثابًا، وتفتح لنا بها إلى الجنة العالية بابًا، اللهم صل على محمد عدد قطر الأمطار، وعدد رمال

الأودية والقفار، وعدد ورق الأشجار، وعدد زبد البحار، وعدد مياه الأنهار، وعدد مثاقيل الجبال والأحجار، وعدد أهل الجنة وأهل النار، وعدد الأبرار والفجار، وعدد ما يختلج فى الليل والنهار، واجعل اللهم صلاتنا عليه حجاباً من عذاب دار البوار، وسبباً لإباحة دار القرار، اللهم صل على محمد النبى المختار، وسيد الأبرار، وزين المرسلين الأخيار، وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، أبى القاسم النبى الصادق المختار، اللهم صل عليه عدد من صلى عليه، وعدد من لم يصل عليه، كما أمرت بالصلاة عليه، وصل عليه كما تحب أن يصلى عليه وصل عليه كما ينبغى أن يصلى عليه، اللهم صل على النبى الصادق الأواب، وعلى ذريته وعلى جميع القرابة والأصحاب، وتوفنا اللهم اللهم على سنته، واجعلنا من أهل ولايته، وانفعنا بهدايته وعنايته، وأدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار، الطيبين الأخيار، آمين آمين، يا أرحم الراحمين.

* * *

مجلس ثان من المجلس السابع عشر في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦)

إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، وموسى كليمًا، ومحمداً ﷺ وليًا، وحبيبًا ونبيًا وصفيًا، وذلك أن الله تعالى بدأ بالصلاة عليه وهو الملك العلام، وصلت ملائكته عليه وهم الأصفياء الكرام، فصلوا بنا معشر الأنام، على محمد عليه السلام، رسول ذى الإجلال والإكرام، ينجيكم الله من العذاب الدائم الغرام.

واعلموا أنه ما من عبد مسلم أكثر الصلاة على محمد ﷺ إلا نور الله قلبه، وغفر ذنبه، وشرح صدره، ويسر أمره، فاكثروا من الصلاة لعل الله يجعلكم من أهل ملته، ويستعملكم بسنته، ويجعله رفيقنا جميعًا فى جنته، فهو المتفضل علينا برحمته.

فى الصلاة عشر كرامات

واعلموا رحمكم الله أن فى الصلاة على سيدنا محمد ﷺ عشر كرامات: **إحداهن**: صلاة الملك الجبار، **والثانية**: شفاعة النبى المختار، **والثالثة**: الاقتداء بالملائكة الأبرار، **والرابعة**: مخالفة المنافقين والكفار، **والخامسة**: محو الخطايا والأوزار، **والسادسة**: قضاء الحوائج والأوطار، **والسابعة**: تنوير الظواهر والأسرار، **والثامنة**: النجاة من عذاب دار البوار، **والتاسعة**: دخول دار الراحة والقرار، **والعاشرة**: سلام الملك الغفار.

أما ولم يقسم الله بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ، وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠) تقدير الآية: أنتم خير أمة أخرجت للناس.

أحاديث فى فضل الصلاة على النبى ﷺ:

وقال رسول الله ﷺ: «وافيتم سبعين أمة أنتم أكرمها وأفضلها عند الله»(٢٧٩) فأخبر الله تعالى أنه قال: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة: ٨٣) يعنى محمداً ﷺ، فمن صلى على محمد فقد خالف المنافقين والكفار، ووافق أمر الجبار.

(٢٧٩) **حسن**: رواه الترمذى (٣٠٠١) ابن ماجه (٤٢٨٧، ٤٢٨٨) أحمد (١٩٥١١) وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٣٤٦١).

وأما محو الخطايا والأوزار: فما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من صلى علىَّ فى يوم الجمعة مائة مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة»(٢٨٠) وقال ﷺ: «من صلى علىَّ مرة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبًا ثلاثة أيام».

وأما قضاء الحوائج والأوطار، فمما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدعاء بين الصلاتين لا يُرد».

وروى أن رجلاً قال: يا رسول الله أى الدعاء أفضل؟ قال: «الصلاة علىَّ» قال: أجعل ثُلث عبادتى الصلاة عليك؟ فقال ﷺ: «إذًا هُديت» قال: أجعل ثلثى عبادتى الصلاة عليك؟ قال ﷺ: «إذًا كُفيت» قال: أجعل جميع عبادتى الصلاة عليك؟ قال: «من جعل جميع عبادته الصلاة علىَّ قضى الله له جميع حوائج الدنيا والآخرة»(٢٨١) وهذا كله مع أداء الفرائض.

الصلاة تنور القلب:

وأما تنوير الظواهر والأسرار، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكثر الصلاة علىَّ نور الله قلبه» وذلك أن الذنوب تسود القلوب، لأن العبد إذا عمل ذنبًا صار نكتة سوداء فى قلبه، فإذا تمادى على الذنوب نمت تلك النكتة حتى يسود بها القلب كله، وإذا رطب الله لسان العبد بالصلاة على محمد ﷺ غفر الله له ذنوبا ولو كانت مثل وزن الجبال، فإذا غفرت ذنوبه زال السواد عن قلبه وبدا فيه النور، لأن الإسلام لا يتم إلا بالصلاة على النبى ﷺ، وذلك أنه لو قال عبد: لا أرى الصلاة على النبى ﷺ واجبة لكان كافرًا ورادًا على الله، وخرج عن دين الإسلام وزال نور الهدى عن قلبه، قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾ (الزمر: ٢٢) فهذا بيان واضح من الله، وأنشدوا:

نور القلوب يزيد عند صلاتنا ... للهاشمى فنوره لا ينجلى
فضياؤنا من ضوء نور محمد ... صلوا على ذاك النبى الأفضل

حكاية فى كثرة الصلاة على النبى ﷺ:

روى عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: خرجت حاجًا إلى بيت الله الحرام فصحبنى رجل فى الطريق كان لا يقوم ولا يقعد، ولا يجىء ولا يذهب، ولا يأكل ولا يشرب، ولا يتطهر ولا ينام، ولا يتصرف فى شىء إلا أكثر من الصلاة على محمد ﷺ، فسألته عن ذلك فقال:

(٢٨٠) سبق تخريجه.

(٢٨١) **حسن**: رواه الترمذى (٢٤٥٧) بنحوه وحسنه الألبانى فى الصحيحة (٩٥٤).

أحدثك بعجب عجيب، خرجت مرة إلى مكة معى والدى فنزلنا منزلاً فى موضع من منازل الطريق فنمت فإذا أنا بهاتف يهتف بى وهو يقول: يا فلان قم فقد أمات الله والدك وقد سود وجهه، فانتبهت فزعًا مرعوبًا مما سمعت، فإذا هو راقد وقد عظى وجهه فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت ووجهه أسود، فاشتد حزنى لذلك وتحيرت فى أمره، فغلب علىَّ النوم، فإذا أنا بأربعة سودان عند رأسه، وأربعة عند رجليه، بأيديهم أعمدة من حديد من نار، وهم يريدون عذابه، فبينما أنا أنظر فيما يكون من أمر والدى مع السودان إذا برجل قد جاء فأشرق من نور وجهه الموضع كله الذى كنا فيه، وأقبل على السودان فانتهرهم وقال: تنحوا عنه، فتنحى السودان عنه من ساعتهم، وغابوا عنى فلم أرهم، ثم أقبل على والدى فمسح بيده على وجهه فإذا هو أشد بياضًا من الثلج، والنور قد علا وجهه، ثم أقبل علىَّ فقال لى: بيّض الله وجه أبيك وزال عنه السواد فقلت له: من أنت فجزاك الله عنه خيرًا؟ قال: أنا محمد رسول الله، فقلت له: يا رسول الله! ما كان السبب فى مجيئك إليه؟ فقال ﷺ: أما والدك فكان مُسرفًا على نفسه غير أنه كان يكثر من الصلاة علىَّ، فلما نزل به ما نزل استغاث بى وأنا غياث لمن أكثر الصلاة علىَّ، فقمت من نومى فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو قد ابيض، فأخذت فى أمره وشرعت فى دفنه، فما تركت الصلاة على النبى ﷺ بعد ذلك، فإذا كانت الصلاة على النبى ﷺ تورث تنوير الوجه بعد الممات، فأولى أن تورث تنوير القلوب فى الحياة، وذلك أن الله تعالى جعل شخصه ﷺ نورًا، وقد سماه فى كتابه سراجًا منيرًا، ووصف من اتبع أمره وسنته وأحبه بنور القلب، قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾ (الزمر: ٢٢) ووصف من خالف دينه ومن لم يؤمن به بظلمة القلب، قال تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ (النور: ٤٠) فما لكم عباد الله غافلون عن هذه الفضيلة، والنعمة الدائمة الجزيلة؟ وأنشدوا:

صلوا على نور تزايد فخره ... يعلو على الأنوار والألباب
محمد زين الخلق شرقًا ومغربًا ... وخير شفيع ناطق بصواب
وخير حبيب للإله نبينا ... وخير رسول عامل بكتاب
أتى الخلق والأصنام تعبد جهرة ... وبوأهم إبليس شر مآب
فأنقذ بالنور البهى عباده ... وبوأهم بالدين حسن مآب
فصلوا على خير الخلائق كلهم ... لتستوجبوا يا قوم خير ثواب

عباد الله تعاهدوا الصلاة على حبيبنا محمد ﷺ لأن الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً يسر لسانه للصلاة على محمد ﷺ، وإذا أردا بعبده شرّا حبس لسانه عن الصلاة على محمد ﷺ، فيكون ذلك سببًا لسواد وجهه، كما أن الصلاة لتنوير القلب.

* * *

الصلاة تحل العقد:

وأما قضاء الحوائج والأوطار: فمما روى أن رسول الله ﷺ قال: «من عسرت عليه حاجة فليكثر من الصلاة عليَّ فإنها تحل العقد، وتكشف الهم والحزن، وتكثر الأرزاق» وأنشدوا:

كم بالصلاة عليه فاز من رجل   وكم رأيت بها في الشدة الفرجا

الصراط والصلاة على النبي ﷺ:

وأما النجاة من عذاب دار البوار: فمما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصلاة عليَّ نور على الصراط»(٢٨٢) ومن كان على الصراط من أهل نور الإيمان، وكثر الصلاة على رسول الله ﷺ رسول الملك الرحمن، فلا يكون من أهل الهوان في سموم النيران، بل يكون من أهل الأمان في نعيم الجنان.

وأما دخول دار الراحة والقرار فمما روى عن النبي ﷺ أنه قال: «من ترك الصلاة عليَّ فقد أخطأ طريق الجنة»(٢٨٣) فالله الله عباد الله يا إخواني تثبتوا واجتهدوا في الصلاة على خير العباد، وفخر البلاد، وزين الحشر والمعاد، فعسى الله أن يجيرنا من العذاب الذي ليس له انقطاع ولا يرجى له نفاد، ولا تغفلوا عن الثواب الجزيل، والملك الدائم الجليل، بالصلاة على النبي الأصيل، الذي نعته في التوراة والإنجيل، واحمدوا الله الذي فضلكم بالنبي الرؤوف الرحيم، الذي جاء بالقرآن الواضح الحكيم، المهيمن القديم، من عند الملك العزيز الكريم، فلعل مولانا أن يتفضل علينا بجنات النعيم، وينجينا من العذاب الأليم، في سواء الجحيم، مأوى كل كفار أثيم، ومنزل كل شيطان رجيم، وعدو فاسق فاجر لئيم.

* * *

جهنم والصلاة على النبي ﷺ:

ذكر في بعض الأخبار أنه إذا كان في يوم القيامة أمر الجبار جل جلاله أن يؤتى بجهنم، فإذا جيء بها وكانت من الموقف المسيرة خمسمائة عام ونظرت إلى أهل المعاصي اشتد

---

(٢٨٢) **ضعيف جدا**: انظر ضعيف الجامع للألباني (٣٥٦٤) وقال: ضعيف جدّا.

(٢٨٣) **صحيح**: صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٤٥).

غضبها وتقلب بعضها على بعض، وأخنى بعضها على بعض، وغلا بعضها على بعض، زفرت زفرة فلا يبقى غل ولا قيد ولا سلسلة ولا حية ولا عقرب إلا ألقت الكل على ظهرها، وقلبت الزبانية على وجوههم، وانهزم مالك عليه السلام من بين يديها، فعند ذلك لا يبقى ملك مقرب، ولا نبى مرسل، ولا ولى ولا صفى إلا جثا على ركبتيه، وفر الناس كلهم هاربين، ونبينا ﷺ قائم عليه حلة خلقها الله تعالى من قبل أن يخلق الخلق بمائة ألف عام، وهو ﷺ يلوح إليها كمه ويقول: كفى عن أمتى كفى عن أمتى، فعند ذلك يتعلق العبد المذنب به ﷺ وهو يقول: يا نبى الله أنقذنى من عذاب الله، فيقول له ﷺ: ألم أبلغك رسالة ربى فلم عصيت؟ فيقول: يا رسول الله غلبت علىَّ شقوتى، فيقول ﷺ: لا شقوة على أحد ممن أكثر الصلاة علىَّ، فيشفع له عند الله تعالى، فإذا رأت جهنم نور وجه المصطفى محمد ﷺ خمدت وكفت، فإذا كانت جهنم أخمدها الجبار، من نور وجه النبى المختار، فكيف لا تطفئ الصلاة عليه عن صاحبها جميع الخطايا والأوزار؟ وإذا كان نور المصطفى أخمد عظيم النيران، فكيف لا توجب الصلاة عليه لصاحبها جزيل الغفران؟ وإذا كان نور وجه محمد النبى ﷺ أخمد سموم الجحيم، فكيف لا تورد الصلاة عليه المقام الكريم، والنظر إلى وجه الحكيم العليم؟ وأنشدوا:

يا من تمرد فى الأيام منهمكًا	صلوا على المصطفى يا أكرم الأمم
صلوا عليه لعل الله يرحمكم	يوم الحساب ويوم الكرب والزحم
إن الصلاة على المختار قارئة	لقلب صاحبها جزءًا من الحكم
فهو الشيهد لأهل الجمع كلهم	وهو الدليل إلى الفردوس والنعم

الصلاة بشارة بالجنة:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى علىَّ ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة» وأبخل الناس رجل ذكر عنده محمد ﷺ أو سمع بذكره فلا يصلى عليه، وأكسل الناس من سمع المؤذن فلم يقل مثل ما يقول، وأعجز الناس من لم يدع لنفسه دبر كل صلاة، فإذا كان العبد عاجزاً لنفسه فهو لغيره أعجز، وأما سلام الرحيم القهار، فهو أن كل من كان مصليًا على النبى ﷺ فهو من أهل الجنة سلم عليه ربنا ومولانا وهو قوله تعالى: ﴿ **سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ** ﴾ (يس: ٥٨) وقوله تعالى: ﴿ **وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ** ﴾ (يونس: ١٠) وقوله: ﴿ **وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا** ﴾ (الفرقان: ٧٥) و ﴿ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ** ﴾ (الأحزاب: ٤٤).

ما للمصلى عند الله ؟:

وروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: قال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، قال: فسجد لله شكرًا، فالعبد يجزى بالسلام على النبى المختار، سلام الملك الجبار، وأنشدوا:

يا راكبًا نحو المدينة قاصدًا ... بلغ صلاتى للنبى محمد
وقل السلام عليك يا علم الهدى ... فهو الدليل إلى الشفيع الأجود
إن الذى ورث النبوة والهدى ... فهو الدليل لكل عبد مرشد
صلى عليه الله ما هبت صبا ... وترنمت ورقا بصوت تغرد

* * *

نكت فى فوائد الصلاة عليه:

واعلموا رحمكم الله أن فى الصلاة على نبى الهدى محمد ﷺ إشارات جميلة ونكتًا كثيرة، وذلك أن الله تعالى أجرى الصلاة على النبى الرشيد، السيد السديد، مجرى شهادة التوحيد، قال تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ** ﴾ (آل عمران: ١٨) وهكذا قال رب القريب والبعيد، وفى الصلاة على النبى ﷺ الصادق الرشيد: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ** ﴾ (الأحزاب: ٥٦) إشارة حسنة ونكتة مليحة.

قال الله تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ (البقرة: ١٥٢) ولم يقل: أذكركم عشر مرات، وقال تعالى وجل وعلا: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ (الحشر: ٧) وقد قال ﷺ: «من صلى علىَّ مرة صلى الله عليه عشرًا»[٢٨٤] فكأن الله سبحانه وتعالى يقول: عبد إذا أثنيت علىَّ مرة أثنيت عليك مرة، وإذا أثنيت على حبيبى مرة أثنيت عليك عشراً لأنه أكرم الخلق علىَّ وأجلهم عندى.

ثانية: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ** ﴾ وقال فى المؤمنين: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ (الأحزاب: ٤٣) بصلاتكم على النبى المحبوب، وأنشدوا:

فأكثروا التسليم بعد صلاتكم ... للسيد المختار ذاك الأمجد
ومن يك ذا بخل شديد بذكره ... فذاك عن الحق المنير مبعد

---

(٢٨٤) **صحيح**: رواه مسلم (٤٠٨) أبو داود (١٥٣٠) الترمذى (٤٨٥) النسائى (١٢٩٦) أحمد (٨٦٣٧، ٨٦٦٥).

كاشفة الكرب:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من عسر عليه شىء فليكثر من الصلاة علىَّ فإنها تحل العقد، وتكشف الكرب»(٢٨٥) فى دار الامتحان، فأولى أن تنجى فى الآخرة من النيران فى الدار الباقية.

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى علىَّ مائة مرة تزحزحت النار عنه مسيرة خمسمائة عام»(٢٨٦) فأكثروا من الصلاة عليه يا أهل ملته، ﷺ صلاة مقرونة بالكمال، والحسن والجمال، والخير والإفضال.

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكثركم علىَّ صلاةً أكثركم أزواجًا فى الجنة»(٢٨٧) فالله الله يا معشر المؤمنين أكثروا من الصلاة على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وارعوا فى المقام الأمين، والتمتع بالحور العين، والنظر إلى وجه مولانا رب العالمين.

من أكثر الصلاة عليه:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أكثركم علىَّ صلاة أقربكم منى مجلسًا» وفى هذا الحديث إشارة حسنة، وهى أن من قرب فى الآخرة من النبى نظر إلى وجه العزيز الجبار، ومن نظر إلى وجه العزيز الجبار، وقرب من النبى المختار، زحزح جسمه عن النار، وأسكن دار الراحة والقرار، فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار، لا يذوقون فيها طعم الحمام، ولا يجدون ضر الأسقام، ولا تلحقهم فتور الآلام، وقد أمنوا من الزوال والانتقال، ورضى عنهم الكبير المتعال سبحانه وتعالى جل ذلك الجلال، وأنشدوا:

صلى الإله ومن يحف بعرشه	والطيبون على المبارك أحمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها	أبر وأوفى ذمة من محمد
ولا طلعت شمس النهار على امرئ	تقى نقى كالنبى محمد
ولا لاحت الجوزاء شرقًا ومغربًا	بأطيب من طيب النبى محمد

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أكثروا من الصلاة علىَّ فإنها تطفئ غضب الجبار» فأولى أن تطفئ عن المصلى عليه ﷺ فى الدنيا كيد الشيطان الفرار، عباد الله الزموا هذه الفضائل، وارغبوا فى هذه المنازل، وتقربوا إلى الله بهذه الوسائل، بالصلاة على النبى المختار من أشرف القبائل، الذى أوضح الله به الدلائل، وجعله إليه أكبر الوسائل.

---

(٢٨٥) (٢٨٦) (٢٨٧) لم أجدهم.

وأنشدوا:

حب النبى على الأنام فــريضـــة	لا تنس ذكـر الهـاشـمـى الأكـرم
إن الصـــلاة على النبى وســيـلة	فـيـهـا النجـاة لكل عـبـد مـسلم
صلوا على القــمـر المنيــر فـإنه	نور تبــدى فى الغــمــام المظلم
رحم العــبـــاد به عـــزيز قـــادر	فـــالشكر لله العلى المنعم

الصلاة والدعاء:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن العبد يسأل الحاجة فلا يصلى علىَّ عقيب سؤاله، فترجع الحاجة على سحابة، فإذا صلى علىَّ قضيت حاجته، واستجيبت دعوته، وتفتحت له أبواب السماء» فإذا كانت الصلاة عليه ﷺ تقضى فى الدنيا الحاجات، فالأولى أن تنجى صاحبها فى الآخرة من العذاب والعقوبات، وتدخله الجنات العاليات.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلاة علىَّ صعد الدعاء» (٢٨٨) يا أحبائى والله إذا صعد الدعاء، ارتفع البلاء ورضى إله الأرض والسماء.

كيف تدعو الله؟:

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا تجعلونى كقدح الراكب، فإن الراكب إذا أراد أن ينطلق علق معاليقه، وملأ قدحه، فإذا كانت له حاجة فى أن يتوضأ أو يشرب شرب وإلا أهرقه، فاجعلونى فى وسط الدعاء وفى أوله وفى آخره» (٢٨٩) ومعنى الحديث أن يكون الإنسان أبداً لا يفتر عن الصلاة على النبى ﷺ، فإذا أصابته شدة وصلى على محمد عرف صوته ودعاءه، فاستجيب له وكشف عنه الهم والكرب، فيجب على من هو من أهل ملة محمد ﷺ أن لا يغفل عن الصلاة على النبى ﷺ.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «أكثروا من الصلاة علىَّ فإنها تهين كيد الشيطان» فأولى أن تدفع عن المصلى عليه آفات الزمان، وتحول بيه وبين عذاب النيران، وتوجب له دار الخلد والأمان وجنة النعيم والرضوان، وأنشدوا:

امـدح نبى الهـدى يا أيهـا الرجل	واذكـر فـضـائله والدمع منهـمـر
وصل دهراً على المختار مجتهداً	تحت الظلام وداجى الليل منسبل
عـسـاك تحظى بدار لا نفـاد لهـا	نعـيـمـهـا دائم والظل والأكل

---

(٢٨٨) حسن: حسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٢٣).

(٢٨٩) موضوع: رواه عبد الرزاق فى المصنف (٢/ ٢١٥) والبيهقى فى الشعب (٢/ ٢١٦) وقال الشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة (١/ ٣٢٧) قال الصغانى: موضوع.

فائدة الصلاة على النبى ﷺ:

توسلوا بالصلاة على النبى الرفيق، والحبيب الشفيق، يغفر لكم مولاكم ما عملتم من الآثام، ويدخلكم برحمته دار الخلد والسلام، توسلوا بالصلاة على النبى المختار، يكن شفيعكم من عذاب دار البوار، وينجيكم مولاكم من سموم النار، ويدخلكم برحمته جنات تجرى من تحتها الأنهار، توسلوا بالصلاة على النبى الصادق الأواب، ينجيكم مولاكم من أليم العذاب، ويدخلكم الجنة وحسن المآب، توسلوا بالصلاة على النبى الرشيد، ينجيكم مولاكم من العذاب الشديد، ويدخلكم برحمته النعيم الذى لا يبيد، توسلوا بالصلاة على النبى البر الرءوف الرحيم، يدخلكم مولاكم جنات النعيم، وينجيكم برحمته من سموم الجحيم.

روى عن أبى بكر الصديق ﷺ أنه قال: «الصلاة على النبى ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار، والبصلاة على النبى ﷺ أفضل من عتق الرقاب، فاسمعوا وعوا يا أولى العقول والألباب» وأنشدوا:

تواترت الخيرات شرقًا ومغربًا ... بذكر رسول الله فى السر والجهر
فذكرك للمختار فخر ورفعة ... وذكرك للمختار من أفضل الذكر

ذكر فى بعض الأخبار أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسنات بعض المؤمنين وسيئاتهم فى الميزان، فترجح سيئاتهم على حسناتهم، فيشفق المؤمنون لذلك، فتنزل صحائف بيض من عند الله تبارك وتعالى على حسناتهم فترجح حسناتهم على سيئاتهم فيقول الرب جل جلاله: هذه صلاتكم على النبى محمد ﷺ ثقلت بها موازينكم، وجعلتها لكم ذخيرة وقربة، فهذا يا إخوانى فضل الله العظيم، بالصلاة على الرسول الرءوف الرحيم.

ثبوت الشفاعة:

ومن رحمة النبى ﷺ بأمته ما روى عنه ﷺ أنه كان فى بعض الأيام جالسًا فقرأ هذه الآية: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (المائدة: ١١٨) فبكى رسول الله ﷺ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد مم بكاؤك؟ فقال ﷺ: «فكرت فى أمتى» فقال جبريل: يا محمد الله يقرئك السلام ويقول لك: أنا أسترضيك فى أمتك، يا أحبابى نبيكم عند مولاكم مكين، ومولاكم ذو القوة المتين، وإنك يا أخى عبد مهين، فهل رأيتم مهينًا يعذب بين مكين ومتين؟! مولاكم عظيم

ونبيكم كريم، فهل يضيع من يخاف العذاب الأليم بين عظيم وكريم؟! فصلوا عليه كما أمركم مولاكم فى القرآن الحكيم، يا أمة محمد ﷺ مولاكم لطيف ونبيكم سيد شريف، وأنت يا مؤمن عبد ضعيف، فهل رأيتم ضعيفًا يضيع بين لطيف وشريف؟! وأنشدوا:

يا إلهى عسى تكون مجيرى ... بصلاتى على البشير النذير
إننى خائف كئيب حزين ... أن أصلى بحر نار السعير
أيها الناس بادروا ثم جدوا ... بصلاة على السراج المنير
ذاك خير الأنام جاء بصدق ... وكتاب من السميع البصير
فيه أمر وفيه نهى وفيه ... ما يؤدى إلى النعيم الكبير
لا تملوا من الصلاة عليه ... سوف تنجوا من حر نار الزفير
ثم تحظوا بها بدار نعيم ... ليس تبلى من عند بر قدير

* * *

المداومة على الصلاة عليه:

واعلموا عباد الله أن الواجب على كل مسلم ومسلمة ألا يدع الصلاة على النبى ﷺ حينًا ولا وقتًا، ولا يذكرها فى الشدائد ويدعها فى الرخاء، فيكون كمن يعمل للدنيا دون الآخرة، إنما يجب عليك أن تصلى عليه فى صلاتك وعند قيامك وقعودك ولباسك، وأكلك وشرابك، وسائر تصرفاتك، فتعود عليك بركتها، وتقبل عليك خيراتها، وتقضى بذلك حق نفسك وحق نبيك محمد رسول الله ﷺ، ولا تقدر أن تبلغ حق نبيك أبداً ولو كان لك ألف لسان تصلى بها كلها عليه، لأن الله تبارك وتعالى جعله سببًا لخلاصك من النار، ولمعرفتك بمولاك العزيز الجبار.

* * *

مهر حواء أم البشر:

ذكر فى بعض الأخبار أن آدم عليه السلام رفع رأسه فنظر على ساق العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقال آدم: يا رب من هذا الذى كتبت اسمه مع اسمك؟ فقال الله تعالى: يا آدم هو نبيى وصفيى وهو حبيبى، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا ناراً، فلما خلق الله سبحانه حواء نظر آدم إليها فقال: يا رب زوجنى منها، فقال الله تعالى: وما مهرها يا آدم؟ فقال: يا رب ما أعلم، قال الله تبارك وتعالى: يا آدم صل على محمد عشر مرات، فصلى آدم عليه كما أمره الجبار جل جلاله، فزوجه الله سبحانه منها وكان صداقها الصلاة على محمد المختار مهراً لأمة الملك الجبار، فكيف لا تكون صلاتنا عليه مهراً للحور العين فى دار

القرار، ومن دخل دار القرار نجا من عذاب النار، لأنه قال ﷺ: «أكثركم عليَّ صلاة أكثركم أزواجًا في الجنة».

* * *

إشارات وبشارات:

إشارة حسنة: وذلك أن الصلاة من الملك الجبار رحمة ونجاة من عذاب النار، لأن الله إذا صلى على المؤمنين فقد رحمهم.

إشارة إخرى: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ**﴾ (يونس: ٢٤) وقوله: ﴿**كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ**﴾ (يونس: ٢٤) فإذا جاءت الساعة بعذابها وأهوالها ذهب نبات الأرض وتلاشى في جنب العذاب، حتى تبقى الأرض كأن لم يكن فيها نبات قط، وإذا كان هذا فعل العذاب فرحمة الله أولى وأكثر إذا جاءت تلاشت ذنوب المؤمنين في جنبها كأن لم تكن قط، هذا في رحمة الله الكريم مرة واحدة فكيف في عشر مرات؟! لأن النبي ﷺ قال: «من صلى عليَّ مرة واحدة صلى الله بها عليه عشر مرات»(٢٩٠) فهذه بشارة حسنة للمؤمنين والمؤمنات بكثرة صلاتهم على سيد السادات، وخير البريات.

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «ما جلس قوم مجلسًا يذكرون الله تعالى ولم يذكروا النبي ﷺ إلا كان ذلك المجلس عليهم وبالاً وحسرةً يوم القيامة»(٢٩١) فتزينوا يا أمته وزينوا مجالسكم بالصلاة على نبيكم ﷺ.

* * *

مكفرات الذنوب:

روى عن النبي ﷺ أنه صعد ذات يوم المنبر فوضع قدميه في مرقاة من المنبر فقال: آمين، وقال: آمين في الدرج الثاني، وقال: آمين في الدرج الثالث، ثم قال ﷺ: «جاءني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من أدرك أحد والديه أو كلاهما ومات ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، فقلت: آمين، ثم قال: يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، قلت: آمين، ثم قال: يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، فقلت: آمين»(٢٩٢).

روى عن النبي ﷺ المختار: «من صلى عليَّ لم يلج النار».

---

(٢٩٠) سبق تخريجه. (٢٩١) سبق تخريجه.

(٢٩٢) سبق تخريجه وانظر صحيح الجامع (٧٥).

اللهم صل على **محمد** ما اتصلت عين بنظر،

وتزخرفت أرض بمطر، وحج حاج واعتمر،

ولبى ونحر، وحلق وقصر، وطاف بالبيت وقبل الحجر.

اللهم **صل عليه وعلى آله** صلاة لا نفاد لها ولا انقطاع،

صل اللهم عليه عدد من يصلى عليه،

وعدد من لم يصل عليه إلى يوم القيامة،

وصل عليه عدد الذاكرين، وغفلة الغافلين،

واحشرنا وجميع المسلمين فى زمرته يوم الدين،

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع **الصفحة**